جامعة جنوب الوادي
كلية التربية بقنا
شعبة التعليم العام
الفرقة الأولى تاريخ
العام الجامعي ٢٠٢٣-٢٠٢٤م

مقرر:

تاريخ اليونان والرومان

إعداد:

د. محمد محمود محمد

المبحث الأول: الظروف الجغرافية لبلاد اليونان وأثرها علي التاريخ اليوناني

لا يستطيع أحد أن ينكر الارتباط الوثيق بين علم التاريخ وعلم الجغرافيا، فالجغرافيا هي المسرح الذي عاش عليه الإنسان وتمت عليه الأحداث التاريخية، وبذلك فالجغرافيا جاءت أولًا ثم جاء بعدها التاريخ، وللتعبير عن هذا الارتباط القوي بينهم، يمكننا القول بان الجغرافيا والتاريخ وجهان لعملة واحدة. وعلى مدى العصور المختلفة كان للجغرافيا تأثير فعال في تشكيل تاريخ أي منطقة من المناطق، ويتضح هذا الأثر بشكل فعال في تاريخ بلاد اليونان القديمة في النواحي المختلفة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية.

ولا شك أن الإنسان ابن بيئته يأثر ويتأثر بها، فهي تقوده إلى العمل واستغلال مواردها المتاحة، ودراسة البيئة أو العوامل الجغرافية في العصور القديمة ضرورة لاغني عنها، لذلك وجب علينا القاء نظرة على بيئة اليونان، كي نتمكن من فهم سمات الشعب اليوناني وحضارته، وإدراك العلاقة بين اليونانيين وبعضهم البعض وعلاقتهم بالعالم الخارجي(١).

أولًا: الموقع الجغرافي:

يتبادر إلى الذهن سؤال ملح هل كانت بلاد اليونان القديمة تقع في النطاق الجغرافي لبلاد اليونان التي نعرفها جيدًا في وقتنا الحاضر؟ الإجابة بالقطع لا، فهي لم تقتصر على شبه جزيرة البلقان، حيث شملت البلاد التي هاجروا إليها سواء جزر بحر إيجة أو شواطيء آسيا الصغرى، والمستعمرات في جنوب إيطاليا وصقلية وبرقة ومصر وعلي شواطيء بحر مرمرة والبحر الأسود في الشمال، وفي فرنسا وأسبانيا في الغرب، ولذلك فأن شبه جزيرة البلقان لم تكن إلا جزء صغير من بلاد اليونان، فقد سكن اليونانيون كل البحر المتوسط الذي أصبح بحيرة يونانية(٢).

وتقع بلاد اليونان بين بحرين؛ بحر إيجة الذي يفصلها من ناحية الشرق عن آسيا الصغرى، وبحر الادرياتيك والبحر الأيوني اللذان يفصلانها من ناحية الغرب عن صقلية وإيطاليا.وتكاد تنشطر البلاد الى شطرين بفعل خليجي كورنثا وسارونيا، اللذان يتوغلان من الغرب والشرق، لكن حال دون التقائهما برزخ كورنثة الذي يصل شمال اليونان بجنوبها، ولذلك كان

---

(١) إبراهيم الجندي، معالم التاريخ اليوناني، ص ٥٥.

(٢) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ١٨.

لكورنثة دور هام في المواصلات البرية بين شمال وجنوب اليونان، وأيضًا، كان لها دور هام في تاريخ اليونان(١).

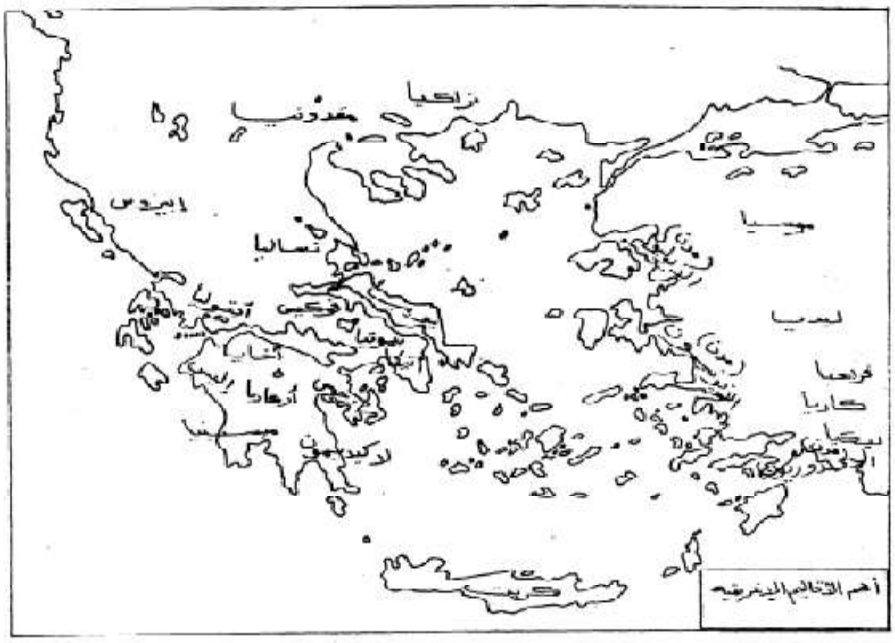

خريطة بلاد اليونان(٢)

وبذلك فان بلاد اليونان قديمًا تشمل بلاد اليونان القديمة شبه جزيرة البلقان والجزر المنتشرة في بحر إيجة وكذلك المدن اليونانية المنتشرة على ساحل آسيا الصغرى، وتبلغ مساحة بلاد اليونان ما يقرب من خمسين ألف ميلاً مربعًا. وهي في طبيعتها أرض قفرة جبلية، قليلة الخصوبة، وتطل على حوض البحر الأبيض المتوسط جنوبًا والبحر الأدرياتيكي غربًا وبحر إيجة شرقًا، كما نلاحظ انتشار الجزر اليونانية الصغيرة وخاصة في بحر إيجة، حيث يوجد في بحر إيجة وحده حاليًا ٤٨٣ جزيرة وفي غرب بلاد اليونان ما يقرب من ١١٦ جزيرة، وعلى طول ساحل آسيا الصغرى. لقد

(١) حسين الشيخ، اليونان، ص ٧.
(٢) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، ص ١٢.

كانت هذه الجزر بمثابة جسر بحري يربط آسيا وأوروبا، كما نلاحظ أيضًا أهمية موقع جزيرتي كريت وقبرص في البحر الأبيض وقربهما من ساحل إفريقيا الشمالي(١).

ويذكر أفلاطون: "لقد أنتشرنا، نحن اليونان، على شواطيء البحر الأبيض المتوسط، كما تنتشر الضفادع على ضفاف الغدير"، حيث أثر موقع بلاد اليونان في البحر المتوسط ومناخه في خلق الحضارة اليونانية، إلا أن ذلك لا يعني رجوع الفضل في هذه الحضارة إلى البحر المتوسط فقط، فقد سكن الأتراك بلاد اليونان فترة طويلة ولم يخلقوا حضارة تضاهي الحضارة اليونانية، كما أن اليونانيين في الوقت الحاضر فشلوا في عمل ما نجح فيه أسلافهم، فالحضارة تتوقف على ظروف تاريخية كانت متوفرة لليونانيين القدماء ولم تتوفر لغيرهم(٢).

ثانيًا: الجبال:

يغلب على طبيعة اليونان التضاريس الجبلية، فالجبال تشكل الجزء الأكبر من مساحتها، حوالي ٨٠% من مساحة اليونان، تنتشر الجبال في شكل سلاسل تمتد عبر البلاد، أشهرها سلسلة جبال بندوس وسلسلة جبال جرانيا، وجبل كيثاريون، وجبلا كراتيه. وجبال هيلكون(٣).

أما من ناحية تضاريس بلاد اليونان فنلاحظ إنها تتميز بوجود الجبال الوعرة التي تحول دون قيام إتصال سهل بين أجزاء البلاد نفسها إذ قسمت هذه الجبال البلاد إلى مجموعة من الوديان والسهول منعزلة بعضها عن بعض. ولقد كان لموقع البلاد وتضاريسها الجغرافية أشد الأثر على تفكير الإغريق وعلى حضارتهم فنلاحظ مثلاً:

أولاً: قرب بلاد اليونان من منطقة الشرق الأدني منبع الحضارات سواء من مصر أو بلاد وادي الرافدين جعل بلاد اليونان بمثابة البوابة التي تدفقت منها حضارات الشرق القديم إلى أوروبا. وكما لعبت جزيرتا قبرص وكريت دوراً هاماً في إتصال ساحل إفريقيا الشمالي بجنوب أوروبا، كما كانت الجزر اليونانية في بحر إيجة وعلى طول ساحل آسيا الصغرى بمثابة الجسر الشرقي بين أوروبا وآسيا الصغرى. كما كان ساحل شبه الجزيرة اليونانية الغربي والجزر التي فيه وخاصة جزيرة "كوركيرا" بمثابة البوابة الغربية لبلاد اليونان حيث حمل التجار والمهاجرون الإغريق الحضارة إلى شبه الجزيرة الإيطالية. وبذلك ساعد الموقع الجغرافي بلاد اليونان على أن تقوم بدور المستورد

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ١٩.

(٣) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٥٥-٥٦.

لحضارات الشرق والموزع لها في باقي أنحاء القارة الأوروبية، فقد تأثرت بحكم موقعها الجغرافي في طريق الأساطيل التجارية الفينيقة مما جعل الإغريق يتأثرون بالفينيقيين في أساليب التجارة، وأخذوا عنهم الحروف الهجائية(١).

ثانيًا: إن التضاريس الوعرة والجبال التي قسمت اليونان إلى مجموعة من الوديان الصغيرة المنعزلة لصعوبة الاتصال بينها، أدت إلى إعاقة الاتصال وظهور العزلة الحضارية بين المناطق المختلفة في بلاد اليونان ومن ثم فقد أدى ذلك إلى ظهور العزلة الثقافية والفكرية والسياسية بين أقاليم البلاد المختلفة، فقد نشأ نتيجة لذلك نظام دويلات المدن (Polis)، وهي مجتمعات صغيرة المساحة قيلية السكان، لا تربط هذه المجتمعات ببعضها رابطة الولاء لدولة أو وطن واحد، فكان نظام البوليس هو النظام الملائم لطبيعة تضاريس اليونان، وأصبحت كل دويلة مدينة "بوليس" تعتمد على ذاتها اعتمادًا ذاتيًا من الناحية الاقتصادية. كما تمسكت كل مدينة باستقلالها السياسي وبحريتها؛ إذ أن العوائق الطبيعية الجغرافية وقفت حائلًا دون قيام وحدة سياسية شاملة بل جعلتها مدنًا متفرقة متصارعة ومتنافسة والحرب بينها ظاهرة طبيعية على مر التاريخ. وبالطبع كان ذلك على حساب الحضارة الإغريقية نفسها التي دفعت ثمنًا باهظًا نتيجة للحروب المتعددة(٢).

ثالثًا: التربة:

دفع فقر التربة وقلة الأراضي الصالحة للزراعة والتي لم تتناسب مع الازدياد المضطرد في عدد السكان إلى الهجرة بحثًا عن أرض جديدة، وقد ساعد ذلك على انتشار المدن المستوطنات الإغريقية في مناطق شتى من العالم. كما دفع السكان إلى البحث عن حرف غير زراعية مثل التجارة والصناعات الفنية ومن ثم فإن حضارة بلاد الإغريق لم تكن في جوهرها حضارة زراعية كحضارة مصر أو بلاد الهلال الخصيب بل كانت حضارة تجارية صناعية قبل أن تكون زراعية.

رابعًا: المناخ:

كان لعامل المناخ أثره الكبير في الحضارة الإغريقية، فطقس البلاد الدفيء المعتدل وشمسها المشرقة طوال العام إلى جانب تنوع التضاريس من جبال وسهول وأنهار ووديان، ساعد على نمو ونضوج العقلية الإغريقية وجعلها أكثر تحررًا وتنوعًا وأقل جمودًا من غيرها، كما شجع السكان على قضاء وقت أكبر خارج ديارهم؛ ولهذا فقد اهتموا بالرياضة البدنية التي كانت من أهم

(١) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٥-١٦.
(٢) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٦.

مميزات مظاهر الحياة الاجتماعية. كما أصبح من الضروري على الفرد أن يلم بشئون مدينته السياسية والاجتماعية وهذا يبين الدور الهام الذي لعبه سوق المدينة (Agora) والذي كان من أهم معالم المدينة الإغريقية القديمة. أيضًا ساعد التنوع الجغرافي وامتداد البحار الشاسعة حول شبه الجزيرة اليونانية على نمو الخيال الفني الذي تزخر به أساطيرهم. فقد طاب للإغريقي أن يمزج الحقيقة بالخيال ولذا يجب الإشارة دائمًا إلى الأسطورة ومن الأسطورة سوف نحاول البحث عن حقيقة هذه الحضارة الخالدة.

خامسًا: الأنهار:

كانت أنهار بلاد اليونان عوامل فصل وإنقسام وليست عوامل وصل ووحدة مثل نهري دجلة والفرات في بلاد الرافدين أو نهر النيل في مصر، فأنهار بلاد اليونان كانت تفتقر إلى سهولة المجرى مما يجعلها عوامل فصل وليست عوامل إتصال(١)، حيث كانت تتعرض للجفاف في فصل الصيف، ويصعب استغلالها في الشتاء. فقد كانت الأنهار في اليونان قصيرة المجرى قليلة الماء، أما الأنهار الكبيرة منها مثل نهر "بينيوس" و"ألفيوس" و"أخيلوس" و"بميسوس" لا يصلحوا للملاحة إلا خلال فترة صغيرة من العام وفصل الشتاء، وباقي الأنهار جفت في معظم السنة، وبذلك فهي غير صالحة للنقل والمواصلات بين البلاد(٢).

سادسًا: البحر:

يحيط البحر ببلاد اليونان من الجهات الثلاثة، ويتوغل في معظم أراضيها، وكانت منطقة أركاديا بالبلوبونيز، حيث سهل مانتينيا هو الإقليم الوحيد الذي لا يطل على البحر، كان البحر أحيانًا وسيلة الإنتقال الوحيدة بين الأقاليم والمدن وبشكل خاص بين الجزر وأشباه الجزر، وكان يوجد في البحر الايجي ٤٨٣جزيرة وفي غرب اليونان حوالي ١١٦ جزيرة(٣).

وكان من نتائج وعورة التضاريس أن اتجه الإغريق إلى البحار كوسيلة للاتصال، إذ كان من الأسهل على الإغريقي أن يركب البحر منطلقًا فيما ورائه، على أن يتحمل مشقة اجتياز المرتفعات والجبال والوديان ومن ثم فقد كانت الحضارة الإغريقية حضارة بحرية تجارية منذ بدايتها. وكان الأسطول من أهم معالم تلك الحضارة. وهكذا كان من السهل على الإغريقي أن يعمل بالبحر

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٣٦.

(٢) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٥٨.

(٣) عبد اللطيف أحمد على، التاريخ اليوناني(١)، ص ٢٥.

والتجارة، ومن ثم سافر إلى جهات بعيدة وعاد معه أفكار من حضارات أخرى ساهمت في تطوير حضارته. بعد أن أضاف إليها كل ما استطاع أن يصل إليه عن طريق قدراته الخاصة.

ولقد ساعد البحر اليونانيين منذ الألف الثالثة أو الثانية على ركوب البحر وصيد الأسماك والتجارة والقرصنة وتطهير البحر منهم وتأسيس المستعمرات. كما عمل البحر على نشأة حضارة ذات طابع فريد ومميز، لا تتسم بطابع دويلة مدينة معينة، بل حضارة يونانية تخطت حدود الدويلات(١).

وقد كانت جزر بحر إيجة بمثابة الجسر البحري الهام الذي ربط أسيا بأوروبا. بينما كانت جزيرتي قبرص وكريت أقرب الجزر إلى مصر وليبيا، وذلك كانتا المعبر الجنوبي للأتصال الحضاري والتجاري بينهما، وكانت جزيرة كوركيرا البوابة الغربية لبلاد اليونان، فمن خلالها حمل التجار والمهاجرين اليونانيين الحضارة اليونانية إلى شبه الجزيرة الإيطالية، وبذلك قامت اليونان بدورها الحضاري في استيراد الحضارة من الشرق وتصديرها لأوروبا كلها(٢).

سابعًا: أثر الجغرافيا على بلاد اليونان

كانت هناك أثار متعددة للجغرافيا على تاريخ وحضارة بلاد اليونان، وقد ظهرت هذه التأثيرات بشكلٍ خاص في النواحي السياسية والاقتصادية، فمن الناحية السياسية أدت التضاريس الجبلية الجيرية لبلاد اليونان إلى إنقسام الشعب اليوناني على نفسه إلى مجموعات صغيرة منعزلة عن بعضها البعض، وظهور نظام دولة المدينة، وحال ذلك دون قيام وحدة بين اليونان(٣) وحرصت كلًا منها على إستقلالها التام وسيادتها، كما أدت إلى النزعة الإنفصالية والحروب بين المدن(٤)، وتعرضها للأخطار الخارجية كما حدث لتعرضها لخطر الفرس في القرن الخامس ق.م، وخطر السيطرة المقدونية في القرن الرابع ق.م، بينما كانت الميزة الإيجابية لهذه الطبيعة تبلور الرأي العام في دول المدن، مما أدى إلى تطور النظم السياسية في بلاد اليونان، فقد عرفت العديد من النظم السياسية، فقد انتقلت من الحكم الفردي إلى الحكم الديمقراطي في وقت وجيز(٥).

---

(١) عبد اللطيف أحمد على، التاريخ اليوناني(١)، ص ٢٦.

(٢) محمود محمد علي، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٣) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٥٨-٥٩.

(٤) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٥) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص٣٨- ٤٠.

ودفعت طبيعة وجغرافية بلاد اليونان إلى البحث عن تأسيس مستوطنات جديدة ، تكون وطنًا بديلًا عن وطنهم الذي ضن عليهم، ووجدوا ضالتهم في الأراضي السهلية الخصيبة الفسيحة، حيث أقاموا مستوطناتهم على سواحل آسيا الصغرى وإيطاليا وصقلية(١).

ومن الناحية الاقتصادية تسبب فقر بلادهم من الناحية الزراعية في ركوب البحر للعمل بالتجارة، كحرفة للعيش بدلًا من الزراعة في الأراضي الجبلية، وعندما قويت أثينا وأصبحت تمتلك أسطول قوي في البحر المتوسط، ومكن البحر اليونانيين من السفر في كل بلاد المنطقة وبالتالي نشر أفكارهم وحضارتهم(٢).

وعلى الرغم من التأثير السلبي للجبال على بلاد اليونان، حيث كانت عوامل فصل لا وصل بين أجزاء البلاد، إلا أن هذه الجبال عملت على كحماية طبيعية اليونان ضد خطر الجماعات المجاورة لها(٣).

وعورة تضاريس اليونان، والطابع الجبلي الذي غلب على تضاريسها، جعلت البقاء للأصلح، وبالتالي جعلت من الشعب اليوناني شعب قوي صعب المراس(٤).

ولم تصلح الطبيعة الجبلية لإنتاج كل أنواع المحاصيل إلا الكروم والزيتون وهي محاصيل لا تحتاج إلى خصوبة كبيرة(٥). وأدت هذه التضاريس الوعرة إلى نقص في الحبوب وخاصة القمح دفعهم للعمل كجنود مرتزقة، في عصر الدولة الحديثة في مصر فر عهد "بسماتيك الثاني"، وخدموا أيضاً كجنود مرتزقة في الإمبراطورية الفارسية. وقد أثر فقر بلاد اليونان في سياسة دول المدن بين بعضها البعض، فخلال الحروب البلوبونيزية بيم أثينا وإسبرطة، قامت اسبرطة بتخريب المحاصيل الاثينية كسلاح اقتصادي. وتدمير الأسطول الأثيني عند مداخل البحر الأسود ومنعه من الحصول على القمح من منظقة البحر الأسود، ونتيجة لذلك حسمت الحرب لصالح إسبرطة. البحر دفعهم إلى الهجرة الى صقلية جنوب إيطاليا وإلى قورينة في شمال أفريقيا والتجارة والقرصنة(٦).

---

(١) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٥٩.

(٢) محمود محمد علي، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٥٧.

(٤) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٤٣.

(٥) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٤٠.

(٦) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٤٠-٤١.

كما أن الجبال ساعدت على عمل سياج طبيعية لدويلات المدن بين بعضها البعض، فقد احتمت أسبرطة بالجبال المحصورة بينها، فقد كانت تقع أسبرطة بين جبال أرجوس وجبال أركاديا، وبذلك كانت الجبال حدودًا طبيعية بين الدويلات وبعضها البعض، تعمل على حمايتهم من عدوان جيرانهم، مما أتاح الفرصة للكثير من هذه الدويلات أن تنمو وتدعم مراكزها وهي في عزلة عن جيرانها(١).

ساعد مناخ بلاد اليونان الذي يتميز باعتداله على نشأة الحضارة، فأعتدال المناخ وسطوع الشمس جعل اليوناني القديم يقضي وقتًا طويلاً خارج منزله، والالتقاء باقرانه وتبادل الأراء والأفكار في السوق العامة، مما أدي إلى النضج السياسي، وتنوع الطبيعة بين الجبال والأنهار والوديان والمراعي، خلق حب التنوع والتأمل عند اليوناني، وأدى ذلك إلى تشكيل الفكر اليوناني الفلسفي والسياسي وتطور الفكر المسرحي سواء التراجيدي أو الكوميدي(٢).

أدت الوديان الصغيرة المنعزلة التي تخلل الجبال في بلاد اليونان إلى ظهور نظام دولة المدينة، وهذا النظام عرفه السومريون منذ سنة ٣٠٠٠ق.م، واعتماد كل دويلة مدينة على نفسها اقتصاديًا، وكافحت كلًا منها من أجل تثبيت استقلالها السياسي والمحافظة على حريتها(٣).

على الرغم من عدم صلاحية تربة بلاد اليونان لزراعة عدد كبير من المحاصيل الزراعية، إلا أن هذه التربة كانت غنية بالكثير من المعادن المختلفة، فيها الصلصال اللازم لصناعة الأواني الفخارية، والحديد والرخام والمرمر والذهب، والفضة والنحاس(٤).

ساعد البحر بلاد اليونان على قيام عملية التبادل التجاري بين دويلات المدن، فإذا كانت بلاد اليونان تعاني من ضعف الموارد، فإن ذلك دفع دويلات المدن إلى الأستعانة بموارد الدويلات الأخرى عن طريق التبادل التجاري، وساعد على ذلك وقوع معظم دويلات مدن اليونان على البحر(٥). وتعرج شواطيء اليونان ساعد على وجود مواني طبيعية تحمي المدن من خطر الغزو القادم من البحر وتساعد على النشاط التجاري والملاحة في البحر المتوسط. فضلًا عن ذلك فقد

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٣٠.
(٢) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٦٠-٦١.
(٣) محمود محمد علي، المرجع السابق، ص ٢٦-٢٧.
(٤) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٣٢-٣٣.
(٥) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٣٠-٣١.

ساعد البحر المتوسط بهدوءه على هجرة اليونانيين إلى المناطق المحيطة به وممارسة أعمال القرصنة والتجارة، وذلك بحثًا عن مصدر رزق لهم بعد أن ضنت عليهم بلادهم بالرزق(١).

المبحث الثالث: أسماء بلاد اليونان

تعددت المسميات التي كانت تعرف بها بلاد اليونان في العصور القديمة، ويمكن حصر هذه المسميات بين أربع مسميات رئيسية وهي:

أولًا: الهيللينيون: وهي التسمية الأولى والأشهر التي أطلقت على بلاد اليونان في العصور القديمة، نسبة إلى جد أسطوري يدعي هيللين، أو قبيلة عرفت بهذا الاسم كانت تعيش في شمال اليونان ثم عمم الاسم على العنصر كله، وبعد ذلك تم التوسع في تعميم المصطلح فقد أطلق على المتحدثين باليونانية، سواء كانوا في بلاد اليونان أو خارجها(٢).

ثانيًا: الآخيون: عندما امتزج البلاسجيين بالآريين(هند أوربيين)، ظهر عنصر سكاني جديد أطلق عليه هوميروس اسم الآخيون، وهو اسم قبيلة في شمال شرق البلوبونيز ثم عمم الاسم على كل الشعب اليوناني(٣).

ثالثًا: الإغريق: لم يطلق اليونانيين على أنفسهم اسم إغريق، فيرجع هذا الاسم إلى الرومان الذين أطلقوا عليهم أسم "جرايكي"(٤)، نسبة إلى قبيلة "جرايكي" التي كانت تعيش في إقليم بويوتيا باليونان، وشاركت هذه القبيلة في تأسيس مدينة كوماي على الساحل الغربي لإيطاليا، والتي تعد أقدم المستوطنات اليونانية في إيطاليا. وسرعان ما أطلق الرومان على أهل هذه المستوطنة وكل المستوطنات اليونانية في جنوب إيطاليا وصقلية اسم بلاد اليونان العظمي Magna Graecia، ومنها جاءت تسمية اليونان في اللغات الأوربية الحديثة(٥).

رابعًا: يونان: هو تحوير للفظ أيونيين وهم سكان الساحل الغربي لآسيا الصغرى، حيث عرف الايونيين في اللغة اليونانين القديمة باسم ياؤنيين، وورد اسمهم عند هوميروس مرة واحدة(٦).

خامسًا: اليفانيين واليوانيين: أطلق أهل الشرق القديم على اليونانيين القدامى اسم اليفانيين واليوانيين، وذلك نسبة إلى أيونيا والأيونيين(١).

---

(١) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٤٢-٤٥.
(٢) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٢٧.
(٣) المرجع نفسه، ص ٢٦.
(٤) م.أ.فينلي، اليونانيون القدامى مقدمة لتاريخهم الحضاري والفكري، ترجمة السيد جاد، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٣.
(٥) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٢-٣.
(٦) المرجع نفسه، ص ٣.

المبحث الرابع: أصل اليونانيين:

تشير الحفائر الأثرية إلى أن سكان بلاد اليونان كانوا موجودين منذ العصر الحجري القديم، وكانوا ينتمون لعنصر البحر المتوسط الذي أنتشر في كل المنطقة وكان يمارس الصيد وجنى الثمار، وخلال الفترة من ٣٥٠٠حتى ١٩٠٠ق.م دخل المهاجرون البلاسجيين إلى اليونان قادمين من غرب آسيا الصغرى، وكانت حضارتهم زراعية، تكلموا لغة ليست هندو أوربية، وينتمى البلاسجيين إلى شعوب بحر ايجة، ويذكر هيرودوت أن البلاسجيين هم السكان الأصليين لليونان امتزجوا مع شعوب المتوسط مكونين عنصرًا سكانيًا سكن البلاد قبل وصول هجرات الآريين. وبعد ١٩٠٠ق.م دخلت بلاد اليونان هجرات من الغزاة الآريين طوال القامة ذوي بشرة شقراء، ينتمون للعنصر الهندو أوروبي، تكلموا لغة هندو أوروبية، جاءوا من شمال أوروبا الشرقية، سيطروا على البلاسجيين باسلحتهم البرونزية، وأصبحوا حكامًا عليهم، وأمتزج البلاسجيين بالآريين عرقيًا وحضاريًا، وأخرج لنا عنصرًا جديدًا أطلق عليه هوميروس اسم الآخيون(٢).

وبذلك نستطيع القول أن سكان اليونان كانوا خليطًا من سلالتين أو عنصرين هما: سلالة سكان البحر المتوسط وسلالة هندو أوروبية. هذا الخليط نتج عنه الاخيون الذين قاموا بالحرب ضد طروادة في آخر القرن الثالث عشر أو بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاديين(٣).

ووقد قام الآخيون بتكوين حضارة في العصر البرونزي، عرفت بالحضارة الموكينية، أهم مراكزها الحضارية موكيناي في جنوب اليونان، وكتابتهم الخطية الثانية ب أثبتت أن لغتهم هي إحدى الأشكال المبكرة للغة اليونانية. وانتهت الحضارة الموكينية بشكل مفاجيء ١١٠٠ق.م على يد الدوريين، الذي جاء بعده عصور ظلام استمرت لأربع قرون بعد مجيء الدوريين(٤).

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٨٨.
(٢) سيد أحمد على الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص ٢٣-٢٦.
(٣) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٨٧.
(٤) م.فينلي، المرجع السابق، ص ١-٣.

المبحث الخامس: مصادر تاريخ بلاد اليونان:

التاريخ والحضارة لا يقتصران على الجانب السياسي فقط، وإنما يشملان جميع النواحي الحياتية، التاريخ ليس مجرد تاريخ أفراد وإنما تاريخ مجتمع بأكملة، في النواحى المختلفة، لمعرفة نشاط الإنسان، وحياته اليومية، والأسلحة التى يستخدمها، والملابس التى يرتديها، والطبقات. وبالتالي فالحضارة هي سجل نشاط المجتمع في كل جوانبه ومحصلة التفاعل بين هذه الجوانب(١). ولمعرفة النشاط الذي يدور في المجتمع، نعتمد على نوعين من المصادر، أولاً: المصادر الأثرية أو المخلفات الأثرية، ثانياً المصادر الأدبية أو المصادر المكتوبة(٢).

وتختلف مصادر كل فترة تاريخية عن الفترة الاخرى، فمصادر تاريخ اليونان لها طبيعة خاصة سواء من حيث الكم أو الكيف، فأحيانًا تواجهنا بعض الصعوبات في كتابة تاريخ اليونان، منها أن بعض المصادر يشوبها كثير من النقص والبتر والغموض، فضًا عن قلة المصادر عن بعض فترات تاريخ اليونان أو بعض جوانب الحياة اليونانية(٣).

ولقد تغيرت النظرة التقليدية للتاريخ، بحيث لم يصبح مجرد تاريخ الحكام، وإنما تاريخ مجتمع بأكمله، بأفراده وطبقاته، يتناول العلاقة بين هذه الطبقات وبعضها البعض، وكل ما يدور في المجتمع من حوارات وعلاقات ومعاملات واحتكاكات. ونحن في محاولتنا أن نعرف تاريخ المجتمع اليوناني بمنظوره الشامل نلجأ إلى نوعين من المصادر أحدهما هي المصادر غير الأدبية (الآثار)، والنوع الآخر هي المصادر الأدبية (المكتوبة)، مما دونه لنا المعاصرون للفترة التي نريد التأريخ لها أو من جاءوا في عصر لاحق وكانت لديهم المعلومات نستطيع أن نثق في صحتها، بحيث نستطيع أن نعتمد عليهم بالدرجة الثانية بعد الكتاب المعاصرين(٤).

أولًا: المصادر الوثائقية أو الأثرية:

ظهر علم الآثار اليونانية على يد الأثري الألماني "شليمان"، الذي قام بحفائر في شمال غرب آسيا الصغرى، ثم في البلوبونيز، للكشف عن مدينتي "طروادة" و"موكيناي"، ثم جاء بعده الأثري الإنجليزي "آرثر أيفانز" واستطاع الكشف عن حضارة كريت. ثم توالت الحفائر الأثرية في

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٤٧-٤٨.
(٢) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١.
(٣) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى منهج البحث في التاريخ اليوناني والروماني، ص ١٩.
(٤) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٤٧.

معظم المدن الإغريقية وبحر إيجة والبلقان ومصر وإيطاليا ومعظم أنحاء البحر المتوسط للبحث عن الآثار اليونانية(١).

وتشمل المصادر الوثائقية المباني، والقصور، والحصون، والقلاع، والمعابد، والمنازل، والمقابر، والتماثيل، والصور، والعملة، وأدوات العمل، والمزهريات، وأدوات الزينة، والأسلحة، والمصنوعات الفخارية كالأواني، والنقوش المحفورة على الأحجار، والبردي، والأوستراكا، و غير ذلك من الآثار التي تركها لنا القدماء. ولاشك أن للآثار اليونانية أهمية كبيرة، فهي الدليل الوحيد الحي على حضارة اليونانيين القدماء، وبذلك فهي تعطينا صورة واضحة عن طبيعة وشكل الحياة اليونانية في العصور القديمة. وبعضها موجود على سطح الأرض، والبعض الأخر نعثر عليه بعد عمليات الحفر والتنقيب في باطن الأرض. وكل نوع من هذه الآثار يسهم في االتأريخ لجانب أو أكثر من جوانب المجتمع(٢).

قصر كنوسوس:

مثال تطبيقي على قصر "كنوسوس"، القصر الملكي الذي لا تزال آثارة موجودة في "كنوسوس" بالقرب من الساحل الشمالى لجزيرة كريت، يرجح أن بنائه يعود إلى ١٦٠٠ق.م، بني القصر على مساحة ٢٠ ألف متر مربع، هناك مساحة كبيرة تتوسط القصر، يحيط بهذه المساحة من الشرق والغرب عدد كبير من الغرف والقاعات يصل بينهم عدد كبير من الممرات. وبقايا الدرج تشير إلى أرتفاع القصر إلى ثلاث أو أربع طوابق، نستنتج من قصر كنوسوس: من خلال ضخامته ومساحته الكبيرة وعدد غرفه العديدة إلى إنه لم يكن مجرد مقر للسكن الملكي بل كان أيضاً مركزاً للإدارة الحكومية بأكملها. كما أن تجاور السكن الملكي والإدارة الحكومية يوضح لنا مدى تركز السلطة في يد البيت المالك في كنوسوس. وكثرة عدد الغرف يشير إلى أن كريت كانت ذات إدارة ضخمة خاصة بإمبراطورية كبيرة مركزها مدينة "كنوسوس". وعدم وجود سور حول القصر يشير إلى قوة ملوك كريت وسيطرتهم الكاملة على الجزيرة، بحيث لم يكونوا في حاجة إلى سور خارجي. ويدل أيضًا على وجود قوات بحرية كانت تقوم بحماية الجزيرة. أما محتويات ومقتنيات القصر تشير إلى الإزددهار والاستقرار والرخاء الذي شهدته البلاد. وتشير الحمامات وشبكة صرفها المتطورة التي تفوق مثيلاتها في عصور لاحقة إلى الترف والتقدم في كريت. ووجود

(١) عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص ٢١.
(٢) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٤٨-٤٩.

رسوم كثيرة على جدران القصر صورت الحياة اليومية الكريتية في عدد من جوانبها، أقلها الحرب، وأكثرها مناظر الرياضة التى مارسها الكريتيون(١).

نقش سجل باروس:

ومن أهم مصادر دراسة تاريخ وحضارة اليونان نقش سجل "باروس"، عثر عليه في جزيرة "باروس" إحدي المراكز الحضارية لمجموعة جزر "الكيكلاديس" في بحر إيجة، وتكمن أهمية هذا النقش في تسجيلة لأحداث يونانية مرتبة منذ عهد الملك "كيروبس" الملك الأسطوري لأثينا حتى الحاكم "ديوجينيس" أي حتى ٢٦٣ق.م، كتب النقش على الرخام، وللأسف غير معروف من قام بكتابته(٢).

معبد البارثينون:

يتضح لنا من خلال معبد "البارثينون" الموجود في الأكروبوليس في أثينا الكثير من المعتقدات الأسطورية اليونانية، يظهر ذلك من خلال النحت البارز على واجهة المعبد، حيث توجد بعض المناظر التى تمثل هذه المعتقدات. كما أن ضخامة المعبد تشير إلى الإزدهار الفني والرخاء الاقتصادي تحت قيادة بركليس(٣).

نقش جورتين الكريتي:

ينسب هذا النقش إلى مدينة جورتين الكريتية، ويحتوي هذا النقش على معلومات مهمة تتعلق بالجانب المدني مثل الوراثة والتبني والرهن والكفالة، ويخبرنا ببعض الحقائق عن القانون العام(٤).

مسرح ابيداوروس:

يقع في مدينة "ابيداوروس" في شبة جزيرة البلوبونيز، تشير مدرجات المشاهدين في هذا المسرح إلى انها كانت تتسع لـ ٢٠ ألف مشاهد مما يوضح المركز الذي أحتله المسارح عند اليونانيين. وتوضح لنا ساحة المسرح قيمة الفن المعماري المسرحي، فقد كان الصوت الصادر من

(١) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٤٩-٥٠.
(٢) عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص ١٨.
(٣) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٥١.
(٤) عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص ٢٩.

هذه الساحة يسمع في كل أرجاء المسرح والمدرجات الصاعدة تدريجياً من الساحة إلى الصف الأخير. ولابد أن ذلك يرجع إلى إختيار مكان بناء المسرح، وإتجاهه، حتى يتم ترديد الصوت(١).

العملة:

وأيضًا فإن قطعة من العملة تستطيع أن من خلال نستطيع التعرف على شعار إحدى المدن اليونانية، أو معبود هذه المدينة، ومن وزنها ومن معدنها نستطيع معرفة القيمة الشرائية لهذه العملة، وتكاليف المعيشة. ووجود من العملات اليونانية خارج اليونان يشير إلى علاقات تجارية، وقد يشير ذلك إلى أن هذه العملة كانت عملة دولية لها قيمة ثابتة في الأسواق التجارية الدولية، وهذا يعني إزدهار تجاري لهذه المدينة(٢).

الأواني الفخارية:

قديمًا كانت الأواني الفخارية من السلع الأساسية التي لا يمكن الإستغناء عنها في الحياة اليومية، أستخدمت في إعداد الطعام وتقديمه، وكأوعيه للإستخدام اليومي، وكمباخر، ومزهريات، ولتعبئة الزيت والنبيذ للتخزين أو التصدير. ومن خلال المناظر التى رسمت عليها نستطيع التعرف على الحياة اليومية في مختلف جوانبها سواء الملاحة أو الصيد والرياضة والتمثيل وغيرها. وتشير اللقى الفخارية بكثرة في مناطق غير يونانية إلى صلات تجارية تبادلية والعكس صحيح. على سبيل المثال تم العثور على الكثير من الأواني الفخارية التى تعود للقرن الخامس ق.م على سواحل البحر الأسود وصقلية ومصر وإيطاليا، وذلك يشير إلى إزدهار التعامل التجاري بين اليونان وهذه المناطق. وعلى الجانب الأخر فإن إختفاء الفخار الأثيني في جنوب غالة في أواسط القرن الرابع ق.م وحلول الفخار الإيطالي محله، معناه ان التبادل التجاري الإيطالى مع جنوب غالة بدأ يطغى على التبادل التجاري اليوناني. وخلاصة القول، هذه الآثار تعطينا صورة عن المجتمع من كل جوانبه، من خلال نستطيع التعرف على أحوال المجتمع، وما وصل إليه من تقدم وما يعانية من تأخر. ومدى إنعزالة أو إتصالة بالمجتمعات الأخرى سواء كان هذا الإتصال تأثيراً أو تأثراً سيادةً أو تبعية، والتعرف على الطبقات والعلاقة بينها(٣).

(١) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٥١.
(٢) المرجع نفسه، ص ٥٢.
(٣) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٥٢-٥٤.

ثانيًا: المصادرالأدبية (الكتابية):

المقصود بالمصادر الأدبية هي المصادر التي قام بكتابتها الكتاب والمؤرخون والعلماء والفلاسفة والخطباء والشعراء، وتحتوى هذه المصادر على معلومات قيمة عن المجتمع اليوناني سواء النواحي الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، ويجب أن نتناول هذه المصادر بحذر شديد، لأن بعضها لا يلتزم بالموضوعية في الكتابة، بل ينحاز إلى طرف على حساب طرف أخر.

المؤرخون:

وفي هذا المجال نجد لدينا كتابات عدد من المؤرخين. وأول هؤلاء هو "هيرودوتوس" (Herodotus) الذي عاش في أواسط القرن الخامس ٤٨٤ – ٤٣٠ ق.م، وكتب تاريخًا حاول أن يجعله شاملاً عن أخبار العالم كما كانت معروفة في عصره، من بينه قسم عن تاريخ بلاد اليونان. و"هيرودوتوس" يتحدث في أثناء كتابته عن كل شيء: عن وصف الأماكن والأشخاص والأحداث والأفكار والعادات والعقائد والأساطير ولكنه وصف تقريري ليس فيه الكثير من التحليل، كذلك فهو لا يكتفي بوصف ما رآه أو سمعه بشكل مباشر ولكنه يعتمد على الرواية، أي على ما تواتر من أخبار من جيل لجيل. وربما كانت هذه هي الطريقة الوحيدة المتاحة له في ذلك الوقت، وهي طريقة لابد أنها ساعدته في الحصول على كثير من المعلومات، ولكنها مع ذلك طريقة لابد أنها أعطته قدرًا كبيرًا من الأخبار غير الصادقة التي حرفتها الأجيال المتعاقبة قبل أن تصل إليه. وعلى هذا فنحن يجب أن نعتمد على كتاباته في شيء من الحذر، وأن نحاول تحقيقها بالمقارنة مع الآثار الموجودة ومع المعلومات التي نستطيع أن نحصل عليها من مصادر أخرى أو على أضعف تقدير نضعها موضع التحليل المنطقي بحيث نرى إذا كان مرجحة أو محتملة أو غير ممكنة على الإطلاق(١).

وأيضًا "لوكيوس ميستريوس بلوتارخوس" Lucius Mestrius Plutarchus من مدينة خايرونيا Chaeronea من أعمال بويوتيا، ولد سنة٥٠ م(٢)، درس العلوم والإدارة، وكان مؤرخا وفيلسوفا من أتباع المدرسة الأفلاطونية. أهم أعماله هي المقالات الأخلاقية moralia وهى دراسات في الأخلاق والدين والطبيعة والسياسة والأدب، والتراجم parallel تناول فيها سير

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٦٠-٦١.

(٢) أحمد عتمان: المرجع السابق، ص ٤٢.

عظماء اليونان والرومان وعقد مقارنة بينهم(١). و"بلوتارخوس" واحدً من الذين يؤمنون بضرورة الجمع بين العبقرية الإغريقية والقوة العسكرية الروماني(٢)، مات سنة ١٢٠م(٣).

ومن بين المؤرخين اليونان كذلك "ثوكيديديس" (Thukydides) (٤٦٠ – ٣٩٥ ق.م) وقد تميز عن سلفه هيرودوتوس في ناحيتين أساسيتين: الناحية الأولى أنه ركز كتابته حول موضوع واحد هو موضوع الحروب البيلوبونيزية، التي قامت بين أثينا واسبرطة في الثلث الأخير من القرن الخامس ق.م، وبذلك جاءت كتابته محيطة بكل تفاصيل الموضوع. كذلك فهو يختلف عن "هيرودوتوس" في أنه كان معاصرًا لهذه الحروب، واشترك في بعض مراحلها كأحد القواد الأثينيين، كما كان على صلة بالساسة الكبار الذين كانوا على رأس الفئات السياسية المتعارضة في أثينا. وأخيرًا فقد امتاز "ثوكيديديس" بأنه حلل الحوادث والمواقف والشخصيات تحليلاً اجتماعيًا ونفسيًا عميقًا، ولم يكن متحيزًا للجنس اليوناني، فكان بذلك أول مؤرخ يتبع المنهج العلمي التحليلي في كتابة التاريخ(٤).

كذلك هناك المؤرخ "كسينوفون" (Xenophon) (٤٣٠ – ٣٥٤ ق.م)، كتب عدة كتب عن تاريخ بلاد اليونان وتناول موضوعات مختلفة، بعضها عسكري وبعضها اقتصادي وبعضها اجتماعي. ولكنه أقل في تدقيقه وتحقيقه من "ثوكيديديس" رغم أنه كان معاصرًا لما كان يكتبه وأشترك في بعض الأحداث التي كتب عنها. ومن أهم مؤلفاته "التاريخ الهيللينى" (Hellenica) الذي أكمل فيه عمل "ثوكيديديس" عن الحروب البلوبونيزية، تنشئة "قورش" وهو عبارة عن سيرة الملك الفارسي "قورش" (٥٥٩ – ٥٢٩ ق.م) مؤسس الإمبراطورية الفارسية، الحملة (Anabasis): يؤرخ فيه للحملة التي أشترك فيها مع الجنود الإغريق المرتزقة لتأييد الملك الفارسي "قورش" ٤٠١ ق.م، مذكرات عن سقراط يحمل اسم الذكريات (Memorabilia) يدافع فيها عن سقراط ضد السفسطائيين(٥).

---

(١) بلوطرخوس: العظماء" عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم"، المجلد الأول، ترجمة ميخائيل بشارة داود، الهيئة العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٢-٢٣.

(٢) أحمد عتمان: المرجع السابق، ص ٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٢ .

(٤)لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٦١-٦٢.

(٥) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٦٢.

وأيضًا بوليبيوس وهو مؤرخ يوناني ولد سنة ٢٠٠ ق. م فى مدينة ميجالوبوليس، أبوه يُدعي" ليكورتاس" كان قطبا سياسيا فى بلاد اليونان، لذا بدأ الاشتغال بالسياسة في سن مبكرة(١). له أربعين كتابً، يتميز بوليبيوس بالقدرة على التحليل والنقد، ويتمتع بخلفية عسكرية كبيرة، لكونه قائداً عسكرياً فى سلاح الخيالة الإغريقي(٢)- في جيش الحلف الآخي- قبل أخذه رهينة إلى روما بعد معركة بودنا (بيدنا) pydna مع ألفٍ من بني جلدته، قضي فيها عدة سنوات- حوالي ست عشرة سنة- كان خلالها من المقربين "لسكيبيو" ومعلماً لأبنائه(٣)، ودرس أيضاً فى هذه الفترة أخلاق الرومان ونظمهم وتعرف عن قرب علي أقطابهم وبخاصة " أيمليوس باوللوس" "قاهر مقدونيا"، و " سكيبيو ايميليانوس" - "قاهر إفريقيا " أو "افريكانوس"، لذا فإن خبرته السياسية والعسكرية الواسعة ومعاصرته للأحداث أهلته لأن يكون مؤرخاً ملماً ومحللاً جيدا للأحداث التاريخية والتنظيم العسكري للرومان والقرطاجيين والمقدونيين(٤). وكان "بوليبيوس" من أنصار المنهج التحليلي والنقدي، ففي أكثر من مناسبة قام بالمقارنة بين النظام التكتيكي الروماني والإغريقي(٥)، ومات متأثرا بجراح عقب سقوطه من صهوة جوداه حوالي سنة ١٢٠ ق. م(٦).

وعندما تعرف "بوليبيوس" علي أعضاء "حلقة سكيبيو الأدبية"، شجعوه علي كتابة تاريخه المعروف باسم التواريخ Historia الذي يقع فى أربعين كتابا، و للأسف لم يصلنا كاملا إلا الكتب من ١-٥، أما باقي الكتب من ٦- ٤٠ فقد وصلتنا مبتورة في شكل فقرات، عالج فيه "بوليبيوس" الفترة الممتدة من سنة ٢٢٠ ق.م إلى ١٤٦ ق.م. ويعد هذا المؤلف أوثق مصدر عن تاريخ الجمهورية الروماني، وكان هدف "بوليبيوس" من كتابة التاريخ شرح الأسباب التي من أجلها

---

(١) عبد اللطيف أحمد على: المرجع السابق، ص ٥٥.

(٢) M.C. Bishop, & J.C.N.Coulston,Roman Military Equipment From The Punic Wars to The Fall of Rome, Second Editon, Oxford, 2006, p. 40.

(٣) عبد المعطى شعراوي: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٤٢.

(٥) عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص ٥٧ – ٥٩ .

(٦) المرجع نفسه، ص ٥٥- ٥٦

أصبح الرومان سادة البحر المتوسط(١)، وعظمة "بوليبيوس" كمؤرخ شهد لها المؤرخ الألماني "ثيودور مومسن" "Th. Momsen" فقد وصفه "بالشمس الساطعة في حقل التاريخ الروماني"(٢).

وهناك أيضًا ديودورس الصقلي، عاش في الفترة مابين عامي ٨٠ ق.م إلى ٣٠ م، ولد فى اجريوم (اجيرا الآن) فى صقلية. كتب مؤلفا في التاريخ العام أو التاريخ العالمي مؤلف عرف باسم المكتبة التاريخية Bibliotheca historica، تناول فيه التاريخ منذ العصور الأسطورية إلى سنة ٦٠ ق.م، مكون من أربعين كتابا، لم يتبق منها كاملة إلا الكتب من ١-٥، والكتب من ١١-٢٠، التي أمدتنا بمعلومات قيمة عن تاريخ الجمهورية الروماني خلال الفترة الممتدة من سنة ٤٨٠ إلي ٣٠٢ ق .م(٣).

الخطباء:

هناك نوع آخر من الكتابات الأدبية وهي الُخطب التي كان يلقيها خطباء اليونانيين، وقد كانوا كثيرين يتحدثون فيها أمام المجالس الشعبية وأمام الهيئات السياسية والقضائية وغيرها في القضايا السياسية والاجتماعية التي كانت قائمة في المجتمع اليوناني آنذاك. ومنها نعرف الكثير عن العلاقات بين أفراد المجتمع وطبقاته وعن المسائل التي كان يدور حولها الدفع والجذب بين هؤلاء الأفراد وهذه الطبقات. ومن بين أشهر ما وصل إلينا من هذه الخطب تلك المنسوبة إلى بركليس (Perikles) الزعيم الأثيني الذي استكمل النظام الديمقراطي في المجتمع الأثيني في النصف الثاني من القرن الخامس ق.م. كذلك ديموستنيس (Demosthenes)(٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م) الخطيب والسياسي الأثيني الذي ظهر في أواسط القرن الرابع ق.م وظل يحارب تسلط مقدونيا على بلاد اليونان. ومن خلال خطبة أمام المحاكم نعرف الكثير من الأحوال الداخلية في أثينا في تلك الفترة، كما نعرف من خطبة كثيرًا عن السياسة الداخلية والخارجية التي انتهجها المجتمع الأثيني آنذاك. ومن أهم خطبه "الخطب الفيليبية"(The Philipics) التي يستثير فيها المدن الإغريقية لمساعدة مدينة أولينثوس (Olynthus) في مقاومتها لفيليب الثاني، على أننا في اعتمادنا على هذه الخطب السياسية وغيرها، يجب أن نكون حريصين كل الحرص. فالخطيب السياسي يدافع عن قضية ما أو يهاجم أخرى، ومن هنا فهو يبحث عن كل ما يدعم قضيته ولا يذكر

(١) عبد المعطى شعراوي: المرجع السابق، ص ٢٤٢

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٦ -٥٨.

(٣) عبد اللطيف احمد علي: المرجع السابق، ص ٦٠-٦١.

الجوانب السيئة والقائمة المحيطة بها، بينما نجده يذكر كل التفاصيل التي تسيء إلى قضية خصمه وتضعف موقفه، ويجدر بنا عند قراءة هذه الخطب وأن نضع نصب أعيننا أننا نرى فيها جانبًا واحدًا من الحقيقة أو على الأقل نوعًا من المبالغة التي قد تتخذ شكل التهويل أو شكل التهوين في عرض الحقائق([1]).

٣- الفلاسفة والمفكرون والعلماء:

الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو، والمفكرون مثل السوفسطائيين الذين مارسوا لونا من الوان الثقافة العامة، وعلماء الفلك والرياضة والطب. كتابات هؤلاء تجعلنا نتعرف على الانجاز العلمي الذي حققة المجتمع اليوناني(٢).

أدب المسرح:

نتعرف على أحوال المجتمع من خلال شعراء المسرح، أمثال ايسخيلوس، وسوفوكليس، ويوريبديس. أحداث غير حقيقة من خيال الشعراء، لكن المسرحية لا تخلو من شي صادق، كفكرة وارده في المجتمع(٣).

أدب الملاحم:

الملحمة هي رواية أسطورية أو شبه اسطورية مكتوبة بالشعر، الإلياذة والأوديسية، للشاعر هوميروس، وهناك شك في نسبة هذه الملحمتين إليه، والأقرب للصحة أن مجموعة من الأشعار والأناشيد الفلكورية التي تغنى بها الناس لمدة طويلة تصل إلى ثلاث قرون بين ال ١٢ و ٩ق.م قام "هوميروس" بصياغتها وجمعها في شكل ملحمتين. وهذا لا ينكر قدم ووجود هذه الأشعار وفخر اليونانيين بها وانه كان شعرا شعبيا وحببا الى قلوب اليونانيين، على الرغم من الغموض الذي يكتنف ناظم الملحمتين والعصر الذي عاش فيه. وأيضا هزيودوس الأولى بعنوان الأعمال والأيام والثانية بعنوان نسب الآلهة(٤).

([1]) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٦٢-٦٤.
([2]) المرجع نفسه، ص ٦٣-٦٤.
([3]) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٦٤.
([4]) المرجع نفسه، ص ٦٥-٧٠.

المبحث السادس: مراحل التاريخ اليوناني:

يتبادر إلى الذهن تساؤل عن الوقت الذي بدأ فيه تاريخ اليونان، وللأسف تعد الإجابة على هذا السؤال إشكالية كبيرة، فقد أختلف المؤرخون فيما بينهم حول تحديد بداية تاريخ اليونان، حيث يرى بعض اليونانيين أن تاريخهم بدأ بأول ألعاب أولمبية سنة ٧٧٦ق.م(١)، بينما يرى الكثير من المؤرخين القدامي أن بداية تاريخ اليونان يرجع حرب طروادة، فقد بدأ المؤرخ "أراتوستنيس القوريني" تاريخه لليونان بحرب طروادة والتي أرجعها إلى سنة ١١٨٤ق.م، ولكن رفض المفكرين والمؤرخين المحدثين الأخذ بهذا الرأي، حيث يرجعون بداية تاريخ اليونان إلى الهجرة أو الغزو الدوري، أو أول دورة للألعاب الأولمبية سنة ٧٧٦ق.م، لإن الألعاب الأولمبية في أعتقادهم تمثل نقطة الإنتقال من الأسطورة إلى التاريخ الحقيقي لبلاد اليونان. بينما أثبتت الحفائر الأثرية التي جرت خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر أن تاريخ اليونان يعود للعصور الحجرية والبرونزية، ففي هذه العصور ظهرت حضارات عريقة سواء في المنطقة القارية أو في المنطقة الإيجية لليونان، وهذه الحضارات عرفت الكتابة، وهي حضارة الكيكلاديس، والحضارة المينوية، والحضارة الهيلادية(٢).

وعلى ذلك، يقسم المؤرخون تاريخ اليونان في العصر القديم إلى عدد من المراحل المختلفة، وسنتوقف عند مرحلة العصر المتأغرق أو الهيللينستي الذي أفتتحه الإسكندر الأكبر، هذا العصر يمثل تطور لعصور تاريخ اليونان، أصبح فيه المجتمع اليوناني مجرد جزء من تكوين حضاري أوسع يشمل اليونان وبلاد الشرق الأدنى القديم. وألتقت فيه عناصر الحضارة اليونانية مع الحضارة الشرقية. وليس مجرد تسريبات حضارية تأثيرًا وتأثراً(٣).

تشير الشواهد الأثرية إلى أن تاريخ اليونان يبدأ بنهاية العصر الحجري الحديث حوالي ٣٠٠٠ق.م، وأن عصر البرونز بدأ حوالي ٢٨٠٠ق.م إلى ١١٠٠ق.م، وأن "البلاسيجيون" هم أقدم الشعوب التي سكنت بلاد اليونان. ثم جاء بعدهم "الآخيين" الذين ورد ذكرهم عند "هوميروس"، وكانوا يعرفون أقدم صور اللغة اليونانية، التي تنتمي الى مجموعات اللغات الهندوأوربية مع تأثيرات فينيقة ثم لاتينية خلال العصر الهلنستي.

تقسيمات تاريخ اليونان القديم، اختلفت هذه التقسيمات من مذهب إلى أخر.

أولًا: العصر المبكر ويبدأ بدخول الآخيين ١٩٠٠ ق.م وينتهي حوالي ١١٠٠ق.م

---

(١) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٣٩.
(٢) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٦٥-٦٧.
(٣) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٧٣-٧٤.

ثانيًا: عصر دولة المدينة من ١١٠٠ق.م الى ٥٠٠ ق.م

أ. مرحلة البدايات من ١١٠٠ق.م الى ٨٠٠ق.م

ب. المرحلة التطور والاكتمال من ٨٠٠ الى ٥٠٠ق.م

ثالثًا: العصر الكلاسيكي من بداية الخامس الى اواخر الرابع

رابعًا: العصر المتأغرق او الهلنستي من أواخر الرابع إلى الأول ق.م(١).

المبحث السابع: الحضارة الكيكلادية

الحضارة الكيكلادية نسبة إلى جزر الأرخبيل التي تشكل دائرة حول ديلوس، وابرز مراكزها الحضارية كانت في سيروس وسيفنوس وأندروس ويوبوبا وميلوس وأمورجوس وباروس وناكسوس وفيلاكوبي وكيروس(٢).

يرجع الفضل في الكشف عن هذه الحضارة إلى "خريستوس تسونداس" في نهاية القرن التاسع عشر، وهو من أطلق عليها تسمية كيكلادية، تسميت بهذا الأسم نسبة إلى مجموعة الجزر التي تقع وسط بحر إيجة، هذه الجزر تسمي باليونانية كيكلاديس أي دائرة لإنها تتأخذ شكل الدائرة. وتعد حضارة جزر الكيكلاديس أقدم صور الحضارة اليونانية القديمة خلال عصر البرونز. تتميز بمخلفاتها الأثرية الفنية القيمة ذات الدلالة الاجتماعية والحضارية لتطور الفكر اليوناني القديم(٣)، هذه الحضارة تنقسم إلى ثلاث اقسام(٤):

العصر الكيكلادي القديم ٣٠٠٠-٢٠٠٠ق.م

العصر الكيكلادي الوسيط ٢٠٠٠- ١٧٠٠ق.م

العصر الكيكلادي الحديث ١٧٠٠- ١١٠٠ق.م

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.
(٢) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٦٦١.
(٣) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ٥٣-٥٥.
(٤) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٩.

خريطة لجزر الكيكلاديس([1])

بدأ العصر الكيكلادي القديم بعد الانتقال من العصر الحجري الحديث الى عصر البرونز، وحدث هذا فجأة بسبب هجرة جديدة جاءت من شبة جزيرة آسيا الصغرى إلى مجموعة جزر الكيكلاديس. وقد استطاعت هذه الحضارة خلال العصر الكيكلادي القديم أن تفرض سيطرتها وسيادتها على منطقة البحر المتوسط(٢)، وتميز هذا العصر بشيوع استخدام الرخام بشكل رائع وفريد في صناعة تماثيل للإنسان الكيكلادي العادي وهو يمارس حياته اليومية، وعرف عن أهل

([1]) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٢.
([2]) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٩.

الكيكلاديس عادة وضع تماثيل صغيرة مع الموتى، اعتقادًا منهم ان هذه التماثيل تقوم بحماية الميت(١).

وتميزت حضارة الكيكلاديس بالتماثيل الرخامية البيضاء خاصة التماثيل الصغيرة للربة الكبرى، وهي تماثيل بسيطة لدرجة السذاجة، كانت توضع مع الميت في قبره، وأقدم أشكالها كان على شكل الكمان. وفيها الرأس طويلة والأطراف مفرطحة، كما كانت هناك تماثيل لموسيقيين عثر عليها في كيروس، فيها يظهر عازف الناي واقفًا وعازف القيثارة جالسًا(٢).

وأهم ما يميز حضارة الكيكلاديس، الفخار المزين بأشكال هندسية بسيطة تم حفرها كحزوز على جوانب الفخار، أو كانت تشكل على العجينة الطينية قبل حرقها. وأبرز نماذج هذا الفخار عثر عليه في سيروس، حيث ظهر عليه أشكال للسفن التي كانت تستخدم في النشاط البحري. وفي أواخر العصر الكيكلادي ظهر نوع من الفخار المطلي ذات أشكال متطورة(٣).

أعتمد النشاط الاقتصادي للكيكلاديون على البحر، فهم بحارة مهرة، يرجع إليهم السبق في استخدام السفن كوسيلة انتقال بين الجزر، وذلك للإتجار مع الجزر الأخرى القريبة منهم، فضلًا عن ذلك عمل الكيكلادويون بحرفة التعدين وتشكيل المعادن، فقد ذاع صيت جزر الكيكلاديس بطبيعتها الغنية بالمعادن، مثل الذهب والفضة في جزيرة سفنوس والرخام في جزيرة ناكسوس وجزيرة باروس(٤).

لقد انتشرت الحضارة الكيكلادية في شرق المتوسط وشملت مناطق مثل طروادة ولسبوس، وهي حضارة ملاحين، اعتمدت على التجارة والقرصنة، كان أهلها مولعين بتصوير مراكبهم ذات المقدمات العالية، التي تتحرك بالمجاديف وفيها دفة في المنتصف لتوجيهها، كانت هذه السفن قادرة على الإبحار في عرض البحر المتوسط(٥).

وأيضًا تميزت الحضارة الكيكلادية بتماثيل النساء المصنوعة من الرخام، ذات الوجوه المسطحة إلا نتوء بسيط لتجسيد الأنف، بينما كان الجسم على شكل آلة الكمان، ولا يبرز النهدان إلا قليلًا تتشابك أسفلهما الأيدى، تراوحت أحجام هذه التماثيل بين بضعة سنتيمترات إلى مترين،

---

(١) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ٥٥.
(٢) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٦٦١-٦٦٢.
(٣) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٩-٢٠.
(٤) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ٥٥.
(٥) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٦٦٢.

كانت تستخدم لأغراض جنائزية، وسكنوا في منازل مبنية من أحجار متراصة، كانت أحيانًا مزودة ببعض التحصينات، وقبورهم كانت عبارة عن صناديق حجرية أو لحود كبيرة منبسطة(١).

لم تعمر هذه الحضارة طويلًا، فقد فقدت بدايةً من عصر البرونز خصائصها الحضارية واندمجت في الحضارة الطروادية والمينوية(٢)، فقد خضعت الحضارة الكيكلادية خلال العصر الوسيط والحديث لتأثيرات كريتية واضحة، فقد سادت عناصر الزخرفة الكريتية(زخرفة الطيور والنباتات المائية) على الفخار الكيكلادي، وخضعت للتأثير الموكيني خلال العصر الحديث، ثم تعرضت خلال القرون المتأخرة من العصر الحديث لهجرات إغريقية، ثم قام الغزاة الدوريون بغزوها(٣).

المبحث الثامن: الحضارة المينوية:

أثبتت الحفائر الأثرية التي قام بها "هنيرش شليمان"، وجود حضارات سابقة للتاريخ الذي كان متعارفًا عليه كبداية للتاريخ اليوناني- ٧٧٦ق.م – فبعد أن جمع "شليمان" ثروة كبيرة من الأعمال التجارية قام بحفائر في أماكن متعددة من بلاد اليونان، قاده إيمانه العميق بحقيقة الألياذة والأوديسه إلى القيام بهذه الحفائر سواء في طروادة أو موكيناي أو طيبة أو أرخومينوس أو ترينس، وأستطاع الكشف عن حضارة موكيناي وإثبات حقيقة الكثير من أحداث الإلياذة، واستطاع ايفانز الكشف عن حضارة كريت، التي كان لها الفضل الأكبر على الحضارة الهيلادية خاصةً في مجالي الفكر والدين(٤).

فقد بدأت الحفائر الأثرية للكشف عن الحضارة الكريتية في موقع قصر مينوس بجهود العالك "كالوكابرينوس" في نهايات القرن التاسع عشر، ثم جاء بعده هينرش شليمان ولكنه فشل في شراء الأرض من مالكها ، ثم جاءأرثر إيفانز سنة ١٨٩٣ الذي نجح في شراء الارض، واستطاع العثور على بقايا قصر مينوس او قصر كنوسوس(٥).

(١) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٢٠.
(٢) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٦٦٢.
(٣) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٢٠-٢١.
(٤) إبراهيم جندي، المرجع السابق، ص ٦٧-٦٨.
(٥) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٧٨.

وإذا كانت حضارة كريت حضارة غير يونانية بشكلٍ خالص، إلا أن تاثيرها أمتد إلى بلاد اليونان، وسميت بالإيجية نسبة إلى بحر إيجة، والكريتية نسبة إلى جزيرة كريت أقوى مراكزها الحضارية، وسميت بالمينوية نسبة إلى بيت مينوس، البيت الحاكم في كريت([1])، وأول من أطلق على هذه الحضارة أسم الحضارة المينوية هو السير "آرثر إيفانس"، بينما يطلق أخرون عليها اسم الحضارة الكريتية، تلك الحضارة التي استمر ازدهارها حوالي ١٥٠٠عام([2]).

خريطة لموقع كريت

عصور الحضارة الإيجية:

يقسم علماء الآثار حضارة كريت إلى ثلاث عصور، وكل عصر تم تقسيمه إلى ثلاث فترات:

أولا: العصر المينوي العتيق ٣٠٠٠-٢١٠٠ق..م

ثانيا: العصر المينوي الوسيط ٢١٠٠- ١٥٨٠ق.م

ثالثا: العصر المينوي الحديث ١٥٨٠ الى ١٢٠٠ق.م

([1]) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٧٥.
([2]) إبراهيم جندي، المرجع السابق، ص ٧٥.

وينقسم كل عصر من هذه العصور إلى ثلاث فترات أو عصور، فعلى سبيل المثال ينقسم العصر المينوي العتيق إلى العصر المينوي العتيق الأول– العصر المينوي العتيق الثاني– العصر المينوي العتيق الثالث(١).

أصل السكان: يرجح أن بناة حضارة كريت ينتمون إلى جنس البحر المتوسط، استمرت في الازدهار الى ان انهارت سنة ١٤٠٠ق.م بسبب غزو خارجي، فقد اشتعلت الحرائق واعمال التخريب بالجزيرة، مما ادي لانهيار الحضارة المينوية، ويرى بعض العلماء أن الموكينيين هم الذين قاموا بتدمير كريت، بسبب التنافس التجاري بينهم الذي انتهي بالاصطدام المسلح وهزيمة الكريتيين(٢).

ألمع مراكز الحضارة المينوية كانت في جزيرة كريت، وجورتين وليكنوس وميلتوس وفايستوس وريتيون(٣)،

واشتهر أهل كريت بالعمل كبحارة ، فقد انتشرت أساطيلهم في البحار تبحث عن المواد الخام مثل الذهب والفضة والقصدير والنحاس والعاج وحجر اللازورد، وأقاموا العديد من المحطات البحرية التي عملت كسواق تجارية للتبادل والمقايضة. واهتموا بعمل شبكة طرق تربط بين الجزر، واقامة الجسور العالية، والقناطر والقنوات والترع والصرف، وتشكيل المعادن، وكان لهم ذوق فني رفيع(٤).

وكان الملك صاحب السلطة المطلقة باعتباره ينحدر من نسل الآلهة، وبالتالي فإن قوانينه وحي يوحي إليه، مما دفع الشعب إلي الاعتقاد بانه قاضي الموتى أيضًا. وكانت شاراته هي البلطة الزدوجة وزهرة الزنبق، وكان يقوم بجباية الضرائب عيناً في شكل حبوب وزيت وخمر ويخزنها بمخازن القصر ، وكان يدفع رواتب موظفيه عينا، وكان القاضي الاكبر في البلاد(٥).

خلال العصر المينوي العتيق كانت كريت في وضع المستقبل للمؤثرات الحضارية القادمة من الشرق أكثر من وضع الإرسال، وبالتالي لم تكن لها شخصية مميزة ومستقلة، ونظراً لاعتمادها

---

(١) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٨٠.
(٢) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٣٢، -٤١-٤٢.
(٣) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٧٥.
(٤) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٣٦-٣٧.
(٥) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٢٧-٢٨.

في تكوين حضارتها في هذه الفترة على الشرق، فاننا نجد مدنها الهامة قامت في الجزء الشرقي من الجزيرة(١).

وبالنسبة لمظاهر الحضارة الإيجية فقد وصل الفن المعماري إلى درجة لا بأس بها في قصور كنوسوس وفايستوس. وبلغت صناعة الخزف مرحلة كبيرة من التقدم، فبعد أن كانت الأواني الفخارية تطلى بطلاء أسود عليه رسوم زخرفية غير واضحة، تطورت وأصبحت تضم صوراً مفصلة للحياة النباتية والحيوانية والبحرية(٢).

وحوالي ١٧٥٠ق.م حدث دمار جزئي في بعض قصور كريت، وقد أرجع البعض السبب في ذلك إلى حدوث سلسلة من الزلازل التي ضربت المنطقة، بينما ارجع البعض ذلك الى حدوث ثورات اجتماعية ضد السلطة الحاكمة(٣).

ظهرت كتابة كريت في شكل صور مثل الهيروغليفية ثم تطورت إلى كتابة في شكل خطوط، كل خط منها يمثل مقطعاً. وتم العثور على هذا الخط منقوشاً على منضدة لقرابين الشراب في كهف أحد جبال كريت(٤).

وخلال العصر المينوي الحديث ازداد الاتصال المباشر بين مصر وكريت، ووصلت سفن الكريتيين أو الكفتيو الى مصر، وازداد التبادل التجاري بينهم، وقدم التجار الكريين الهدايا للفرعون(٥).

وعرف الكريتيين المسرح وبعض انواع الترف مثل مصارعة الثيران، وعرفوا نوعا متقدما من الكتابة، وظهرت في كتاباتهم الارقام والكسور، وعرفوا التعامل بالعملة المعدنية، مما يوحي بنشاطهم في المعاملات التجارية(٦).

وكان لسكان كريت علاقات تجارية مع مصر فقد عثر علماء الآثار على إناء كريتي ذا ألوان متعددة في أبيدوس بمصر، ووجد في طيبة في عهد تحتمس الثالث، صورة لأمرأة من الكيفتيو keftiu(الأسم الذي أطلقه المصريين على سكان كريت)، وهي تحمل كاساً في يديها، وتم العثور على تمثال صغير مصنوع من الحجر لشخص مصري منقوش عليه أسمه بحروف مصرية بين

---

(١) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٤٠.
(٢) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٧٦.
(٣) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٤٠.
(٤) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٧٦-٧٧.
(٥) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٤١.
(٦) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٧٨.

مخلفات أحد القصور الملكية في كنوسوس. والعلاقات التجارية بين كريت ومصر علاقات قديمة وجدت منذ وقت مبكر، لكنها كانت بشكل عابر أو متقطع، انتظمت خلال القرن الخامس عشر ق.م، أثناء عظمة وقوة الحضارة الكريتية. وعرفت مصر في هذه الفترة الزيت الكريتي والأواني الفخارية الكريتية. ملوك الكيفتيو وفقًا للنصوص المصرية القديمة قدموا الهدايا والقرابين لملوك الأسرة الثامنة عشر، وذلك نظراً لامتداد نفوذ المصريين إلى منطقة بحر إيجة وخاصة تحتمس الثالث(١).

احتلت المرأة في مجتمع كريت مكانة مرموقة، فقد كانت تذهب إلى الاسواق والملاعب والمسارح، سواء كانت من الطبقة العليا أو الطبقة الدنيا في المجتمع، وتمتعت بمكانة احتماعية مساوية للرجل إن لم تكن مكانة أعلى من مكانة الرجل. فقد كن يقومن بالأعمال المزلية، وأعمال الزراعة، وصناعة الخزف وغيرها من المهن، وخرجن للصيد، وركبن عجلات السباق، واشتركن في الألعاب البهلوانية ومصارعة الثيران، وجلسن في المقاعد الأمامة في المسارح والملاعب، وقد حظيت المرأة بتقدير واحترام المجتمع لها، وكانت النساء يشرفن على اقامة الطقوس في معابد الربات(٢).

وتعرضت كريت سنة ١٤٠٠ق.م إلى دمار شامل مفاجيء، حيث الحرائق والتخريب العمدي في كل الجزيرة، وذلك يشير إلى هجوم شعوب بحر على الجزيرة، مما أدى إلى إنهيار الحضارة الكريتية، ويرجع البعض ذلك بسبب التنافس التجاري بين كريت وموكيناي، وتم تدمير الحضارة الكريتية على يد الموكينيين، بعد أن انتقل مركز القوة والسيادة من كريت الى بلاد اليونان بعد عام ١٤٠٠ق.م، حيث سطوع نجم موكيناي في شبة جزيرة البلوبونيز، وتوسع المصالح الموكينية شرقًا فيما بين ١٤٠٠-١٣٥٠ق.م، ووصول هذا التوسع الى السواحل المصرية. حيث انتهى هذا التنافس بالصدام الدموي وزوال كريت(٣).

(١) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٨١-٨٢.
(٢) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٥٠-٥١.
(٣) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٤١-٤٢.

المبحث التاسع: الحضارة الهيللادية

أطلق العلماء على حضارة بلاد الإغريق الأصلية في عصر البرونز اسم الحضارة الهيللادية، نسبة إلى هيلاس، وعرفت أيضًا بالحضارة الموكينية نسبة إلى موكيناي في سهل أرجوليس، أقوى المدن التي كانت موجودة في عصر البرونز المتأخر، وقسموها إلى ثلاثة عصور هي:

العصر الهيللادي العتيق ٣٠٠٠-٢٠٠٠ق.م

العصر الهيللادي الوسيط ٢٠٠٠-١٦٠٠ق.م

العصر الهيللادي الحديث ١٦٠٠-١١٠٠ق.م(١)

وتشير المصادر التاريخية المختلفة من روايات وأساطير وأشعار هوميروس إلى أن أصل الموكينيين يرجع إلى امتزاج الكثير من الشعوب الهندو أوروبية التي جاءت إلى شبة جزيرة البلقان في الألف الثانية قبل الميلاد(٢). وهؤلاء الغزاة الجدد كانوا طوال القامة ذوي بشرة شقراء، تكلموا لغة هندو أوروبية، جاءوا من شمال أوروبا الشرقية، سيطروا على البلاسجيين- دخلوا بلاد اليونان خلال الفترة من ٣٥٠٠ حتى ١٩٠٠ق.م وامتزجوا مع السكان الأصليين لليونان من عنصر البحر المتوسط- بأسلحتهم البرونزية، وأصبحوا حكامًا عليهم، وأمتزجوا بالبلاسجيين عرقيًا وحضاريًا، وأخرجوا لنا عنصرًا جديدًا أطلق عليه هوميروس اسم الآخيون(٣).

بدأت الحضارة الموكينية في "موكيناي" و"تيرنس"، تقع موكيناي في شمال شرق البلوبونيز فوق تل يرتفع عن سطح الارض بنحو ٩٠٠ قدم، وبذلك فهي محصنة طبيعياً، كما إنها تتحكم في الطرق المؤدية إلى شمال بلاد اليونان. وكانت تتحكم في طريق الإتصال بين أرجوس والبلوبونيز(٤). بينما تقع تيرنس جنوب موكيناي على بعد ميل ونصف من البحر، تقع على هضبة قليلة الارتفاع مكونة من ثلاث درجات، قصر الملك في الدرجة العليا منها(٥).

والبلاسجيون بناة الحضارة الهللادية لا ينتمون إلى الشعوب الهندو أوربية، وفدوا إلى اليونان من جنوب غرب آسيا الصغرى، ويرجع أصلهم إلى السكان المعاصرين لهم في الكيكلاديس

---

(١) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ١٠٩.
(٢) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الاغريق، ص ٨٨.
(٣) سيد أحمد على الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ص ٢٣-٢٦.
(٤) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٨٢-٨٣.
(٥) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٧٢.

وكريت، لم يدخلوا اليونان كغزاة فاتحين بل كمهاجرين، دخلوا البلاد بعد ٣٠٠٠ق.م، وامتزجوا بالسكان الأصليين للبلاد(١).

وأهم مراكزها الحضارية مدينة موكيناي، ومدينة أرجوس، ومدينة "تيرنس" أو "تيرنيثوس"، و"بيلوس"، وكورنثا، ويلكوس، وأرخومينوس وطيبة، وأثينا في أتيكا(٢).

وتختلف الحضارة الموكينية عن الحضارة الكريتية، بأن الحضارة الموكينية حضارة يونانية الأصل، بينما لم تكن الحضارة الكريتية حضارة يونانية الأصل. فضلًا عن ذلك بدأت الحضارة الموكينية في وقت متأخر خلال الفترة من ١٦٠٠ق.م إلى ١١٠٠ق.م. أي بعد تدهور الحضارة الكريتة بحوالي قرن من الزمان(٣).

ويرجع الفضل في إكتشاف لموقع "موكيناي" في شمال شرق البلوبونيز إلى العالم الألماني "هينريش شليمان"، الذي كشف أيضًا عن موقع "طروادة" عند مدخل الهلسبونت(الدردنيل)، مما أعطى قيمة تاريخية لملحمتي هوميروس الإلياذة والأوديسة. فقد عثر شليمان على الكثير من الذهب في العديد من المقابر، وأكتشف شبكة طرق ونظام تصريف للمياة، مما يدل على وجود مجتمع غني وقوي(٤).

ويتشابه القصر الملكي في تيرنس بقصر كنوسوس، حيث كثرة الممرات والغرف، ويختلف عنه في عدم وجود باحة مركزية مكشوفة، فقد بنيت الغرف حول قاعة واسعة مسقوفة، والفصل بين القسم الخاص بالنساء والأقسام الأخرى. وبرغم تجاور غرفة المل لغرفة الملكة في القصر لكن ليس هناك اتصال مباشر بينهما، فلكل منهما مدخل مستقل(٥).

وقام الموكينيين بغزو كريت سنة ١٤٠٠ ق.م، وحطموا المدن والقصور وقضوا على مراكز الحضارة فيها، وسيطروا على الجزيرة عنوة، وبعد ذلك التاريخ تطورت التحصينات في القصور الملكية وتطور تصميم القصور، وتابع الموكينيين أساليب الفن الكريتي في الزخرفة والرسوم على الجدران(٦).

---

(١) عبد اللطيف أحمد على، المرجع السابق، ص ٦٦٥.
(٢) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٥٣.
(٣) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٨٢.
(٤)
(٥) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٧٢-٧٣.
(٦) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٥٣-٥٥.

وتتضح لنا عظمة الحضارة الموكينة من عظمة قصر الملك الموكيني، الذ من خلاله يتبين لنا وجود مركزية بيروقراطية، كان الملك الموكيني يلقب بلقب واناكس، وهو لقب ديني يشير إلى تحكم الملك في السلطتين الدينية والتنفيذية، ويأتي بعد الملك اللاواجيتاس أو قائد الشعب، المسؤل عن الجيش الموكيني، ثم أصحاب الضياع وتمتعوا بحصانة دينية، ثم الأتباع الذين كان يتكون منهم الجيش الموكيني(١).

كان المجتمع الموكيني مجتمع طبقي، انقسم إلى طبقتين، طبقة الأحرار وطبقة العبيد، كانت طبقة الأحرار مقسمة إلى فئات وطوائف حرفية، ولكل طائفة اسم يميزها عن الأخرى، ولكل منها نصيب من الدخل يوزع عليها، وكل طائفة متخصصة في عمل، ومن هذه الطوائف طائفة صناع السفن، وطائفة الفاخورية، وطائفة الغزالين، وطائفة النساجين، وطائفة صانعي العطور، وطائفة صانعي الذهب والبرونز، أما طبقة العبيد فقد كانوا مسلوبين الإرادة ومملوكين للأفراد وللآلهة(٢).

ومقارنة الحضارة الموكينية بالحضارة المينوية، فإننا نجد الحضارة الموكينية أكثر بساطة وأقل إسرافًا من المينوية، وأكثر ميلًا للنظام والنظافة. فقد حرصوا على التخلص من القمامة من قصورهم، وكان القصر هو مقر الإدارة والحكم، وقد بنى الموكينيون مدنهم أعلى التلال لكي تكون محصنة طبيعًا ضد الأخطار الخارجية(٣).

وكانت ملكية الأراضي في موكيناي تنقسم لنوعين ملكية عامة وأخرى ملكية خاصة. فبعض الأراضي كانت وقفًا للصالح العام أو للآلهة(٤).

ويغلب على طبيعة الشعب الموكيني الطابع العسكري الصارم، فمن خلال الرسوم التي زينت قصر "تيرنس" وقصر "ميكيني"، يتضح أن هذه الرسوم لا تتعلق بالمناظر الطبيعية أو الحيونات أو النباتات كما في قصر "كنوسوس"، بل كانت تمثل الحرب والصيد وصناعة الأسلحة، والمعارك، والدروع، فقالحضارة الموكينية لم تكن على درجة من الرقي والترف مثل الحضارة الكريتية(٥).

---

(١) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٥٣.
(٢) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ١٢١.
(٣) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٣٢.
(٤) المرجع نفسه، ص ٥٣.
(٥) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٧٥.

لعب الأسطول دورًا هامًا في جيش موكيناي، نظراً لطبيعة البلاد الساحلية، تمدنا وثائق بيلوس بقائمة تتضمن مجموعة من أسماء المجدفين في الأسطول الموكيني، وكان الموكينيين يستخدمون السفن التجارية في الأغراض العسكرية والقرصنة في أعالى البحار(١).

كما قام الموكينيين بأعمال القرصنة، ولذلك كانوا ينشأون مدنهم بالقرب من البحر، لحمايتها من الأخطار الخارجية ولاستخدامها لمهاجمة السفن من جهة أخرى. ولكن بعد إدراكهم لفائدة التجارة الخارجية تراجعوا عن القرصنة، وأخذوا يحاربون القراصنة وانصرفوا إلى التجارة(٢).

كانت ديانة موكيناي مشتركة مع ديانة كريت، ويطلق علماء الدين القديم على هذه الديانة اسم الديانة المينوية–الموكينية، حيث ان شعائر وادوات العبادة تكاد تكون واحدة في الحضارتين، فالآلة الأكبر في الحضارتين أنثى، ثم يجيء بعدها آله ذكر أقل منها في المرتبة(٣).

ومن أهم الصناعات التي كان يعمل بها الموكينيين صناعة الأواني الفخارية والحجرية والمعدنية البرونزية والذهبية، وكذلك صناعة الملابس الصوفية وصناعة الغزل والنسيج، وعصر الزيوت، وصناعة سبك المعادن، وصناعة العطور ، وصناعة المستحضرات الطبية، وصناعة بناء السفن(٤).

دفعت الطبيعة العدوانية للأخيون أو الموكينيون إلى شن حرب على طروادة، فقد كان الشعب الموكيني شعب عدواني، فقد حاصروا الكثير من المدن أكثر مما حوصروا، حيث أدى التنافس التجاري والبحري والرغبة في الاستحواذ على الأسواق التجارية الخارجية بين موكيناي وطروادة إلى اشتعال فتيل هذه الحرب(٥).

وخلال النشاط التوسعي للموكينيين أصطدموا بالتوسع الجارف لمدينة طروادة، التي كانت بحكم موقعها الاستراتيجي تقوم بحراسة المضايق، وتسيطر على طرق القوافل ، مما دفع موكيناي إلى الهجوم عليها، ونشأ عن ذلك حروب طروادة المعروفة(٦).

وتشير الرسوم الجدارية أو رسوم الأفرسك إلى عناية المرأة الموكينية بنفسها، فقد ظهرت المرأة الموكينية وهي ترتدي الملابس الأنيقة وشعرها المصفف وحليها الرائعة مثل المرأة الكريتية،

---

(١) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٦٤.
(٢) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٧٦.
(٣) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٥٨.
(٤) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ١٢٦.
(٥) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٦٩.
(٦) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٧٧-٧٨.

وكانت المرأة الموكينية تذهب الى المسرح ولها مقصورة خاصة بها، ولكن هذه الرسوم تظهر عدم اهتمام المرأة الموكينية بالرياضة مما أثر على قوامها(١).

بعد انهيار حضارة كريت وانتقال معظم خصائصها الى موكيناي، حملت موكيناي مشعل الحضارة ونقلت تراث كريت إليها، وحافظ الموكينيين على الحضارة في العالم الايجي، وسيطروا تجاريًا على جزر بحر ايجة، وأقاموا علاقات مع قبرص وسورية ومصر وايطاليا واسبانيا، ونقلوا حضارة كريت إلى شبة جزيرة البلقان وإلى كثير من أنحاء البحر المتوسط(٢).

وكان الموكينيين يصدرون الأواني الفخارية إلى صقلية وجزر ليباري شمال جزيرة صقلية، وكانوا يأخذون النحاس من أترووريا، ويعتقد البعض أن سفن الموكينيين وصلت إلى شبة جزيرة ايبريا للحصول على القصدير والفضة، وقد عثر على آثار موكينية عديدة في شمال وجنوب فرنسا وبريطانيا ووسط أوروبا، مما يؤكد على وجود علاقات دولية بين موكيناي وهذه المناطق(٣).

وكانت الزراعة هي الركيزة الأساسية في الاقتصاد الموكيني، حيث كان يعمل معظم السكان في الزراعة، وتميزت الزراعة بدقة التنظيم وذلك يتضح من قوائم تسجيل المحاصيل وأنواعها ونصيب الآلهة والقصور الملكية منها، وكان القمح والشعير من أهم الحاصلات الزراعية التي ورد ذكرها في الوثائق، وقامت بعض الصناعات القائمة على الزراعة مثل صناعة زيت الزيتون وصناعة المنسوجات الصوفية، التي كانت أهم مصادر ثراء الموكينيين، حيث كان يصدر الفائض إلى معظم أنحاء البحر المتوسط(٤).

واهتم الموكينيين اهتمام بالغ بالطرق، حيث قاموا بانشاء شبكة الطرق من أجل التجارة والجيوش، وشقوا الطرق وأقاموا الجسور، أشهرها الطريق الذي يبدأ من أكروبول موكيناي إلى بروسيمنا، والطريق الجبلي بين موكيناي وكورنثا، واقاموا القلاع على هذه الطرق، لحراسة القوافل التجارية، وفرضوا رسومًا على استخدام الطرق(٥).

وتشير الأواني المرمرية المصرية التي تم العثور عليها بكثرة في القبور الموكينية إلى وجود علاقات قوية بين مصر وموكيناي، فضلًا عن ذلك فان رسوم الحوائط في طيبة التي تعود للأسرة الثامنة عشرة تصور رجال كفتيو أي أهل كريت وهم يقدمون الجزية للفرعون في شكل حلقات ذهبية

(١) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ١٢٢.
(٢) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٧٧.
(٣) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٦٤-٦٥.
(٤) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٦١-٦٢.
(٥) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٦٢.

وفضية وجواهر ثمينة وادوات زينة وسبائك نحاس ومنسوجات صوفية، وكان لمصر صادرات الى بلاد اليونان، لكن مناخ اليونان لم يساعد على بقائها(١).

وحظي الجيش على أهمية كبيرة في المجتمع الموكيني، وتكون بشكل أساسي من طبقة الأتباع العسكرية باكويتاي، وهؤلاء كانوا أتباعًا للملك الموكيني، وينتمون في الأغلب إلى طبقة الأشراف، كان لديهم عربات حربية، وكانوا أعضاء في هيئة عسكرية تحت إشراف وتنظيم القصر الملكي(٢).

ومنذ أواخر القرن الثالث عشر وحتى نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد بدأت الحضارة الموكينية في الانهيار والزوال، وقد ظهر ذلك في التحصينات الدفاعية الموكينية التي بدأت تتزايد منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لتخوفهم من الخطر الخارجي ، ولاهتمامهم بحماية مواردهم المائية ، فضلًا عن قبام موكيناي بتخزين الغلال في صوامع كاجراء احترازي وقائي في حالة حدوث هجوم عليها(٣).

وتعرضت بلاد اليونان خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى غزو قبائل الدوريين القادمين من الشمال الى اليونان، ينتمون الى العنصر الهندو أوروبي، احتلوا معظم البلوبونيز بعد جيلين من سقوط قرطاجة، لقبوا هجرتهم باسم عودة آل هيراكليس البطل الأسطوري الإغريقي، تسبب هذه القبائل تعرضت القصور الموكينية في بيلوس ويولكوس للحرق والتدمير حوالي سنة ١٢٠٠ق.م، ووصل الدمار الى تيرنس وأرجوس وأسبرطة الموكينة في أواحخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد(٤).

وفي خلال هذه الفترة من الضعف والانهيار الذي شهدته موكيناي شنت حربها ضد طروادة في سبيل تجديد دمائها إلى ان هذه المحاولة باءت بالفشل الذريع، فانتصار موكيناي على طروادة وتدميرها، لم يمنعها من السقوط، ولم يمد موكيناي بأكسير الحياة، حيث سقطت بعد فترة وجيزة من حرب طروادة على يد الغزاة الدوريين(٥).

وقد انتهت الحضارة الموكينية تماماً خلال القرن العاشر قبل الميلاد، بسبب القبائل الدورية التي قامت بغزو بلاد اليونان ١١٠٠ق.م، مما أدى إلى دخولها في فترة تخلخل حتى سنة

---

(١) المرجع نفسه، ص ٦٦.
(٢) المرجع نفسه، ص ٦٣.
(٣) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٢٦.
(٤) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٧١.
(٥) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٦٣.

٨٠٠ق.م، ودخول عناصر جديدة الى المجتمع، امتزجت مع السكان الأصليين، وظهور نظام دولة المدينة(١).

المبحث العاشر: العصر الهوميري (طرودة)

طروادة هي المدينة التي ورد ذكرها في ملحمة الألياذة عند هوميروس باسم إليوس أو إليون، وعرفت المدينة بعد عصر هوميروس باسم طرواس، والحرب الطروادية نسبة الى طروادة، واسم ملحمة الالياذة مشتق من إليوس اسم المدينة الواردة في ملحمة هوميروس، وتقع طروادة في إقليم ميسيا في شمال غرب شبة جزيرة آسيا الصغرى، يحدها غربًا بحر ايجة، ومضيق الدردنيل من الناحية الشمالية الغربية، ويحدها جنوبًا خليج ادراميتيوم، وقلعتها تسمى برجاموس(٢).

عثر شليمان على طروادة عند التل المعروف بلآن باسم حصارليك، حيث وجد تسع مدن واحدة فوق الأخرى، اصطلح علماء الآثار على ترقيمها حسب الأقدمية من الأدني أي الأقدم إلى الأعلى أي الأحدث. وبذلك فإن أقدمها هي طروادة رقم (١) وأحدثها طروادة (٩)، وقد ظن شليمان خطأً أن طروادة هوميروس هي طروادة الثانية، لكن ثبت تاريخيًا وأثريًا أن طروادة هوميروس هي طروادة السادسة(٣).

ويرجع تأسيس طروادة – التي جاء ذكرها في ملحمة الإلياذة أو ما يعرف بطروادة السادسة– إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد، وقد تأسست المدينة على بقايا مدن سابقة لها كانت قائمة في نفس موقعها، لكن طروادة "هوميروس" كانت أكبر في المساحة، كان للمدينة سور كبير مبني من الأحجار، تم بناء قصر الملك الطروادي على قمة الهضبة في المدينة، والقصر الملكي الطروادي يشبه قصر موكيناي وقصر تيرنس(٤).

وكان نظام الحكم في طروادة نظام ملكي، وكان ملكها وقت هجوم الآخيين هعليها هو الملك برياموس، الذي عرف عنه بتعدد الزوجات وكان له الكثير من الأبناء، ويميل طبع أهل طروادة إلى السلم والفضيلة(٥).

وتشير الشواهد التاريخية ان سكان طروادة كانوا مزيجًا من شعوب مختلفة سكنت آسيا الصغرى، وكانوا خاضعين لحكم الحثيين وحلفاء لهم، حيث تذكر المصادر المصرية اسم "دردنوي"

---

(١) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٢٦.
(٢) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٢٥-١٢٦.
(٣) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٦٦٦-٦٦٩.
(٤) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٨٢.
(٥) على عكاشة وشحادة الناضور، المرجع السابق، ص ٢٩.

أي الطرواديين بين حلفاء الحثيين في معركة قادش، واطلق "هوميروس" على الطرواديين الاسم نفسه. ويرى البعض أن الطرواديين جاءوا من تراقيا، بينما يعتقد "سترابون" انهم جاءوا من كريت بعد سقوط كنوسوس وسكنوا طروادة، وعلى الرغم من محاولة المؤرخين اليونانيين بتصوير طروادة بانها مدينة آسيوية، لكن "هوميروس" ذكر ان الطرواديون كانوا يتحدثون اليونانية، ويتعبدون للآلهة اليونانية، لذا تعد طروادة حضاريًا جزء من العالم الإيجي(١).

وكانت طروادة قبل "شليمان" مجرد أسطورة في ملحمة الإلياذة، لكن بفضل "شليمان" تحولت طروادة من أسطورة إلى حقيقة، فقد استطاع شليمان الكشف عن موقع طروادة التي قام اليونانيين بإحراقها وتدميرها، فقد كشفت الحفائر التي قام بها "شليمان" عن تسعة مدن تاريخية فوق بعضها البعض في موقع طروادة، وثبت أثريًا أن طروادة "هوميروس" هي طروادة السادسة. ولا شك أن طروادة شكل من الناحية الحضارية إحدى حلقات الحضارة الإنسانية، فهي حلقة متوسطة بين حلقات الحضارة الإيجية(حضارة كريت)، وللأسف كان تدميرها على يد اليونانيين بمثابة النهاية للحضارة الإيجية(٢).

وتأثرت حضارة طروادة في نشأتها بالحضارات القريبة منها جغرافيًا، فقد كانت طروادة نقطة اتصال وامتزاج حضاري، فقد تأثرت بالحضارة الإيجية في كريت والحضارة الموكينية في بلاد اليونان القارية، فضلًا عن تأثرها بعناصر حضارية ليديه وحثية وفينيقة ومصرية وبابلية وآشورية، ومزجت هذه الحضارات ونقلتها لليونان، وتتميز الحضارة الطروادية بكونها ضارة تجارية، اعتمد نشاطها الاقتصادي بشكل رئيس على التجارة(٣).

وقد كان المجتمع الهوميري خلال القرن التاسع قبل الميلاد، مجتمعًا نابضًا بالحركة والنشاط في مناحي الحياة، فلم يكن هذا المجتمع قاصرًا على التسلية والترفيه القائم على أشعار هوميروس وما بها من روايات بطولية، فقد عرف اليونانيون الزراعة والرعي كمصادر اقتصادية ومارسوا حرفتي التجارة والصناعة وقاموا بالهجرة إلى خارج وطنهم الأم(٤).

وينسب العصر الهوميري إلى الشاعر هوميروس الذي تنسب إليه ملحمتي الألياذة والأوديسا، وجاء هذا العصر بعد الجمود الحضاري الذي أصاب بلاد اليونان بعد الغزو الدوري،

---

(١) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٨٠-٨١.
(٢) على عكاشة وشحادة الناضور، اليونان والرومان، ص ٢٩.
(٣) على عكاشة وشحادة الناضور، المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.
(٤) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١٣٠٩.

حيث أثرت أشعاره الهومرية على حياة الناس الذين في هذا العصر، مما دفع العلماء إلى إطلاق اسمه على هذا العصر أو اسم الأبطال الذين ورد ذكرهم في الملحمتين، فعرف العصر أيضًا بعصر الأبطال([1]).

ويتفق المؤرخين أن أحداث الألياذة وقعت خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وكانت الألياذة في البداية تروي أحداثًا حقيقية، إلا إنها صيغت بعد ذلك في عصر غير العصر الذي تتحدث عنه، تم صياغتها في شكل ملحمي خلال القرن الثامن قبل الميلاد بواسطة شاعر عبقري استطاع أن يحول أشعارها إلى ملحمة شعرية رائعة، والدليل على ذلك أن مظاهر الحياة الواردة في الألياذة تنطبق على القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، فضلًا عن ذلك أثبت علم الآثار أن الموكينيين كانوا يدفنون موتاهم في قبور فخمة بينما تروي الألياذة أن الآخيين كانوا يحرقون موتاهم([2])، وعلى ذلك يرى معظم المؤرخين أن هوميروس وصف أحداث تاريخية قديمة جدًا بالنسبة للفترة التي عاش فيها، فقد وقعت هذه الأحداث ما بين ١٢٨٠-١١٨٣ق.م، أي قبله بحوالي ثلاث قرون، وبذلك فإنه أخذ روايته للحرب من الموروث الشعبي الشفهي الذي كان معروفًا منذ فترة بعيدة([3]).

وتتكون الألياذة من أبيات شعرية تزيد على خمسة عشرة ألف بيت، وهي تمثل قمة الشعر اليوناني، تتناول الحرب في شكل ملحمي لرجال كرسوا حياتهم للقتال للمجد الشخصي بإيعاز من الآلهة(٤)، تتناول الألياذة أحداث الواحد والخمسين يومًا من السنة العاشرة في حرب طروادة، حيث غضب أخيليوس من أجاممنون قائد الآخيين، وانسحابه من القتال ورفاقة من المورميديين، وانقسام الآلهة الإغريقية واقتتالهم مع بعض، وغضب أبوللون لخطف ابنة كاهن معبده، ولذلك عم الوباء وانهزم الآخيين. ودعوة أجاممنون لأخيليوس بالعودة ، لكن أخيليوس رفض ذلك، لكن بعد مقتل صديقة باتروكلوس على يد هكتور عاد للقتال بعد ان صنع له هيفايستوس اله الحدادة درع جديد، وقام بقتل هكتور، وذهب بريماوس يتوسل إلى أخيليوس لكي يأخذ جثمان ابنه، ويلبي أخليوس طلب بريماوس، الذي عاد بجثمان ابنة الى طروادة في جنازة كبيرة، وبذلك تنتهي احداث ملحمة الالياذة(٥).

([1]) سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص ٨٣.
([2]) المرجع نفسه، ص ٨٣-٨٤.
([3]) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١٢٩.
([4]) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٠٧.
([5]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٨٦-٨٧.

وقد عملت الألياذة على تنمية الرابطة المشتركة بين اليونانيين فهي ملحمة قومية، غرست الكبرياء فيهم رغم التفكك السياسي بينهم، وارتبط الإغريق بها في كل مكان ذهبوا إليه فقد كانت تدرس لأبناء الإغريق في مصر حتى القرن الرابع الميلادي(١).

المبحث الحادي عشر: أسباب حرب طروادة ونتائجها

تعتمد مصادرنا في الكتابة عن حرب طرواده وأسبابها على المصادر الوثائقية التي قام بها الأثريون في آسيا الصغرى، والمصدر الهومري للحرب المتمثل في أشعار هوميروس سواء الألياذة أو الاوديسة(٢).

ويجدر بنا البحث عن أسباب الحرب التي اندلعت بين الآخيين وطروادة خلال القرن الثالث عشر، هذه الحرب التي شغلت أحداثها عقول الناس على مدى العصور، يرى "يوربيديس" أن سبب الحرب يرجع إلى تضخم عدد سكان اليونان وحاجتهم إلى التوسع، حيث ينكر "يوربيديس" و"هيرودوت" أن يكون سبب الحرب هو خطف هيلين، فمن وجهة نظرهم ليس من المعقول أن يقوم الآخيين بشن الحرب ضد الطرواديون لمدة عشر سنوات من أجل امرأة، بل ينكران ان هيلين قد ذهبت من الأساس إلى طروادة، حيث يعتقدون انها كانت في مصر وكانت تنتظر مجيء "مينلاؤس" للبحث عنها(٣).

ويرى هوميروس أن الحرب نشبت بين الآخيين والطرواديين بسبب أخلاقي تمثل في قيام الأمير الطروادي باريس باختطاف هيلينا زوجة مينلاوس بعد ان نزل ضيفًا عنده، مما جعله مينلاوس يطلب العون من الآخيين للأنتقام من الضيف الخائن، ولذلك تكون خلف من الآخيين بقيادة أجاممنون ملك موكيناي لنصرة مينلاوس واسترداد زوجته، وقد ربط هوميروس هذا السبب بالخلاف الذي وقع بين الربات اليونانيات بسبب التفاحة الذهبية، التي أعطاها باريس لافروديت مما أثار غضب أثينا وهير على باريس(٤).

يرجع السبب الحقيقي للحرب بين الآخيين وطروادة إلى النزاع الذي شب بينهما من أجل السيطرة على مضيق الهلسبونت والأراضي الخصبة المحيطة بالبحر الأسود، وبينما وقفت آسيا

---

(١) سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص ٨٣-٨٤.
(٢) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٠٦.
(٣) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٨١.
(٤) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ١٣١-١٣٢.

الصغرى كلها خلف طروادة، فإن بلاد اليونان وقفت خلف "أجاممنون" ملك "موكيناي" لشن الحرب ضد طروادة(١).

احتل موقع طروادة أهمية الاستراتيجية واقتصادية كبيرة، فقد كانت طروادة تقع على طريق القوافل التجارية القادمة آسيا ومن البحر المتوسط وبحر إيجة، وأصبحت منطقة لتبادل السلع والمنتجات التجارية، وقد استفادة السلطة الحاكمة من ذلك بفرض رسوم وضرائب مكوس على هذه السلع. أدت إلى اذدهار اقتصادي كبير لطروادة، ولا شك أن ذلك أثار غيرة وحقد جيرانها عليها خاصة جيرانها الآخيون، الذين شنوا عليها حربًا ضروسًا، وحاصروها لمدة عشر سنوات من ١١٩٤-١١٨٤ق.م(٢).

وبالإضافة إلى ذلك أدى إغلاق حكام آسيا الصغرى لباب التجارة في منطقتهم إلى غضب الآخيين، لكن بعد تدمير طروادة انتشر الفخار الموكيني في المناطق الواقعة جنوب طروادة، كما ان طروادة كانت تتحكم في الطريق البري فيها، الذي كان التجار يمرون به بسبب خطورة الطريق البحري حول رأس سجيوم(٣).

ودفعت المشاكل الاقتصادية التي كانت تعاني منها بلاد اليونان، بسبب زيادة عدد السكان زيادة لا تتلائم مع موارد البلاد الاقتصادية، ونظام التوريت، فقد اتبع الاغريق نظام توريث الابن الاكبر فقط، وترك باقي الابناء بون ميراث، وذلك للحفاظ على مساحة الأرض الموروثة، وأيضًا بسبب خروج السيطرة البحرية من الإغريق إلى الفينيقيين وفريجيا، وزيادة عدد العبيد بسببب الحروب أو الدين، في المقابل كانت بعض المناطق تشهد روا اقتصادي كبير(٤).

وقد اختلف موقف أبطال الحرب منها، فوفقًا لما جاء على لسان أبطال الإغريق، نجد بعض أمراء اليونان كانوا سعداء بهذه الحرب، بينما كان البعض الأخر يلقون باللوم على أنفسهم بتورطهم في هذه الحرب، فنجد "نستور" ملك "بيلوس" يقول" كنت في شرخ الشباب، ولدي من القوة ما كنت أملك، حيث شب نزاع بيننا وبين أهل إيليس بسبب غارة للحصول على الماشية.. لقد كانت الغنائم التي أخذناها كثيرة"، بينما نجد "أخيليوس" يقول، "أن الحياة تحصل عليها مرة واحدة، أما الماشية فتستطيع الحصول عليها في أية غارة"(٥).

---

(١) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٦٢.؛ محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٨٢.
(٢) على عكاشة وشحادة الناضور، المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.
(٣) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ١٣٤.
(٤) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٩٢-٩٤.
(٥) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١٣٠.

وعلى الرغم من رفض الأخذ برواية خطف هيلين كسبب لإندلاع الحرب بين طروادة والآخيين، إلا ان ذلك لا يجعلنا أن نستعبد أن يكون زعماء الآخيين قد اتخذوا من قصة خطف هيلين دافع لإثارة حماسة وعاطفة اليونانيين للاشتراك في الحرب(١).

وقد وصلنا وصف أحداث حرب طروادة من خلال ملحمة الألياذة لهوميروس، حيث ذكر فيها هوميروس المبارزات التي حدثت بين الأبطال والصراع بينهم بسبب النساء ، كما يذكر هوميروس انقسام الآلهة إلى حزبين أحدهما وقف إلى جانب الآخيين والحزب الاخر وقف إلى جانب الطرواديين(٢).

واستمر حصار طروادة مدة عشر سنوات، حيث تمكن الآخيين من دخول طروادة من خلال خدعة الحصان الخشبي، الذي اختبأ داخلة مائة محارب إغريقي، بعد أن تظاهر اليوانيون بركوب سفنهم والعودة الى بلادهم، فخرج الطرواديين واخذوا الحصان كغنيمة لهم، واقاموا الاحتفالات بمناسبة فك الحصار عن مدينتهم، وناموا بعد يوم عاصف بالأحداث وبالاحتفالات التي ارهقت قواهم، وفي حوف الليل خرج الجنود الإغريق من داخل الحصان الخشبي وفتحوا بوابات المدينة للجيش الآخي الذي قام بدخول المدينة وحرقوا المدينة وقتلوا رجالها وسبوا نسائها(٣).

وقد نتج عن حرب طروادة، قيام نظام دولة المدينة المستقلة، حيث بدأ هذا النظام في الظهور بعد الغزو الدوري ، وتطور النزعة الوطنية بين الإغريق ووجود تراث مشترك ورابطة تجمعهم لأول مرة في تاريخهم(٤).

---

(١) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٨١.
(٢) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٧٨.
(٣) محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص ٧٨.
(٤) سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص ٩٢.

المبحث الثاني عشر: الغزو الدوري ونتائجة

بدأت تغزو بلاد اليونان حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد قبائل من الغزاة والمهاجرين المسلحين من الشمال، بعد جيلين من سقوط طروادة([١])، جاءت هذه القبائل في شكل موجات متتالية من المهاجرين، عرفوا بالدوريون قاموا بالانقضاض على مراكز الحضارة الموكينية وما تبقى من مراكز الحضارة الكريتية، خلال رحلتهم من الشمال إلى الجنوب قضوا على الأخضر واليابس، دمروا وحطموا كل شيء وقف أمامهم، مكتسحين المدن والقرى، مما أدى إلى فرار وهجرة السكان الأصليين لليونان، الذين هاجروا إلى جزر بحر إيجة وسواحل آسيا الصغرى، وانتهي المطاف بالدوريين بالاستقرار في جنوب شبة جزيرة البلقان وبالتحديد في البلوبونيز([٢]).

استمرت موجات الغزاة الدوريون تتوافد على بلاد اليونان على مدى قرنين من الزمان، ودخلت بلاد اليونان مع الغزو الدوري لها في عصر ظلام بعد ان كانت تعيش في عصر ازدهار في ظل الممالك الموكينية، وطمعًا في الحصول على الغنائم، قام الآخيين بالاعتداء على السواحل المصرية متحالفين مع القراصنة ضد مصر، وبالرغم من الخطر المحدق بالآخيين–الدوريين– إلا انهم كانوا يحاولون جاهدين إطالة عمر مملكتهم بالإعتداءات المستمرة على الأخرين([٣]).

وقد لقب الدوريون هجرتهم باسم عودة أبناء "هيراكليس" البطل الأسطوري الإغريقي([٤])، قاموا بغزو اليونان منذ نهاية عصر البرونز حتى بداية عصر الحديد، ودخل الغزاة الدوريون بقيادة أبناء "هيراكليس"، جاءوا من شمال اليونان، ونظرًا لتعميم استخدام معدن الحديد في الاستخدامات اليومية وصناعة الأدوات والأسلحة بدلًا من البرونز، فإن ثوكوديديس" قال أن " اليونان لبست الحديد"([٥]).

([١]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٧١.
([٢]) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٩١؛ محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١١١.
([٣]) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١١١-١١٢.
([٤]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٧١.
([٥]) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١١١.

ولم يترك الغزاة الدوريون خلفهم آثار تشير إلى حضارتهم أو شخصيتهم- بخلاف لهجتهم- فلم نعثر على أواني فخارية أو أدوات حلي والزينة والمباني والآثار المعنوية التي تتعلق بعبادتهم وشعائرها، ولذلك اعتبرهم الباحثين صورة باهته من الحضارة الموكينية([1]).

ونتج عن هذه الموجات من الغزو الدوري العديد من النتائج، منها القضاء على مراكز الحضارة الموكينية، وما تبقى من مراكز الحضارة المينوية. دخول المنطقة في عصر ظلام، ضاعت فيه المنجزات الفنية والثقافية. وأصبحت السيطرة البحرية في بحر إيجة للفينيقيين بدلاً من اليونانيين. وانتهت سلطة البيوت الحاكمة وحل محلها سلطة القبيلة أو القرية في المجتمع اليوناني، وأمتدت هذه الفترة الظلامية من ١٠٠٠ الى ٨٠٠ق.م([2]).

وتعرضت القصور الملكية في "موكيناي" و"بيلوس" و"يلكوس" و"تيرنس" للحرق والتدمير حوالي ١٢٠٠ق.م، ولم تصمد قلعة "موكيناي" أمام الغزاة إلا لفترة من الزمان حوالي نصف قرن، ولحق الدمار بـ"أرجوس" و"أسبرطة"، وباقي مراكز الحضارة الموكينية لم ينالها الغزو الدوري وبعضها ازدهر حضاريًا بشكل كبير([3]).

بالإضافة إلى ذلك تسبب الغزو الدوري في إختفاء الكتابة الخطية الثانية، التي كانت خاصة بتسجيل وإحصاء القصر الملكي، ويرجح أن كتبة هذه اللغة في أرشيف القصر الحاكم وبيوت الأمراء قد فروا مع أسيادهم من أمام الغزو الدوري، لكن ظهر نوع جديد من الكتابة يختلف عن الكتابة الخطية الثانية وهي الأبجدية اليونانية، التي عرفوها من خلال تجارتهم مع الفينيقيين، وأول من عرف هذه اللغة عن "الفينيقيين" هم "الأيونيين"، ثم نقلوها بدورهم إلى الجزر القاري والجزري من اليونان([4]).

وأدى الغزو الدوري إلى حدوث تغيرات اجتماعية في اليونان، حيث هجر القرويين قراهم واستقروا في المدن، بالاضافة إلي ذلك تم إلغاء النظام الملكي، وسيطر الأرستقراطية والنبلاء على

([1]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٧١.
([2]) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٩٢.
([3]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٧١.
([4]) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١١٢.

السلطة. واختفت عبادة إلهة الإخصاب الأنثى، إلا في بعض الأماكن القليلة، وأصبحت السيادة لآلهة الأولمب وعلى رأسهم زيوس، وأصبحت الحضارة اليونانية تركز على إنسانية المظاهر الحضارية، سواء في الدين أو الفن([1]).

ويرى البعض أن الحضارة الموكينية لم تزول من كل اليونان مع مجيء الدوريين، حيث يعتقدون انها كانت موجودة في الشمال في أثينا وآسيا الصغرى، وانتهت فقط في الجنوب بالتحديد في البلوبونيز، وبذلك كان للحضارة الإغريقية في هذا الوقت وجهان، الوجه الأول مادي واقعي قاسي كان موجودًا في البلوبونيز، والوجه الثاني إنساني خيالي ذواق للفنون والآداب كان موجودًا في أتيكا وأيونيا التي هاجر إليها الموكينيون بعد الغزو الدوري([2]).

أدى الغزو الدوري لبلاد اليونان إلى إحدات تغيرات إجتماعية في المجتمع اليوناني؛ فقد تغيرت حياة السكان القدامي الأصليين، فقد شاع استخدام معدن الحديد كمعدن بدلًا من معدن البرونز في الاستخدامات اليومية وصناعة أدواتهم وأسلحتهم([3]).

وبالرغم من قوة الغزاة الجدد وشدة بأسهم وتسلحهم بالحديد، إلا انهم فشلوا في إخضاع أثينا و"الأكروبوليس"، بعد حصار دام لفترة طويلة، مما دفعهم إلى الإتجاه نحو الجنوب وتركوا الشمال حرًا وأستقروا في جنوب البلوبونيز في إقليم "لاكونيا"، ومنذ هذا الوقت نشأ الخلاف الأيديولوجي بين ثينا وأسبرطة معقل الدوريين، أحداهما نظام ديمقراطي ةالاخر نظام ديكتاتوري مستبد([4]).

وظل الأثينيون يتفاخرون لعدة قرون بعد الغزو الدوري بقدرتهم على دحر الغزو الدوري، فهم لم يسمحوا للغزاة بأن يدوسوا أرض أثينا أو يطردوا شعبها الأصلي منها، ولذلك كان الأثينيون يتفاخروب بكل كبرياء بأنهم سكان أصليون لم تختلط دمائهم وأنسابهم بالغزاة الدوريين. فضلًا عن ذلك ستمرت الحضارة في أثينا دون إنقطاع، ويرجع الفضل في عدم غزو الدوريون للمدينة إلى التحصينات الخاصة بها، فقد عجزت جحافل الغزاة أمام هذه التحصينات، فخلال الغزو الدوري

([1]) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.
([2]) سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص ٧٢.
([3]) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١١١.
([4]) المرجع نفسه، ص ١١٣.

كان الأثينيون يتبعون تكتيك الانسحاب المؤقت من المدينة ثم العودة إليها، وذلك للحفاظ على السكان والأرض([1]).

وتشير المصادر الأدبية إلى قيام أثينا باستقبال المهاجرين والفارين من أمام الغزو الدوري، حيث أثينا هي الملاذ الطبيعي لهم سواء المهاجرين الآخيين أو الأيونيين، تم الترحيب بالمهاجرين لإن أثينا تريد تكوين جبهة دفاعية منهم ضد الغزاة الدوريين، وقد منحت أثينا للمهاجرين المواطنة الأثينية وحق اللجوء السياسي، وهاجر أهل بيلوس إلى اتيكا وامتزجوا بأهلها وكونوا عنصر مزدوج هو العنصر البيلو–أتيكي، وأدت هذه الهجرات إلى زيادة سكان أثينا(٢).

المبحث الثالث عشر: حركة الانتشار الاغريقية خارج بلاد اليونان

شهدت بلاد اليونان في أعقاب الغزو الدوري حركة هجرة وإستيطان، كان لها الأثر الأكبر على حياة اليونانيين السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعلى العالم القديم بأكمله، وكانت هذه الحركة بمثابة عملية انتشار استعماري إغريقي، خرجت الهجرات أولًا من مدن آسيا الصغرى ثم من مدن البلقان، بلغت هذه الحركة ذروتها خلال الفترة من القرن الثامن الى القرن السادس قبل الميلاد، وشملت حركة الاستيطان امتدادًا من البحر المتوسط شرقًا وحتى البحر التيراني غربًا، وتراقيا شمالًا ووادي النيل جنوبًا(٣).

وجدير بالذكر أن المهاجرين الجدد قاموا بنقل الحضارة الأتيكية –الأيونية– فقد استقر الأيونيين لفترة من الزمن في أتيكا– إلى آسيا الصغرى لبناء هيلاس جديدة في آسيا الصغرى، لكن هذه الحضارة الجديدة لم يكتب لها الإزدهار خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، لإنشغال المستوطنين الأوائل في الصراع مع سكان آسيا الصغرى الأصليين لترسيخ أقدامهم في وطنهم الجديد، وأعتمدوا على الإستيراد الحضاري بشكل كامل من وطنهم الأم(٤).

([1]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٧٢-٧٣.
([2]) المرجع نفسه، ص ٧٤-٧٥.
([3]) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٢٤.
([4]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٨١.

أسباب حركة الإستيطان والهجرة:

تعددت الأسباب التي دفعت الإغريق إلى الهجرة خارج حدود بلاد اليونان في العصر القديم، فقد كانت هناك أسباب سياسية وأسباب اقتصادية وأسباب اجتماعية لهذه الحركة.

الأسباب الاقتصادية:

كانت بلاد اليونان قوة طاردة للسكان، وذلك لطبيعتها الجبلية الوعرة، حيث تشكل الجبال أكثر من ٨٠% من مساحتها، بينما تشكل السهول والوديان أقل من ٢٠% من مساحتها، ولذلك فإن مساحة الأرض الصالحة للزراعة أقل بكثير من احتياجات سكان البلاد من الغذاء، فضلًا عن ذلك فإن هذه المساحة الصغيرة من السهول والوديان فقيرة التربة لا تصلح لزراعة المحاصيل التي تحتاج إلى تربة خصبة، وبذلك فإن اليونان كانت شحيحة على أهلها، وليس هناك وسيلة للتوسع أو استصلاح أراضيها، فقد كانت أراضي اليونان غير قابلة للتوسع. وفي المقابل هناك زيادة سكانية مطردة في عدد سكان اليونان على مساحة ضيقة من الأرض، لذلك فإن تزايد السكان بدرجة لا تتناسب مع مساحة الأراضي الزراعية أدت إلى مشكلة البحث عن الغذاء، أدى ذلك إلى دفع الأعداد الزائدة من السكان إلى الهجرة لخارج البلاد بحثًا عن الغذاء وفرص العمل التي تكفل لهم مورد رزق يقتاتون منه(١).

لقد ساهم النشاط التجاري للإغريق في دفع حركة الانتشار والهجرة قدمًا إلى الأمام، حيث تنافس الإغريق والفينيقيين في النشاط التجاري في حوض البحر المتوسط، وأدى ذلك إلى تنمية النشاط التجاري خاصةً أن الكثير من المدن الإغريقية كانت تبحث عن أسواق خارجية لها، لترويج بضائعهم ، كما إنهم كانوا في حاجة ماسة إلى الحصول على المواد الخام التي يفتقدونها مثل الفضة والذهب والقصدير، فقد قام أهل ميلتوس بالابحار من منطقة البحر الأسود الخطرة من أجل أقامة المستوطنات التجارية، كما أن الطابع البحري، والتطور الذي شهدته صناعة السفن خاصةً السفن ذات الطوابق المتعددة من المجدفين، مما زاد من سرعة السفن وزيادة حملتها واتساعها لنقل السلع والبشر للإستيطان في خارج اليونان(٢).

(١) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ١٣٥-١٣٦.
(٢) عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص ١٢٨.

الأسباب الجغرافية:

كان التشابة الواضح بين جغرافية وتضاريس ساحل آسيا الصغرى وبلاد اليونان أحد العوامل في اتجاة حركة الإستيطان بشكل أساسي إلى هذه المنطقة، فكثرة خلجانها الطبيعية، وجبالها التي تتخلل سهولها، وتقسيمها إلى مناطق صغيرة منعزلة عن بعضها البعض مثل اليونان، جعل من آسيا الصغرى هي الوجهة المفضلة لليونانيين، بالإضافة إلى ذلك مناخها المعتدل، ووفرة مواردها الطبيعية على عكس فقر الموارد الطبيعية لليونان، والمساحات الواسعة لسهولها على عكس اليونان، فالأيونيين والآخيين بعد هجرتهم إلى إقليم أتيكا وإمتزاجهم مع الأثينيين، عانوا من الإنفجار السكاني الذي لا يتناسب مع المساحة الضيقة والموارد الاقتصادية لإقليم أتيكا، مما دفعهم إلى الإستيطان في الخارج، وقد وجدوا ضالتهم المنشودة في آسيا الصغرى(١).

الأسباب السياسية:

أدى زوال وإنهيار إمبراطوريات الشرق إلى اعطاء الفرصة السانحة لحركة الإستيطان والهجرة الإغريقية، فشرق البحر المتوسط أصبح خالياً من أي قوة تقف أمام حركة الاستيطان. فالفينيقيين تدهورت أمبراطوريتهم في شرق المتوسط وأصبحت السيادة البحرية للإغريق، بينما الإمبراطورية الآشورية قضت على الآراميين في سوريا وفلسطين وفينيقيا، ولم تتبقى إلا قرطاجة كمنافس للإغريق، وكانت مصر تعاني من الإنهيار، ولم يكن في آسيا الصغرى إلا فريجيا وليديا، وقد دمرت فريجيا على يد قبائل الاستبس، أما ليديا فكانت دولة شرقية وعلى علاقة صداقة مع الإغريق. وأما الفرس فلم يكن لهم شأن يذكر في هذا الوقت. وبالتالي كانت الظروف السياسية سانحة لإنتشار الاغريق للخارج في هذا الوقت(٢).

كما أن إبقاء حركة الانتشار والهجرة على أنظمة الحكم في بلاد اليونان ساعد على استمرارها، فقد بقيت أنظمة الحكم الأرستقراطي والأوليجاركي في الحكم لفترة طويلة، وكانت هناك العديد من العناصر السكانية الغاضبة من عامة الشعب، لذلك عمل الأرستقراطيين والاوليجاركيين على ضرورة التخلص من العامة، فلو بقيت هذه العناصر الساخطة في البلاد فإنها ستؤدي إلى

(١) سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص ٧٧.
(٢) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ١٣٥.

القيام بثورات شعبية ضد الأرستقراطيين، ولذلك قام الأرستقراطيين بتقديم العون للمهاجرين وتشجيعهم على الاستيطان(١).

الأسباب الاجتماعية:

عندما جاء الغزاة الدوريون من الشمال إلى بلاد اليونان، دمروا المدن وحولوا أهلها الأحرار إلى عبيد لهم، لذا فإن الأحرار رفضوا الخضوع والخنوع للغزاة، وفضلوا الفرار والهجرة من وطنهم خوفًا من بطش القادمين بمعدن الحديد، لذلك اتجه الأحرار إلى جزر البحر الإيجي وإلى شاطيء آسيا الصغرى الغربي. بينما لم يستطع الفقراء القيام بذلك لعدم مقدرتهم على توفير نفقات الهجرة أو لإنهم لم يروا أن هناك اختلاف في خضوعهم لسادتهم الآخيين والخضوع للدوريين، ولذلك أضطر العامة إلى الخضوع للغزاة الجدد والاندماج معهم(٢).

بالإضافة إلى ذلك فإن سياسة الإغريق الداخلية والتوترات التي حدثت وأثرت على كيان الإغريقيين، والأوضاع السياسية في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، دفعت المواطنين الإغريق إلى الهجرة، بحثًا عن أوضاع سياسية أفضل، ففي ظل الحكم الأرستقراطي كانت هناك تفرقة عنصرية بين المواطنين، خاصة من الناحية السياسية فقد تم التفريق بين المواطن كامل الأهلية من الأرستقراطية وبين ناقصي الأهلية من العامة(٣).

تدني الوضع الاجتماعي للمواطن الإغريقي، فمعظمهم لا يمتلكون الأراضي الزراعية، وانتشار سخطهم على نطاق واسع في البلاد، مما أدى إلى إنفراط عقد الرابطة بينهم وبين وطنهم، وبالتالي أخذوا يفكرون جديًا في الهجرة للخارج بحثًا عن وطن جديد يحترم آدميتهم ويوفر لهم الحياة الكريمة، هاجرت الطبقات المنعدمة وأسست مستوطنات لها، لكنها لم تنس ما في كان في صدورها من غضب سابق ظل كامنًا في صدورهم تجاه ارستقراطية وطنهم الأم، لذا نجد بعض المستوطنات الجديدة دخلت في صراع سياسي واجتماعي مع المدينة الأم التي أنشأتها، مثل الصراع بين كورنثة ومستوطنتها كوركيرا، وقد أدى هذا الصراع إلى الحروب اشتعال البلوبونيزية(٤).

وأيضًا من الأسباب الاجتماعية للهجرة، تخوف الكثير من المعدمين من الوقوع تحت نير العبودية، فقد كانت الأعباء الماية التي تقع على كاهل الفقراء سببًا في فقدانهم لحريتهم، فعند عجز

(١) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٢٦.
(٢) محمود السعدني، المرجع السابق، ص ١١٣.
(٣) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٢٦.
(٤) سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص ١٣٦.

المدين عن تسديد دينه للدائن كان يقع المدين في براثن العبودية، وبذلك يحق للدائن أن يتصرف في عبده كما يشاء سواء بالحبس أو البيع، لذلك فضل هؤلاء الفقراء أن يحافظوا على حريتهم ويتخلصوا من شبح العبودية بالهجرة والإستيطان في الخارج(١).

أدى قانون الإرث الإغريقي إلى المساهمة في دفع الكثير من اليونانيين إلى الهجرة إلى خارج بلاد اليونان، فقد نص هذا القانون على أن يرث الضياع أكبر الأبناء فقط، وذلك للحفاظ على حجم الملكية، ولذلك بحث الأبناء الاخرون على وطن جديد للبحث عن ضياع جديدة(٢).

وبالإضافة إلى الأسباب السابقة يجب الإ نغفل دور شخصية في حركة الاستيطان، فقد عرف عن اليوناني القديم ميله إلى المغامرة وركوب المخاطر، والسعى وراء الثروة تلبية لطموحه وغرور الشباب ، فضلًا عن غريزة حب الاستطلاع والفضول لمعرفة كل مكان غريب عنه(٣).

أماكن تأسيس المستوطنات الإغريقية

اتجه الإغريق شمالًا وقاموا بتأسيس مستوطنات عند منطقة بحر ايجة والبحر الأسود حيث مستوطنة تاسوس ومارونيا وابديرا وأينوس وابيدوس وبيرنثوس، وغربًا في منطقة صقلية حيث أسسوا ناكسوس وثابسوس وأجراجنتوم وتزانكلي وريجنتوم وهيميرا وسيراكوز وميجارا هيبلايا وجيلا وأكراجاس، وجنوب إيطاليا مستوطمة كوماي، وقام مستوطنو كوماي بتأسيس مستوطنة جديدة هي مستوطنة نيابوليس، وشواطيء فرنسا حيث ماساليا، وأسبانيا مستوطنة رودي، وفي إيطاليا اسسوا سيباريس، التي انشأت بدورها مستوطنة بوسيدونيا باستيوم وكروتون وميتابونتوم وتاراس ولوكري ابيزيفيري وايليا ومساليا، ونجحوا فر تأسيس قورينى ولكنهم لم يتمكنوا من تأسيس مستوطنات أخرى في هذه المنطقة بسبب الوجود القرطاجي، وعدائها للإغريق. فقد وقفت قرطاج ضد التوسع الإغريقي في الغرب ووقفت ضدهم في كورسيكا هي والاتروسكيين. وتم طرد المستوطنين الاغريق من كورسيكا وانتقلت سيادتها للاتروسكيين. فقد كانت منطقة غرب المتوسط نفوذ قرطاجي طاغي، واستطاع أهل ميليتوس تأسيس مستوطنة أبيدوس على الساحل الأسيوي، واسسوا مدينة المنيا على في شمال سوريا، وأسسوا مدينة نقراطيس في مصر(٤).

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٦.
(٢) المرجع نفسه، ص١٣٦.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٦.
(٤) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٢٩١-٢٩٣، ٣٠٣-٣١٤، .

نتائج حركة الاستعمار:

أدت حركة الاستيطان إلى انتشار الإغريق على سواحل المتوسط والبحر الأسود، وتأثرت معظم مستوطناتهم بالأحوال المحلية للمناطق التي نشأوا فيها، وتطورت هذه المستوطنات على نسق المدن الأم، وزاد ميلهم إلى الإنعزالية السياسية عن المستوطنين الجدد، ونشأت فكرة التضامن الهيليني داخل كل مستوطنة جديدة بسبب إقامتهم بين شعوب أجنبية مثلما حدث في قوريني ونقراطيس، فقد كانت لهم نفس اللغة والتقاليد والديانة والمعتقدات، معظمهم بقى منغلقًا على نفسه، وأصبحوا وحدة واحدة أطلق عليهم "هيلينيون" في مقابل "البرابرة"، كما ولدت حركة الإستيطان الشعور بالوحدة بسبب الألعاب الأولمبية التي كانت تعقد كل أربع سنوات في "أولمبيا"، فقد كان المستوطنين سعداء بالعودة مؤقتًا للمدن الأم للمشاركة في الألعاب الأولمبية، وتطور الشعر حيث ظهر الشعر الغنائي، وظهرت التراجيديا والكوميديا وظهرت النظريات الفلسفية وإزدهرت العلوم وتطور الفكر السياسي والعلوم والآداب(١).

وامتزج بعض المستوطنين الجدد بأهالى البلاد الأصليين والبعض الأخر إنعزل عنهم وحافظ على تقاليده وعاداته، وذلك وفقًا لعدد هؤلاء المستوطنين، فالإستيطان بأعداد قليلة من المستوطنين كان يؤدي إلى ذوبان المستوطنين الجدد في السكان الأصليين، وبالتالي تضيع هويتهم ويحتفظ السكان الأصليين بهويتهم، أما إذا كان عدد المستوطنين كبير، فإن السكان الأصليين كانوا يذوبون في المستوطنين الجدد، وقد يكون الإستيطان منظمًا ومسلحًا، وينتج عنه مجتمع جديد يتم التمييز فيه بين السكان الأصلين والمستوطنين الجدد(٢).

كما كان لحركة الهجرة والإستيطان مؤثراتها المباشرة على دويلات المدن في بلاد اليونان وأنظمتها السياسية، حيث تطورت هذه الأنظمة من نظام الحكم الملكي إلى النظام الديمقراطي، وهاجر الكثير من بلاد الإغريق إلى المدن الجديدة وأدى ذلك لتناقص سكان بلاد اليونان الأم، وظهور طبقة جديدة من الرأسماليين المعدمين من الطبقات المتوسطة، وتنشيط عجلة التجارة الخارجية عبر البحار، وتطور النشاط الصناعي، ورواج تجارة العبيد بسبب الحاجة إليهم، ولذلك تم استقدامهم من تراقيا وسواحل البحر الأسود، ووأدى انتشار التجارة وازدهارها إلى زعزعة المركز السياسي للأرستقراطية، وبسبب الصناعة تمركز السكان في المدينة، ونشأت طبقة جديدة من التجار لعبت دورًا محوريًا في الحياة السياسية للمدن، وظهرت الأفكار الجديدة نتيجة لإختلاط

(١) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٣٤٢-٣٤٥.
(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٢٠.

الإغريق بشعوب مختلفة، وأثرت وتأثرت الحضارة الإغريقية بغيرها، وظهرت روح المنافسة بين المستعمرات من أجل السيادة والثروة(١).

وقد نتج عن حركة الأستيطان مشاركة الإغريق للفينيقيين في النشاط التجاري في حوض البحر المتوسط، وتعرفهم على الأسواق الجديدة، وتعلمهم أشياء جديدة لاحتكاكهم بحضارات الشرق الأدنى القديم، مما أدى إلى تطور نشاطهم التجاري، وتأثروا بالمصريين والبابليين وأخذوا عنهم مباديء الرياضيات، ومن الفينيقيين أخذوا يعرفون صناعة سفن أكثر تطورًا، وأصبح النشاط التجاري مورد اقتصادي أساسي إلى جانب الزراعة والرعي(٢).

طقوس إنشاء المستوطنات اليونانية

كانت هناك طقوس وشعائر دينية متبعة لدى الإغريق عند إنشاء المستوطنات، تمثلت أولًا في حملهم لشعلة من موقد المدينة الأم لإشعال موقد المدينة الجديدة كرمز لإرتباطهم الروحي والنفسي بالمدينة الأم، وكانوا يأخذون القسم من كل المستوطنين قبل الهجرة للتأكيد على إلتزامهم بالوفاء للمدينة الأم وان من يحيد عن ذلك تحل عليه اللعنة، فقد قام أهل "ثيرا" بتأدية هذا القسم عند تأسيس "قوريني" في ليبيا، ثم اختيار مؤسس أو قائد من المدينة الأم، ثم استشارة كهنة "أبوللون" بـ "دلفي" في اختيار مكان المستوطنة، وقد اتخذت بعض المستوطنات من "أبوللون" كمؤسس أسطوري لها، كما كان كهنة "دلفي" حكمًا في الكثير من الخلافات التي تنشأ بين المستوطنات الجديدة، ثم اختيار مكان المستوطنة في مكان غني بالموارد الطبيعية كالسهول الغنية أو عند منفذ تجاري أو ميناء، ولذلك نجد أن موقع الكثير من المستوطنات قد جمع بين السهول والميناء، وكان مؤسس أو قائد المستوطنة الجديدة يتحول بعد موته إلى بطل يتم عبادته. ثم يتفق المستوطنين على وضع دستور للمدينة، كان في العادة يأخذ من دستور المدينة الأم، وكان يتم انتخاب قائد المدينة كزعيم سياسي لها(٣).

المبحث الرابع عشر: نظام دولة المدينة

دخلت بلاد اليونان في فترة من التخلخل والتخلف بعد الغزو الدوري، استمرت هذه الفترة لقرنين من الزمان من ١٠٠٠إلى ٨٠٠ق.م، وبالرغم من مساويء هذه الفترة إلا إنها أدت إلى

(١) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة بلاد الإغريق، ص ١٣٥-١٣٦.
(٢) لطفي عبد الهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.
(٣) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ١٣٧-١٣٨.

امتزاج العناصر السكانية الجديدة بالعناصر القديمة وخلق مجتمع جديد، اتخذ هذا المجتمع تكوين عرف بـ نظام "دولة المدينة"، الذي كانت فيه بلاد اليونان مقسمة إلى مناطق مستقلة كل منطقة مستقلة عن الأخرى ولها أبعاد الدولة، وكل مدينة لها امتداد من الأراضي والضواحي والقرى وميناء خاص بها، وقد ادت الظروف الجغرافية إلى ظهور هذا التكوين وتطوره من الحكم الفردي إلى الشعبي وفي هذا النظام لم تعرف اليونان الكيان السياسي الموحد(١).

ونظراً لصعوبة رصد التطور السياسي الذي مرت به كل مدينة من المدن الإغريقية بسبب نقص المصادر الأدبية، وتشابه هذه التطورات في المدن الإغريقية، فإننا سنقتصر دراستنا عن نظام دولة المدينة عن دولة مدينة "أثينا" كنموذج لدولة المدينة التي تطورات سياسيًا، ودولة مدينة "أسبرطة" كنموذج للمدن الإغريقية غير المتطورة سياسيًا بحكم ظروفها(٢).

دولة المدينة في أثينا

تقع دولة مدينة أثينا في إقليم أتيكا، ويتميز إقليم أتيكا بتعدد موارده، فلم تعتمد أثينا على الزراعة فقط ، فقد كانت تمتلك المواد الأولية اللازمة للصناعة، وكانت في موقع يمكنها من ممارسة التجارة، وأدى ذلك إلى تطور نظام الحكم، لعدم سيطرة طبقة على نظام الحكم فيها حتى وصل إلى الحكم الشعبي(٣).

مرحلة الحكم الملكي:

بدأ الحكم في أثينا بمرحلة الحكم الفردي الملكي، كان الرئيس التنفيذي للمدينة وكاهنها الأكبر، وممثلًا عنها في الحفلات والأعياد الدينية والقائد الأعلى للجيش، أما خارج القبيلة فإن رؤوساء القبيلة كانوا يقومون بسلطات الملك في قبائلهم، وكان أخر ملوك أثينا "كودروس" الذي قتل خلال مقاومة الغزو الدوري، انتهي الحكم الملكي حوالي ١٠٠٠ق.م(٤).

(١) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٩٣-٩٤.
(٢) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٣٩-١٤٠.
(٣) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٢١-١٢٢.
(٤) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٩٤.

مرحلة الحكم الأرستقراطي:

يرجع السبب في الانتقال من النظام الملكي إلى الأرستقراطي في أثينا إلى عوامل اجتماعية وأقتصادية تمثلت في اختراع النقود، مما ساعد على الثورة الكبري في المجال التجاري وتطور السفن القوارب الشراعية الى السفن ذات الثلاث طوابق من المجدفين. وأيضًا ساعد صك النقود في ظهور ثورة اجتماعية كبيرة في المجتمع، فقد أثرى الكثير من الناس بسبب تخزين النقود، ولجأ الفقراء إلى الاستدانة من الأغنياء وفي حال عجزهم عن تسديد الدين تحولوا لعبيد، وكانت السلطة مركزة في أيدى الأرستقراطيين، وكان الملك يملك ولا يحكم، مجرد موظف سلبت سلطاته الواحدة تلو الأخرى، فسلطته العسكرية اسندت إلى "البوليمارخوس" قائد الجيش، وسلطته الإدارية أسندت لـ "لأرخون"، ورئيس الشؤن الدينية "أرخون باسيليوس"، وسلطاته القضائية وزعت على "ثيسموثيتاي" أو مجلس العدالة المكون من ست من فقهاء التشريع. وبالإضافة إلى مجلس التسعة كانت توجد محكمة "الاريوباجوس" مهمتهم اجراء انتخابات مجلس التسعة وجماية القوانين وتنفيذ أحكام الاعدام(١).

قوانين دراكون ٦٢١ق.م

سيطرت الطبقة الأرستقراطية على وظائف مجلس التسعة، وانحرفت في مجال القضاء خدمةً لمصالحها، مما أغضب الطبقات الأخرى، لذلك أضطروا إلى تسجيل القوانين تحت ضغط العامة، وتم ذلك بواسطة الأرخون "دراكون" ٦٢١ق.م، وإذا كانت هذه القوانين قاسية لم تعالج الكثير من مشاكل المجتمع الأثيني خاصةً مشكلة الديون فقد وقع الكثير منهم في براثن العبودية لعجزهم عن تسديد ديونهم والبعض الأخر عمل في أراضي الأرستقراطية مقابل السدس من المحصول وعرفوا بـ "أصحاب السدس" والبعض الاخر لجأ إلى الهروب والمنفى اختياريًا خارج "أتيكا" هربًا من نير العبودية، إلا إن قوانين دراكون جعلت من الجرائم بمثابة اعتداء على المجتمع وليس مجرد انتهاك لحرمة الآلهة، وجعلت الطبقات المحكومة على دراية بما لها وما عليها من حقوق وواجبات(٢).

(١) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ١٩٢-١٩٤.؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٢٤.
(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٢٣-١٢٤.

مرحلة الحكم الأوليجاركي:

تزايد النشاط التجاري في هذه الفترة أدى إلى ظهور طبقة جديدة في المجتمع هي طبقة التجار، التي سعت إلى المشاركة في الحقوق السياسية التي يستحوذ عليها الأرستقراطيين ضمانًا لمصالحم الاقتصادية، ولذلك بدأت تساوم الأرستقراطية في الحصول على حقوقها(١).

إصلاحات سولون:

لم تفلح قوانين "دراكون" في تحسين أحوال العامة اقتصاديًا واجتماعيًا، فقد كانت مصادر الثروة في يد الأرستقراطية، بينما العامة في فقر وديون وتحت تهديد خطر العبودية، وباتت الثورة في الأفق وفي هذا الوقت جاء الأرخون "سولون" ٥٩٤ق.م، الذي ينتمي إلى الأرستقراطية، تم اعطائه سلطاته تشريعية كبيرة وتفويضه لحل مشاكل المجتمع الأثيني(٢).

وقد قام "سولون" بإصلاحات عديدة وهي: إلغاء الديون القائمة، وإطلاق سراح المستعبدين بسبب الديون، وتحريم رهن واستعباد الناس، واستبدال النظام النقدي في أثينا بالغاء نظام ايجينا النقدي وإقرار نظام ايوبيا، وتخفيض قيمة العملة، وإلغاء قوانين دراكون ماعدا عقوبة جرينة القتل، وتجريم البطالة، والحث على تعلم الحرف الصناعية، وحماية المرأة من الاعتداء عليها بفرض ضريبة على المعتدي عليها، وقتل الزاني، وتقنين البغاء وجعله قانونيًا، وشجع الزواج بتقليل بائنة الفتيات، وجرم اغتياب الموتى أو الاحياء، وحدد ما ينفق في الحفلات محاربةً للبذخ والاسراف، وتربية اليتامى من أبناء المدافعين عن أثينا، والحث على الوصية وتقسيم الثروة بين الأبناء قبل الوفاة، وتشجيع الحرفيين الأجانب على الاستقرار في أثينا، وتحريم تصدير القمح للخارج، ومعاقبة مثيري الفتن ومحاولات قلب نظام الحكم بالقوة(٣).

دستور سولون:

اعتمد دستور سولون على تقسيم المجتمع إلى أربعة طبقات اجتماعية وفقًا للثروة، الطبقة الأولى: "طبقة الخمسمائة معيار" أو طبقة الأغنياء "ميديمنوي" من الحبوب أو الزيت أو النبيذ، لا يقل دخل الشخص فيها عن ٥٠٠ معيار سنويًا. والطبقة الثانية: طبقة الفرسان لا يقل دخل

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٢) عاصم أحمد حسين، المدخل تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٥٩-١٦٠.
(٣) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٩٧-٩٨.

الشخص فيها عن ثلاثمائة معيار. والطبقة الثالثة: طبقة أصحاب النير أو الحرفيين، لا يقل دخل الشخص عن مائتي معيار سنويًا. والطبقة الرابعة: طبقة الأجراء المعدمين، يقل دخل الشخص فيها عن مائتي معيار سنويًا. وفي هذا الدستور فإن "سولون" ربط بين الثروة وبين التمتع بالحقوق السياسية، فقد تمتعت الطبقة الأولى بشغل مناصب مجلس التسعة، بينما المناصب الأقل أعطيت للطبقات الأدنى منها، ومن ناحية أحرى فان سولون لم يربط بين الأرض والحقوق السياسية(١).

وقام سولون بإنشاء مجلس جديد عرف بمجلس البولي او الشورى، تكون من ٤٠٠ عضو، تم انتخابهم من جميع الطبقات ماعدا الطبقة الرابعة، قام بإعداد التشريعات وعرضها على مجلس العامة أو الاكليزيا- تكونت من كل المواطنين- وحق إصدار القوانين، وقد سلب سولون مجلس الاريوباجوس الكثير من اختصاصاته ومنحها للبولي(٢). وبالنسبة لمجلس العامة او الاكليزيا عمل سولون على مشاركة الطبقة الرابعة في مناقشات هذا المجلس، حيث خصص لهم مكان في هذا المجلس، واعطاها حق استجواب الموظفين وماكمتهم عند الادانة، والحق في الاشراف على موظفي الدولة، وأسس سولون محكمة شعبية الهليايا ، تكونت من أعضاء الاكليزيا فوق الثلاثين، اختصت بالفصل في كل القضايا ماعدا قضايا الخيانة والقتل(٣).

مرحلة حكم الطغاة:

لم تعمل إصلاحات سولون على حل مشاكل العامة، عندما بلغ السادسة والستين اعتزل السياسة، واخذ تعهد من المؤولين بعدم محاولة تعديل قوانينة قبل عشر سنوات، وغادر أثينا وزار مصر وقبرص وليديا وعاد لأثينا وشاهد بعينيه استيلاء الطغاة على الحكم وانهيار كل اصلاحياته، فاصلاحاته لم تحل المشاكل بين الطبقات، حيث اشتد الصراع بين حزب الجبل والشهل والشاطيء، وكان سولون يعتمد على تأييد حزب الشاطيء، لكن حزب السهل كان يري ان اصلاحاته انتقصت من حقوق وسلطات السهل، اما الجبل كان يرى ضرورة توزيع الثروة توزيع عادل (٤).

وانتهى الصراع بين الأجزاب المتناحرة بانتصار حزب الجبل، الذي تزعمه أحد الارستقراطيين يدعى "بيزستراتوس"، نصب نفسه حاكماً على أثينا حوالي ٥٤٥ق.م. كان حكمه فرديًا، قام بمصادرة بعض أراضي الطبقة الأرستقراطية وتوزيعها على الفقراء من طبقة العامة،

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٢٦-١٢٧.
(٢) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٦٤-١٦٥.
(٣) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٢٨. ؛ عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٦٥.
(٤) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٠٠.

وعمل على دفع النشاط التجاري، واحكم السيطرة على مدخل البحر المتوسط، واعتنى بالفن والأدب وبالمعابد وظهر في عهده الفن المسرحي اليوناني، وشجع العمل على تدوين ملحمتي الألياذة والأوديسة لأول مرة بعد ان كانت شفاهية، وخلفه في الحكم ابنه "هيبياس" الذي عمد للإرهاب بعد مقتل أخية "هيبارخوس"، لذلك أطلق عليه الأثينيون لقب "تيرانوس" أو طاغية(١).

مرحلة الحكم الديمقراطي:

قام ملك أسبرطة كليومنيس بالهجوم على أثينا وطرد هيبياس منها ٥١٠ق.م، الذي هرب الى مستوطنة سيجيوم ووصل على ملك الفرس داريوس طابًا منه إرجاعه للحكم في أثينا، قاوم الأثينيون الغزو الأسبرطي رغم كراهيتهم لهيبياس، وقاموا باختيار أحد كبار ساستهم للحكم هو كليستنيس(٢).

وقام كليستنيس بوضع دسنور جديد لأثينا ٥٠٣-٥٠٢ق.م، عمل فيه على تقسيم المجتمع إلى قبائل، فقسم أتيكا إلى عشرة قبائل، وكل قبيلة قسمت لثلاث أقسام يدعى الواحد منها الثلث(جبل سهل شاطيء)، وكل ثلث مقسم الى احياء او ديموس. واصبحت عضوية الحي اساس للمواطنة، وبذلك قضى على التكتل الطبقي السابق، والركن الثاني من دستوره إعادة تنظيم مجلس البولي ليصبح عدد أعضائه ٥٠٠ عضو خمسين يتم اختيارهم من كل قبيلة بالاقتراع الحر من الاحياء عضوية لمدة سنة واحدة وبحد أقصى فترتين، والركن الثالث من دستور كليستنيس إصدار قانون النفي السياسي، بموجبه نفي أي سياسي إذا صوت ستة الآف من مجلس الشعب على نفيه، ويكون النفي لمدة عشرة سنوات(٣).

دولة مدينة أسبرطة:

عرفت قديمًا بأسم لاكيدايمون، وأسبارتي، ترجع نشأتها الى الدوريين، الذين استقروا في لاكونيا، نشأت اسبرطة باتحاد أربع قرى من سهل لاكونيا في بداية القرن التاسع ق.م وعرفوا بطبقة الأسبرطيين الاحرار او الاسبارتياتكس، لهم كل الحقوق والامتيازات وبقية سكان السهل عروا باسم البري اويكي او القاطنون وهم من الاخيون لهم بعض الحقوق وعليهم بعض الواجبات، اما السكان

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٢٠-١٢٢.
(٢) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٦٨.
(٣) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٣٢-١٣٥.

القدامي الذين لم يتدمجوا مع الدوريين عرفوا بالهيلوتيس أي المستعبدين ، حرموا من كل الحقوق وعليهم كل الاعباء(١).

وكان القاطنون يقومون بالأعمال التجارية والحرفية والخدمة في سلاح المشاة، ولكنهم حرموا من الحقوق السياسية، بينما الأسبرطيون كانوا يأنفون من العمل بالتجارة والحرف والخدمة في المشاة، وكان المستعبدين يعملون بالسخرة في الزراعة والمشاة الخفيفة، وبذلك كانت أسبرطة تتكون من أقلية دورية تمتلك كل شيء وأكثرية من الآخيين والمستعبدين لا تملك إلا القيل، لذا سن الأسبرطيون القوانين التي ترسخ حكمهم وتحميهم من خطر تمر الأكثرية، ووجدوا ضالتهم المنشودة في النظام العسكري للدولة الذي يوفر لهم الحماية والأمان، فقد كانت الأم الأسبرطية تحث أبنها المحارب أما أن يعود بدرعة أو محمولًا عليه(٢).

وكانت التشريعات التي نسبها الأسبرطيون إلى "ليكورجوس" تهدف إلى تنشئة الأسبرطيين تنشئة قوية تجعلهم قادرين على القتال ببسالة ضد الأعداء والسكان المحيطون بهم أو العبيد، وبموجب هذه التشريعات كان الطفل الأسبرطي منذ الولادة سواء ذكر أو انثى يخضع لإشراف الدولة، وكان ينظر إليهم فالمشوهون كانوا ينبذون في العراء للضوارى أو يأخذهم العبيد، أما الأصحاء كان يقوم بتربيتهم أماتهم أو مربيات، وعندما يبلغ الطفل السابعة أخذته الدولة من أسرته ودخل في مجموعة يرأسها أحد الشباب لممارسة التدريبات العسكرية والقراءة والموسيقى، وعندما يبلغ سن الرشد يدخل الجيش كجندي، متفرغًا للتدريب العسكري في نوادي خاصة يشترك مع أقرانه في الطعام، أعطته الدولة مساحة كبيرة من الأرض ومجموعة من العبيد لزراعة الأرض وخدمة أسرته في وقت السلم والحرب، وكان الأسبرطي يأخذ نصف الايراد من العبيد(٣).

النظام السياسي لدولة مدينة أسبرطة:

تكون النظام السياسي في دويلة مدينة أسبرطة من الملكان، ومجلس الشيوخ أو الجيروسيا، ومجلس الشعب أو الابيللا، والرقباء.

(١) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٤٠-١٤١.
(٢) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٨٣.
(٣) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٣٨-١٤٠.

١. الملكان:

تميز النظام السياسي الاسبرطي بوجود ملكان على الجهاز التنفيذي لأسبرطة، وذلك لوجود قبيلتين رئيسيتين في أسبرطة، اتحدوا مع بعض لتكوين دويلة المدينة شريطة أن يختار ملك من كل قبيلة، قبيلة آل آجيس وآل يوروبونتيس كل ملك رقيب على الاخر(١). وقد قلصت الارستقراطية من سلطات الملك العسكرية والقضائية والدينية. ففي البداية كانت لهم صلاحيات مطلقة في الناحية العسكرية، فقد كان لهم حق اعلان الحرب وتوقيع العقوبات وقيادة المعركة والحكم بالاعدام لإي تصرف يتعارض مع الانضباط العسكري، اما بعد ذلك أصبحت القيادة العسكرية قاصرة على ملك واحد فقط بعد قرار الشعب بمن يتولى القيادة، وانحصرت سلطاتهم القضائية واصبحت قاصرة على قضايا التبني وزواج اليتامى من البنات ومشاكل شق الطرق، وتراجعت سلطاته الدينية ، الا انه بقي لهم حق تقديم القرابين لابوللو بمشاركة افراد اخرين(٢).

٢. مجلس الشيوخ أو الجيروسيا

تكون من ٢٨ عضوًا بالإضافة إلى الملكان، أعضائه من المواطنين الذين بلغوا الستين عامًا، كانت عضويته مدى الحياة، يختص هذا المجلس باعداد القوانين والقرارات لعرضها على الابيللا، وله الحق في تعديل قرار الابيللا اذا رآه غير صحيح، والنظر في قضايا قتل الاسبرطيين، والاشراف على الإدارت المختلفة بالدولة(٣).

٣. مجلس الشعب أو الآبيللا

تكون الآبيللا أو مجلس الشعب أو الجمعية العامة من جميع المواطنين الأسبرطيين الذين بلغوا الثلاثين، واجتازوا مراحل التدريب، وكانوا يجتمعون كل شهر مرة واحدة، وكانت مهام الآبيللا النظر في كل الأمور المتعلقة بالحياة العامة والقوانين، وكان يتم التصويت في المجلس بدون مناقشة، وللمجلس حق تعيين وانتخاب جميع الموظفين وأعضاء الجيروسيا والمراقبين(٤).

---

(١) سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص ١٧٦.
(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٤٠-١٤٢.
(٣) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ٨٨.
(٤) على عكاشة وشحادة الناضور، المرجع السابق، ص ٦١.

وبالرغم من تمثيل الابيللا لكل المواطنين فهي بمثابة مجلس المحاربين، إلا ان سلطاتها محدودة فلم يكن من حقها اقتراح القرارات أو مناقشتها، بل الموافقة بالإجماع أما بالقبول أو الرفض، ترأس الابيللا نقباء الشعب، سلبت سلطات الابيللا لصالح الجيروسيا والإيفورات أو نقباء الشعب(١).

٤. الايفورات

مثل الايفورات حلقة الوصل بين الملوك والمجالس المختلفة، كانت سلطاتهم في البداية محدودة الا انها اخذت بعد ذلك في الازدياد، كان عددهم خمسة مثلوا القبائل الخمسة لاسبرطة، كانوا الحكام الفعليين لاسبرطة منذ القرن السادس ق.م، كانت نهامهم تتعلق باستقبال السفراء والاشراف على المفاوضات ودعوة المجالس للانعقاد والاشراف على التشريعات ومراقبة الملوك واخذا القسم منهم باحترام الدستور ومراقبتهم في الحرب(٢).

ومن مهام الرقباء أيضًا الإشراف على شؤون البر أويكوي، وتعيين الشرطة السرية لمراقبة الهيلوتيس، ومراقبة الأجانب وطردهم إذا لزم الأمر الى ذلك، والنظر في القضايا الجنائية، وقضايا الحقوق العائلية والملكية والإرث والزواج، وتصنيف السكان حسب حقوقهم وأخلاقهم، وتعيين الموظفين وعزلهم ومحاكمتهم، وحفظ النظام الاجتماعي، والإشراف على تدريب الشباب استعدادًا للحرب، ودعوة المواطنين إلى حلق شواربهم وإطاعة القانون والالتزام به، وعزل الملكين، وساعدهم في تأدية مهامهم بعض الشباب المسلحين أو كريبتيا(٣).

المبحث الخامس عشر: الحروب اليونانية القرطاجية:

دخلت بلاد اليونان في صراع مع قرطاجة بسبب سيطرة قرطاجة على غرب البحر المتوسط، والتوسع اليوناني في غرب البحر المتوسط، وبذلك حدث الاحتكاك والصدام بينهم، بدأ الصدام خلال القرن السادس ق.م، عندما قامت مدينة فوكايه اليونانية بمحاولة اقامة علاقات تجارية مع شواطيء جنوب غرب اسبانيا، وتصدى القرطاجيون لهذه المحاولة. وفي القرن الخامس ق.م حدث الصراع الحقيقي، وبالتحديد في ٤٨٠ق.م، بسبب النزاع الذي دب في جزيرة صقلية بين

(١) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ١٧٧.
(٢) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، ص ١٤٩-١٥٠.
(٣) على عكاشة وشحادة الناضور، المرجع السابق، ص ٦١-٦٢.

جيلون حاكم سيراكوزا وبين المدن الإغريقة الأخرى المناؤه له، التي لجأت إلى طلب النجدة من قرطاجة، وبعثت قرطاجة قوات كبيرة الى صقلية بقيادة هاملكار، وانتهت المعركة بانتصار جيلون وفرض تعويض ضخم على قرطاجة. وفي ٤٧٤ق. وقع الصراع بين سيراكوزا في عهد هيبرون والاتروريين حلفاء القرطاجيين، وانتصر هيبرون عليهم في معركة بحرية في كوماي(١).

وتجدد الصراع بين اليونان وقرطاجة مرة أخرى ففي سنة ٤٠٩ق.م، تدخلت قرطاجة في الصراع بين المدن اليونانية في صقلية، وقام "هانيبال" القرطاجي بغزو صقلية واحتلالها وقبل حاكم سيراكوزا "ديونيسيوس" على الدخول في مفاوضات مع القرطاجيين والتنازل عن جزء كبير من الجزيرة، وبالرغم من انتصار قرطاجة في البداية إلا إنه في النهاية تمكنت سيراكوزا من دحر الخطر القرطاجي، ونتج عن هذا الصراع توقف محاولات اليونان للتوسع في غرب البحر المتوسط(٢).

المبحث السادس عشر: الحروب اليونانية الفارسية:

تأسست الدولة الفارسية أو الميدية في منتصف القرن السادس ق.م.على يد قورش، وعاصمتها اكباتانا او المدائن، عملت على التوسع في بحر ايجة وشرق المتوسط. وفي سنة ٥٥٦ق.م استولت على ليديا وعاصمتها ساردیس والمدن الايونية في اسيا الصغرى، وقتل قورش ٥٢٩ق.م خلفه ابنة قمبيز وبعده تولى ابنة دارا الأول، الذي كان لديه مشروع لغزو بلاد اليونان، لفرض السيادة الفارسية على البحر المتوسط، وكان كهنة دلفي يؤيدونه في هذا المشروع لكراهيتهم للحزب الديموقراطي وميلهم للحزب الأوليجاركي، لأنهم رأوا في هذا النظام سببًا في احداث الصراع بين المدن اليونانية اما النظام الاوليجاركي نظام هادیء ويتلائم مع بلاد اليونان، وعندما سقط حكم الطغاة في أثينا وحل محله الحكم الديمقراطي، وصلت حمى الديقراطية إلى المدن الأيونية في آسيا الصغرى، وبأت تطالب بطرد الطغاة الذين نصبهم الفرس حكامًا على مدن آسيا الصغرى(٣).

وفي سنة ٤٩٩ ق.م ثارت المدن الأيونية بقيادة مدينة ميليتوس على الفرس، وتم تكوين حلف ميليتوس من المدن الأيونية، وقاد هذه الثورة طاغية ميليتوس، الذي استنجد بأثينا التى ساهمت ب ٢٠ سفينة واريتريا، وقد استطاع الثورار الاستيلاء على ساردیس عاصمة دولة ليديا،

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٥٢-١٥٤.
(٢) علي عكاشة وشحادة الناضور، المرجع السابق، ص ٨١.
(٣) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٣٣٢-٣٣٤.

وفي سنة ٤٩٤ق.م انتهت الثورة بهزيمة ميليتوس وتخريبها على يد الفرس واستعبادهم وبيعهم في أسواق النخاسة(١).

اراد الملك الفارسي دارا الانتقام من أثينا وأرتيريا بسبب مساعدتهم للمدن الأيونية، لذا قام في ٤٩٠ق.م بحملة وصلت لسهل ماراثون بالقرب من أثينا، وانتهت المعركة بانتصار الاثينيين بقيادة ملتياديس على الفرس(٢).

مات دار الأول ٤٨٦ق.م دون أن ينتقم من أثينا، خلفه ابنه، كسيركسيس الذي اعد حملة حربية على أثينا، ولذلك قام الاغريق سنة ٤٨١ق.م بعقد مؤتمر كورنثة الذي انبثق عنه حلف دفاعي ضد الفرس هو حلف كورنثة بقيادة اسبرطة، وفي ٤٨٠ق.م عبر البسفور والدردنيل، وعند مضيق ثيرموبيلاي انتصر الفرس على الاغريق، وقرر الأثينيون اخلاء المدينة ونقل النشاء والاطفال للجزر المجاورة(٣).

وبعد دخول الفرس أثينا ونهبها واحراقها، كان الأثينيون ينتظرون ما سيفعله ثيموستكليس، فقد كان الأسطول اليوناني يراقب الوضع عند المضيق بين سلاميس وأتيكا، ومن خلال حيله ذكيه قام بها ثيموستكليس تمكن في هزيمة الفرس عند سلاميس، فقد أرسل اليهم من قال لهم ان الاغريق وقعوا في مصيدة عند المضيق ويكادون يخرجون منها، وعندما جاءوا انقض عليهم وانزل بهم الهزيمة(٤).

ونتيجةً لانتصار اليونانيين في سلاميس تحول اليونانيين من دور الدفاع إلى دور الهجوم على الفرس، ففي سنة ٤٧٩ق. م انتصر اليونانيين على الفرس في معركة البرية تعرف بمعركة بلاتاية plataea، ثم انتصروا علي الفرس عند ميكالي او موكالي. وبعد الانتصار على الفرس تم طرد الحكام المعينين من قبل الفرس على المدن الأيونية، وتطهير بحر ايجة والدردنيل من الفرس الذين بعدوا عن بلاد اليونان بعد الهزائم التي حاقت بهم(٥).

---

(١) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٣٣٨-٣٣٩.
(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٥٧.
(٣) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ٣٤٢-٣٤٥.
(٤) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٤٣-١٤٤.
(٥) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٦٠.

المبحث السابع عشر: الإمبراطورية الأثينية وحلف ديلوس

عند نهاية الحروب الفارسية ظهر اتجاه للتكتل القومي بزعامة أثينا عرف ذلك بحلف ديلوس تحت زعامة ثمستوكليس، كان مقر الحلف في جزيرة ديلوس، التي كانت تحتفظ لنفسها في باديء الأمر بخزانة الحلف. يهدف الحلف إلى تكوين أسطول قوي للدفاع عن بلاد اليونان ضد أي خطر خارجي، ساهمت كل مدينة في صيانة وتشغيل هذا الأسطول، تزعمت أثينا حلف ديلوس حيث كانت تمد الحلف بالسفن والرجال، بينما باقي أعضاء الحلف كانوا يساهمون باسهامات مالية فقط او فوروس(١).

وكان مقدار المساهمة المالية المفروض على أعضاء حلف ديلوس يزداد عام بعد عام، بينما كان مقداره ٤٦٠تالنت في عام ٤٧٨ق.م ، فإن هذا المقدار أصبح ٤٩٨ تالنت في سنة ٤٥٤ق.م، وبلغ ٦٠٠ تالنت في عام ٤٣١ق.م. ولا شك أن ذلك أدى إلى وجود فائض احتياطي كبير من المال لحلف ديلوس، فقد بلغ الاحتياطي في خزائن الحلف في سنة ٤٥٠ق.م خمسة آلاف تالنت، وبدأت أثينا في هيمنتها على الحلف، فقد فرضت عضوية الحلف بشكل اجباري على مدينة كاريستوس، وقضت على محاولة ناكسوس في الإنفصال عن الحلف سنة ٤٧٠ق.م(٢).

اخذت أثينا في استغلال الحلف لصالحها، فقد أصبحت أموال الحلف تأخذ من الأعضاء كجزية سنوية، استخدمتها أثينا في غير أغراضها، وبظهور "بركليس" أخذت الإمبراطورية الأثينية تتحالف مع أرجوس وتساليا أعداء أسبرطة. كما أن ميجارا انسحبت من حلف البلوبونيز وانضمت لحلف ديلوس، وسيطرت أثينا على كورنثة وايجينا ومدن أخرى، وبذلك أصبحت السيادة العليا لأثينا في بلاد اليونان، وتحول الحلف لإمبراطورية أثينية عندما خصص "بركليس" ٥٠٠٠تالنت من إيرادات الحلف لبناء معابد أثينا، وحظر على أعضاء الحلف صك عملة خاصة بهم، وفرض عليهم إجباريًا العملة الأثينية، وانفردت أثينا بقرارات الحلف بعد توقف اجتماعاته، وكان تحول الحلف لإمبراطورية أحد الأسباب التي عجلت بالصدام الدموي بين أثينا وأسبرطة فيما يعرف بحروب البلوبونيز(٣).

---

(١) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٣٩-٤٠.
(٢) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٤٩.
(٣) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٤٠-٤١.

المبحث الثامن عشر: الحروب البلوبونيزية ٤٣١-٤٠٤ق.م

يرجع سبب الحروب البلوبونيزية إلى قيام مدينة كوركيرا على الساحل الغربي لبلاد اليونان بالإستقلال عن مدينة كورنثة أو المدينة الأم لها، وترجع أهمية هذه المدينة إلى سيطرتها على الطريق التجاري الرئيس في المياة الغربية، وأثينا كانت في حاجة إلى التوسع التجاري غربًا، وضرب مصالح كورنثة، وكانت أسبرطة تساند كورنثة توجسًا من أثينا وهيمنتها، وقد استخدم في هذه الحرب المواجهات العسكرية والدعاية السياسية والتخريب الاقتصادي(١).

وحدثت سنة ٤٣٣ق.م الحرب بين كوركيرا وكورنثة، واستطاعت كوركيرا أن تنزل هزيمة ساحقة بكورنثة وحليفتها ميجارا في معركة "سيبوتا" بفضل مساعدة أثينا لها، مما دفع كورنثة للرد بان تساعد بوتيدايا- إحدى المدن التابعة لأثينا- في الثورة ضد أثينا، لكن أثينا حاصرت الثور وأخضعت المدينة لسيادتها. وقام بركليس الاثيني باصدار قرار -القرار الميجاري- بمنع السفن الميجارية من دخول مواني الامبراطورية الأثينية، ولذلك اجتمع حلف البلوبونيز بقيادة أسبرطة وقدم ثلاث مطالب لأثينا بفك الحصار عن بوتيدايا وإلغاء القرار الميجاري وتحرير جزيرة أيجينا، لكن أثينا رفضت المطالب، ولذلك اعلن الحلف الحرب رسميًا ضد أثينا في نة ٤٣٣ق.م(٢).

وكانت الخطط الاستراتيجية لأسبرطة ترتكز على غزو إقليم أتيكا وتخريب المحاصيل ونهبها، بينما كانت الخطط الاستراتيجية الأثينية تقوم على ضرورة قيام السطول الأثيني بمهاجمة سواحل البلوبونيز، وقطع الطرق التجارية للبلوبونيز مع الأسواق الغربية(٣).

وحدث أن تفشى وباء الطاعون في أثينا أثناء الحرب بين الطرفين، وقد عظم من خطورة هذا الوباء ازدحام أثينا بالسكان، استمر الوباء حوالي ثلاث سنوات قضى على الكصير من القوة البشرية الأثينية، وتزايد السخط الشعبي ضد بركليس وسياسته في الحرب، وفي ٤٣٠ق.م اصدرت الجمعية الشعبية قرار بعزل بركليس وتغريمة كرامة كبيرة، لكنه عاد بعدها بعام واحد فقط وتوفي بعد ذلك، وبعد وفاته تولي زعامة الحزب الديمقراطي كليون(٤) الذي عقد صلح نيكياس مع الحلف البلوبونيز، وبذلك تخللت الحرب فترة هدنة من ٤٢١ الى ٤١٤ق.م(٥).

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٧١.
(٢) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ٣٢٢-٣٢٤.
(٣) على عكاشة وشحادة الناضور، المرجع السابق، ص ٨٣.
(٤) حسين الشيخ، اليونان، ص ٤٤.
(٥) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٦٢.

وبعد خرق هدنة نيكياس– التي كان من المفترض مدتها خمسون عامًا لكن تم خرق الهدنة– حاولت أثينا أن تسيطر على سيراكوزا والمدن ليونانية في إيطاليا وفي صقلية، ولكنهم فشلوا في ذلك، وفر القائد الأثيني إلى الجانب الأسبرطي، وتم تدمير الأسطول والقوات البرية الأثينية في سنة ٣١٢ق.م، وذلك بسبب الخلافات الحزبية داخل أثينا(١).

وفي النهاية بعد تراكم المشاكل الداخلية والخارجية ضد أثينا رضخت للصلح بعد الهزيمة النكراء التي مني به الأسطول الأثيني في موقعة "ايجوسبوتاموس" ٤٠٤ق.م، وحاصرت أسبرطة أثينا بريًا وبحريًا، مما اضطرها للتسليم بشروط الأسبرطيون وهي أن تقتصر سيادة أثينا على إقليم أتيكا وجزيرة سلاميس فقط، وان يحتفظ الاثينيين باثنتى عشر سفينة حربية فقط، اعترافها بزعامة اسبرطة لبلاد اليونان، وإزالة تحصيناتها الدفاعية واعادة المنفيين السياسيين(٢).

المبحث التاسع عشر: انهيار نظام دولة المدينة في القرن الرابع ق.م

أدى انتصار أسبرطة على أثينا في الحروب البلوبونيزية إلى أفول نظام دولة المدينة في بلاد اليونان، فقد سيطرت أسبرطة على إمبراطورية أثينا، وأخضعت بلاد اليونان لسيادتها، ودخلت اليونان في عصر اضطرابات سياسية عنيفة، تبادلت فيه أسبرطة وطيبة ومقدونيا الزعامة على بلاد اليونان.

أسبرطة٤٠٢–٣٧١ق.م:

وقد كانت أسبرطة صارمة في سيادتها خاصةً مع حكام المدن اليونانية آسيا الصغرى. وأدي ذلك للسخط والصدام المسلح بينها وبين المدن التي تقع تحت سيادتها. وبعد أن استمرت سيادة أسبرطة لحوالي ثلث قرن، ضعفت هذه السيادة بسبب تحريض الفرس للمدن اليونانية الآسيوية في الثورة ضد أسبرطة، مما دفعها إلى عقد "صلح الملك" سنة ٣٨٦ق.م مع الفرس وإعادة المدن اليونانية الآسيوية للسيادة الفارسية ماعدا ثلاث جزر، فضلًا عن ذلك اعتماد اسبرطة على القوة العسكرية في احكام سيادتها على المدن اليونانية كان نقطة ضعف لها، فعدد مواطنين أسبرطة المسموح لهم بالخدمة العسكرية لا يتناسب مع الحاجة إلى عدد كبير من القوات لفرض السيادة الأسبرطية على هذه المدن، وانتقلت السيادة بعد ذلك من أسبرطة إلى طيبة(٣).

---

(١) على عكاشة وشحادة الناضور، المرجع السابق، ص ٨٩.
(٢) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٤٦-٤٧.
(٣) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٧٤-١٧٧.

طيبة ٣٧١ق.م- ٣٦٢ق.م:

اعترضت كورنثة وطيبة-حلفاء أسبرطة بالأمس- على سياسة أسبرطة وتوجسوا خيفة من أطماعها، ولذلك بدأوا في اثارة العقبات والعراقيل ضد السيادة الأسبرطية، فخلال الصدام الذي حدث بين أثينا وأسبرطة ٣٩٤ق.م وقفت كورنثة وطيبة وأرجوس إلى جانب أثينا، ولذلك قامت أسبرطة بمهاجمة كورنثة وطيبة، وقامت أسبرطة في سنة ٣٨٢ق.م بإقامة حكومة أوليجاركية ووضع حامية عسكرية بطيبة. لكن الحكم الأاوليجاركي الموالي لأسبرطة لم يستمر إلا ثلاث سنوات فقط، حيث أسقط الحكم الأوليجاركي في طيبة وتم إقامة حكومة ديموقراطية، التي طالبت بطرد الحامية الأسبرطية من طيبة وبالفعل انسحبت الحامية من طيبة، ثم قامت طيبة بعمل حلف يجمع إقليم بيوتيا ضد أسبرطة تحت زعامتها، وقد نجح هذا الحلف في طرد الحاميات الأسبرطية من الإقليم، وفي سنة ٣٧٧ق.م تحالفت أثينا مع طيبة ضد أسبرطة، ونجحت طيبة في سنة ٣٧١ق.م في إنزال هزيمة نكراء بأسبرطة في موقعة "ليوكترا" على أثرها تحولت السيادة على دويلات مدن اليونان من أسبرطة إلى طيبة، ولكن سيادة طيبة على بلاد اليونان لم تستمر طويلًا حيث أعقبتها سيادة مقدونيا بدلًا منها بعد هزيمتها في معركة "مانتينيا" ضد أثينا وأسبرطة ومدن شمال أركاديا واليس(١).

مقدونيا:

تولى حكم مقدونيا فيليب الثاني ٣٦٠ق.م، استطاع توحيد مقدونيا، وقام بتطوير قواته العسكرية، وأدخل نظام الفيلق أو الفالانكس في الجيش المقدوني. استغل النزعة الانفصالية بين دويلات مدن اليونان ، وبأ في غزو اليونان معتمدًا عل سياسة محاصرة إحدى المدن ومهادنة المدن الأخرى، وعندما تنبهت طيبة وأثينا لذلك الأمر دخلوا في صدام عسكري مع فيليب في معركة خايرونيا ٣٣٨ق.م، واستطاع الجيش المقدونية الانتصار في هذه المعركة ضد القوات الطيبية والأثينية، وأدت هذه المعركة إلى وضع دويلات مدن اليونان تحت سيادة فيليب الثاني، وتمثلت هذه السيادة في تكوين حلف يسمى الحلف الهليني مركزه في كورنثة تحت زعامة مقدونيا، وكانت مهمة هذا الحلف إمداد فيليب بالقوات العسكرية، ونشر السلام بين دويلات المدن اليونانية، وذلك من خلال تشريع يحرم الحرب بين دويلات المدن، وإنهاء إي خلاف من خلال محكمين للفصل بين دويلات المدن حقنًا للدماء، وبذلك سقط نظام دويلات المدن في اليونان بتوحيدها تحت

(١) فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص ١٧٧-١٨٣.

راية الحلف "الهليني"، وعند وفاة فيليب سنة ٣٣٦ق.م خلفه في الحكم ابنه الإسكندر الثالث الذي قام بغزو الإمبراطورية الفارسية، مما أتاح الفرصة لإمتزاج الحضارة الهلينية بالحضارة الشرقية ونتج عن ذلك حضارة جديدة هي الحضارة الهلنستية(١).

المبحث الثاني: الظروف الجغرافية لشبه الجزيرة الإيطالية وأثرها علي تاريخ الرومان

ليس هناك شك ان هناك ارتباط قوي بين التاريخ والجغرافيا، فالتاريخ والجغرافيا وجهان لعملة واحدة، كما أن الجغرافيا هي المسرح الذي جرت عليه أحداث التاريخ، وتعد الجغرافيا العامل الرئيس في تحديد تاريخ وحضارة أي شعب من الشعوب، فالجغرافيا كان لها بالغ الأثر في تشكيل تاريخ وحضارة اليونان، تلك الحضارة التي كانت بمثابة الحضارة الأم أو الحضارة الحاضنة للحضارة الرومانية، فاذا كانت الجغرافيا في بلاد اليونان قد عززت النزعة الانفصالية بين أقاليم ومدن اليونان، فإن الجغرافيا عززت وحدة شبه الجزيرة الايطالية على يد الرومان.

كلمة إيطاليا مشتقة من Vitellio ومعناها أرض العجول، وذلك إشارة إلى طبيعة أرض ايطاليا التي كانت تتميز بالسهول الواسعة الخصيبة التي تصلح لتربية الماشية، وقد قام الإغريق بإطلاق هذا الاسم في القرن الخامس قبل الميلاد على الجزء الجنوبي الغربي فقط من شبه جزيرة إيطاليا، وتدريجيًا أصبح هذا الاسم قبل نهاية القرن الأول قبل الميلاد يطلق على المنطقة من أقصى الجنوب حتى جبال الألب في الشمال(٢).

تقع شبة جزيرة إيطاليا في قلب البحر المتوسط بين كل من شبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة ايبريا، يبلغ طولها من الشمال الى الجنوب حوالى ١١٥٠كم والعرض حوالي ٥٨٠كم، يحدها من الشمال جبال الالب ومن الشرق البحر الادرياتيكي والبحر الايوني ومن الغرب البحر التيراني والجنوب جزيرة صقلية التي يفصلها عنها خليج مسينا، وتمثل هي وصقلية نقطة تقسيم للبحر المتوسط الى قسمين شرقي وغربي، تميز الساحل الغربي لشبه جزيرة ايطاليا بالمساحات الكبيرة من السهول وبكثرة المواني الطبيعية على عكس الساحل الشرقي الذي كان يفتقر للموانيء الطبيعية والسهول، مما جعلها محط انظار المهاجرين من بلاد اليونان، وظهور مجتمعات مختلفة عرقيًا ولغويا وثقافيا الا ان هذا الاختلاف تغلبت عليه روما وحققت الوحدة(٣).

---

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٨٣-١٨٦.

(٢) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٢.

(٣) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ٧-١١.

تتكون إيطاليا من إقليمين رئيسيين هما الإقليم الشمالي والإقليم الجنوبي، الاقليم الشمالي منطقة سهلية شاسعة يحدها من الشمال جبال الألب على شكل هلال غير متصل يمتد من الادرياتي حتى المتوسط. يتخلل الالب ممرات، ولذلك لم تكن جبال الالب عامل فصل لوجود الممرات مما سمح بمجيء هجرات قادمة من داخل أوربا الى ايطاليا. واكبر انهار هذا الاقليم نهر البو، الذي يشغل واديه اكبر مساحة من الاقليم([1]).

أما الاقليم الجنوبي تكون من شبه جزيرة تقع بين التيراني في الغرب والادرياتي في الشرق، يتميز بالشواطيء الطويلة، يخترقه سلسلة جبال الابنين، تنشط فيه البراكين، توجد به سهول واسعة مثل سهول اتروريا ولاتيوم وكمبانيا، واربع انهار رئيسية هي الارنوس والتيبر وليريس وفولتورنيوس([2]).

وكانت أقرب الجزر الى ايطاليا جزيرة صقلية التي يفصلها عن ايطاليا خليج ميسنا، وتبعد صقلية عن قرطاجة العدو اللدود لروما ١٢٨كم، اجتذبت صقلية انتباه الرومان بعد الانتصار على بيرهوس ملك ابيروس وبعد ان صارت روما سيدة ايطاليا، فقد رأت روما في ذلك الوقت ضرورة السيطرة عليها لانها كانت بمثابة العمق الاستراتيجي لايطاليا ومن يسيطر عليها يستطيع تهديد امن وسلامة ايطاليا، وقد ادى ذلك الى دخول روما في صدام مع اليونانين وعلى رأسهم سيراكوز وقرطاجة، وانتهي هذا الصراع بانتصار روما وسيطرتها على صقلية([3]).

أما عن تضاريس إيطاليا فهي تضاريس جبلية صخرية يتخللها بعض المناطق السهلية، بها سلسلة جبال الابنين التي كانت تعد العمود الفقري بالنسبة لشبة جزيرة ايطاليا، فهذه الجبال تمتد من الشمال إلى الجنوب، كما ان بها نهر التيبر الذي يمر من خلال هذه الجبال في وسط إيطاليا، وهناك جبال الألب على المنطقة الشمالية لايطاليا، التي شكلت الحدود الشمالية لايطاليا، التي كانت بمثابة حدود طبيعية لايطاليا. وكان يحيط بايطاليا ثلاث مناطق مائية رئيسية هي البحر الادرياتكي، والبحر الأيوني، والبحر المتوسط، وقد سهلت هذه البحار إقامة الطرق البحرية وتقوية العلاقات التجارية بين ايطاليا وجيرانها سواء مع الإغريق الذين كان يفصلهم ٥٠ ميلا عن إيطاليا أو إفريقيا التي كان يفصلها ١٠٠ ميل عن إيطاليا.

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٢-١٣.

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٣-١٦.

([3]) إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص ١٨.

وعلى طول الساحل الغربي لايطاليا عند قاعدة سلسلة جبال الابنين كانت هنالك ثلاث مناطق سهلية، أولهم مناطق سهول توسكانيا في الشمال، وتعد هذه المنطقة أول المناطق التي استوطنها الإنسان في ايطاليا في العصر القديم، وقد تكونت هذه السهول بفضل ترسبات نهل "بو"، وكانت منطقة زراعية خصبة. وثانيها سهول لاتيوم، وهذه المنطقة كانت موطنا لمدينتي البالونجا ومدينة روما ، وكذلك موطنا للمدن المزدحمة بالقرب من نهر التيبر وساحل البحر الادرياتكي، ومركزا للأعمال التجارية في العصر الإمبراطوري. المنطقة الثالثة: هي منطقة السهول الجنوبية، كمبانيا، التي كانت تعد أفضل ميناء في ايطاليا.

أما عن مناخ شبة الجزيرة الايطالية، فانه يختلف في الشمال عن الجنوب، ففي الشق الشمالى منها يسود المناخ الالبي الذي يتميز بالثلوج والبرد القارص في الشتاء، اما الشق الجنوبي منها يتميز بمناخ معتدل مناخ البحر المتوسط، الذي يغلب عليه الجفاف والحرارة المرتفعة في الصيف والامطار الغزيرة في الشتاء([1]).

تكمن أهمية الموقع الاستراتيجي لشبة جزيرة إيطاليا في جعلها تلعب دورًا محورياً في تاريخ بلدان البحر المتوسط، بالاضافة الى ذلك فان هذا الموقع مكنها من الدفاع عن نفسها ضد الاعداء، وموقعها في البحر المتوسط جعلها شريكاً لشعوب البحر المتوسط في صنع حضاراتهم والتأثير فيهم والتأثر بهم في بعض مراحلها الحضارية، كما كانت قبلة للمهاجرين من الحضارات الاخرى، واختلاف التأثيرات الحضارية على مناطق إيطاليا نتج عنه اختلاف في تطور مناطقها، فالمناطق القريبة من الاغريق والقرطاجيين كانت اكثر تطوراً عن مناطق الغاليين التي كانت متخلفة . والفواصل الطبيعية الجغرافية أدت الى صراع بين مناطق مختلفة في ايطاليا، لم ينتهي إلا بتوحيد شبة الجزيرة على يد الاتروسكيين أولاً ثم بعد ذلك على يد الرومان. كما أدت الفواصل الطبيعية إلى تعدد اللغات وتنوع الثقافات([2]).

([1]) شحاته الناضور، اليونان والرومان، ص ١٤١.

([2]) المرجع نفسه، ص ١٤١.

المبحث الثالث: مصادر دراسة تاريخ الرومان

تقوم عملية كتابة التاريخ الإنساني لأي حضارة من الحضارات على قراءة ودراسة وتحليل المصادر التاريخية، حيث تشكل هذه المصادر أهمية خاصة بالنسبة لكتابة التاريخ من ناحية وللمؤرخ من ناحية أخري، فمن الناحية الأولى لا يمكن كتابة تاريخ بدون مصادر يستمد منها المؤرخ معلوماته التاريخية في كتابة التاريخ، ولذلك فإن المصادر التاريخية في هذه الحالة تُعد المنبع الوحيد لكتابة التاريخ، وعلى هذا يمكن القول بأنه لا يوجد تاريخ إذا لم يوجد مصدر يمكن الاعتماد عليه في كتابة التاريخ.

ومن ناحية الأخرى، فإن أهمية المصادر التاريخية بالنسبة للمؤرخ الذي يعتمد عليها في كتابته للتاريخ، تتمثل في أنها تضفي أهمية خاصة لكتابته التاريخية التي يستمدها من مصادرها الأصلية، وتجعلها أكثر دقة ومصداقية عن الكتابات الأخرى التي لا تعتمد في كتابتها على المصادر التاريخية، والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نسميها كتابات تاريخية من الأساس.

وبتعدد المصادر التاريخية التي يمكن للمؤرخ أن يعتمد عليها في كتابة تاريخ إي أمه من الأمم البشرية، يمكن تقسيم المصادر التاريخية إلى مصادر أدبية ومصادر غير أدبية، وكل نوع من هذه المصادر يندرج تحته العديد من أنواع المصادر الأخرى، سنتناوله بالتفصيل في وقته وحينه.

المبحث الأول: مصادر أدبية:

يُقصد بالمصادر الأدبية لدراسة التاريخ، هي المصادر التي عاصرت الحدث أو كتبت بعد فترة قريبة زمنيًا من وقوع الحدث التاريخي، وتتميز المصادر الأدبية بأنها كتابات تتناول وقائع وأحداث تاريخية في أسلوب يجمع بين التاريخ والأدب، ويمكن تقسيم المصادر الأدبية من حيث صلتها بالتاريخ إلى قسمين: القسم الأول: المصادر الأدبية المباشرة، هي تلك المصادر التي يكون موضوعها الرئيسي التاريخ وليس الأدب، حيث يتم فيها سرد الوقائع والأحداث التاريخية في أطار أدبي، يجعل من التاريخ شيئاً مستساغًا في التناول بالنسبة للقارئ، وتتمثل المصادر الأدبية المباشرة في أعمال المؤرخين القدماء مثل هيرودوت، و"بوليبيوس"، و"ديونيسيوس الهاليكارناسي"، و"ديودورس الصقلي"، و"ثوكيديدس"، وغيرهم من المؤرخين، بالإضافة إلى الخطب السياسية والخطابات مثل خطب وخطابات "شيشرون".

والقسم الثاني من المصادر الأدبية هو المصادر الأدبية غير المباشرة، التي يكزن موضوعها الرئيسي الأدب وليس التاريخ، ولكنها تتناول وقائع وأحداث تاريخية في أسلوب أدبي مَحْض، ويتمثل هذا النوع من المصادر في المسرحيات والأشعار والملاحم الروماني مثل ملحمة "الإنيادة" للشاعر "فرجيل".

وفيما يلي عرض سريع لأهم المؤرخين والكتاب والأدباء والشعراء والخطباء الذين شكلت أعمالهم مصادر هامة لتاريخ الرومان.

آبيانوس Appianus

ولد فيما بين سنة ٨١– ٩٦ م بمدينة الإسكندرية فى مصر، ورحل حوالي سنة ١٢٠ م إلي روما وهناك عين فى وظيفة بديوان الخزانة الملحقة بالإمبراطور، عاصر الإمبراطور "تراجان" والإمبراطور "هادريان" والإمبراطور "أنطونينوس بيوس". وكتب تاريخاً لروما بعنوان التاريخ الروماني Romaika باللغة الإغريقية(١)، مكون من أربعة وعشرين كتاباً، لم يصلنا منها كاملة إلا تسعة كتب فقط والباقي في شكل شذرات. والكتاب الثامن تناول فيه الحروب البونيقية حتى تدمير قرطاجة ١٤٦ ق.م، مات حوالي سنة ١٦٥ م(٢).

أوفيدوس Ovidius

هو "ببليوس أوفيديوس ناسو" Publius Ovidius Naso، ولد ٢٠مارس سنة٤٣ ق.م فى سولمو على بعد تسعين ميلا من روما، وهو شاعر روماني، وهو مؤلف المجموعات الثلاثة فى شعر الغزل الفاضح، وهى "البطلات" Heroides، و"ديوان فن الهوى" ars amoris، و"ديوان علاج الحب" Remedium Amoris. ومشهور أيضا بقصيدة Metamorphoses، وكتب عن الأعياد Fasti، وكتب مجموعتين شعريتين هما Epistulae ex Ponto, Tristia على البحر الأسود، ومات سنة ١٨م(٣).

---

(١) أحمد عتمان: الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥، ص٣٧.

(٢) عبد اللطيف احمد علي: مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٦٣– ٦٥ .

(٣) عبد المعطى شعراوي: النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٣٠٨– ٣٣٢.

أيذيدوروس Isidorus

ولد أيذيدوروس في أواخر القرن السادس الميلادي، ومات فى حوالي سنة ٦٣٦ ميلادية، لا نعرف إلا القليل عن حياته المبكرة، وعند وفاة والديه كان صغيراً تركوه فى رعاية أخيه الأكبر، نشأت عائلته فى قرطاجنة، وشغل منصب أسقف فى الكنيسة. ألف العديد من المؤلفات منها Etymologiae، الذي يُعد موسوعة فى كل أنواع المعرفة، مكون من عشرين جزءاً، وضع فيه أساسيات علم القواعد والهندسة والفلك والقانون وعلم اللاهوت والعلوم العسكرية(١).

بلوتارخوس Plutarchus

وهو "لوكيوس ميستريوس بلوتارخوس" Lucius Mestrius Plutarchus من مدينة خايرونيا Chaeronea من أعمال بويوتيا، ولد سنة٥٠ م(٢)، درس العلوم والإدارة، وكان مؤرخا وفيلسوفا من أتباع المدرسة الأفلاطونية. أهم أعماله هي المقالات الأخلاقية moralia وهى دراسات في الأخلاق والدين والطبيعة والسياسة والأدب، والتراجم parallel تناول فيها سير عظماء اليونان والرومان وعقد مقارنة بينهم(٣). و"بلوتارخوس" واحدً من الذين يؤمنون بضرورة الجمع بين العبقرية الإغريقية والقوة العسكرية الروماني(٤)، مات سنة ١٢٠م(٥).

وقد استعنت بمؤلف التراجم عند الحديث عن الجيش الروماني فى عصر "رومولوس" Romulus ، و"كاتو الأكبر" Cato Maior، و"كريوليانوس" Coriolanus، و"ماركيلليوس" Marcellus، وبيرهوس Pyrrhus، وكاميللوس Camillus وفابيوس ماكسيموس fabius maximus، وفلامينوس Flaminius، وماريوس Marius، وكراسوس Crassus.

---

(١) http://bestiary.ca/prisources/psdetail821.htm

(٢) أحمد عتمان: المرجع السابق، ص ٤٢.

(٣) بلوطرخوس: العظماء" عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم"، المجلد الأول، ترجمة ميخائيل بشارة داود، الهيئة العامة للكتاب، الألف كتاب الثاني، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٢-٢٣.

(٤) أحمد عتمان: المرجع السابق، ص ٤٢.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٢ .

٥. بلينيوس الأكبر Plinius Secundus

هو "جايوس بلينوس سيكندوس" Gaius Plinius Secundus، ولد فى سنة ٢٣ م، معرف باسم "بلينيوس الأكبر"، كان قائدا في الأسطول والجيش. والصديق الشخصي للإمبراطور فاسبسيان Vespasian. قضى معظم وقته في دراسة الظواهر الطبيعية والجغرافية. كتب عمل موسوعي هو التاريخ الطبيعي Naturalis Historia . مات سنة ٧٩م(١).

بوليبيوس Polybius

مؤرخ يوناني ولد سنة ٢٠٠ ق. م فى مدينة ميجالوبوليس، أبوه يُدعي" ليكورتاس" كان قطبا سياسيا فى بلاد اليونان، لذا بدأ الاشتغال بالسياسة في سن مبكرة(٢). ويُعد "بوليبيوس" أفضل من كتب عن العسكرية الروماني، فهو يتمتع بخلفية عسكرية كبيرة، لكونه قائداً عسكرياً فى سلاح الخيالة الإغريقي(٣)- في جيش الحلف الآخي- قبل أخذه رهينة إلى روما بعد معركة بودنا (بيدنا) pydna مع ألفٍ من بني جلدته، قضي فيها عدة سنوات- حوالي ست عشرة سنة- كان خلالها من المقربين "لسكيبيو" ومعلماً لأبنائه(٤)، ودرس أيضاً فى هذه الفترة أخلاق الرومان ونظمهم وتعرف عن قرب علي أقطابهم وبخاصة " أيمليوس باوللوس" "قاهر مقدونيا"، و " سكيبيو ايميليانوس" – "قاهر إفريقيا " أو "افريكانوس"، لذا فإن خبرته السياسية والعسكرية الواسعة ومعاصرته للأحداث أهلته لأن يكون مؤرخاً ملماً ومحللاً جيدا للأحداث التاريخية والتنظيم العسكري للرومان والقرطاجيين والمقدونيين(٥). وكان "بوليبيوس" من أنصار المنهج التحليلي والنقدي، ففي أكثر من

---

(١) عبد اللطيف احمد علي: المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) عبد اللطيف أحمد على: المرجع السابق، ص ٥٥.

(٣) M.C. Bishop, & J.C.N.Coulston,Roman Military Equipment From The Punic Wars to The Fall of Rome, Second Editon, Oxford, 2006, p. 40.

(٤) عبد المعطى شعراوي: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٤٢.

مناسبة قام بالمقارنة بين النظام التكتيكي الروماني والإغريقي(١)، ومات متأثرا بجراح عقب سقوطه من صهوة جوداه حوالي سنة ١٢٠ ق. م(٢).

وعندما تعرف "بوليبيوس" علي أعضاء "حلقة سكيبيو الأدبية"، شجعوه علي كتابة تاريخه المعروف باسم التواريخ Historia الذي يقع فى أربعين كتابا، و للأسف لم يصلنا كاملا إلا الكتب من ١-٥، أما باقي الكتب من ٦- ٤٠ فقد وصلتنا مبتورة في شكل فقرات، عالج فيه "بوليبيوس" الفترة الممتدة من سنة ٢٢٠ ق.م إلى ١٤٦ ق.م. ويعد هذا المؤلف أوثق مصدر عن تاريخ الجمهورية الروماني، وكان هدف "بوليبيوس" من كتابة التاريخ شرح الأسباب التي من أجلها أصبح الرومان سادة البحر المتوسط(٣)، وعظمة "بوليبيوس" كمؤرخ شهد لها المؤرخ الألماني "ثيودور مومسن" "Th. Momsen" فقد وصفه "بالشمس الساطعة في حقل التاريخ الروماني"(٤).

تاكيتوس Tacitus

وهو "كورنيليوس تاكيتوس" Cornelius Tacitus، ولد سنة٥٥ م. كان عضوا سيناتورياً ومؤرخاً خلال العصر الإمبراطوري، كتب مؤلفين هما الحوليات the Annales والتواريخ the Histories. أما أعماله الأخرى فإنها تتناول الخطابة فى صيغة الحوار، بالإضافة إلى كتابته لسيرة اجريكولا Agricola خلال حملته فى بريطانيا De vita et moribus Iulii Agricolae، مات سنة١٢٠م(٥).

جوزيفوس Josephus

هو "تيتوس فلافيوس جوزيفوس" Titus Flavius Josephus، ولد سنة ٣٧م ، مؤرخ روماني يهودي. سجل تاريخ اليهود مع تركيزه الخاص على القرن الأول الميلادي والحرب الروماني اليهودية الأولى التي قامت بعد تدمير أورشليم فى سنة ٧٠ م. أهم أعماله الحرب اليهودية الذي كتبه سنة ٧٥ م، والتاريخ القديم لليهود Antiquities of the Jews، الذي كتبه حوالي سنة ٩٤ م، ومات سنة ١٠٠ م.

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص ٥٧ – ٥٩ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٥- ٥٦

(٣) عبد المعطى شعراوي: المرجع السابق، ص ٢٤٢

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٦ -٥٨.

(٥) عبد المعطى شعراوي: المرجع السابق، ص ٣١٤-٣١٥.

جيلليوس Gellius

هو "أولوس جيلليوس" Aulus Gellius، ولد حوالي سنة ١٢٥ ميلادية ومات حوالي سنة ١٨٠ ميلادية ، مؤلف ونحوى لاتيني، ولد وتربى في روما، تعلم في أثينا ثم عاد إلى روما، وعندئذ تولى وظيفة قضائية. مشهور بعمله المعروف باسم الليالي الأتيكية الذي هو عبارة عن ملاحظات في النحو والفلسفة والتاريخ وموضوعات أخرى عديدة(١).

ديودورس الصقلي Diodorus Siculus

عاش في الفترة مابين عامي ٨٠ ق.م إلى ٣٠ م، ولد فى اجريوم (اجيرا الآن) فى صقلية. كتب مؤلفا في التاريخ العام أو التاريخ العالمي مؤلف عرف باسم المكتبة التاريخية Bibliotheca historica، تناول فيه التاريخ منذ العصور الأسطورية إلى سنة ٦٠ ق.م، مكون من أربعين كتابا، لم يتبق منها كاملة إلا الكتب من ١-٥، والكتب من ١١-٢٠، التي أمدتنا بمعلومات قيمة عن تاريخ الجمهورية الروماني خلال الفترة الممتدة من سنة ٤٨٠ إلي ٣٠٢ ق .م(٢).

ديونيسيوس الهاليكارناسى Dionysius of Halicarnassus

وهو "ديونيسيوس بن اسكندروس" Aléxandros، ولد حوالي سنة ٦٠ق. م ومات حوالي سنة٧ق.م ، مؤرخ يوناني ومعلم خطابة ازدهر خلال حكم يوليوس قيصر. ذهب إلى روما بعد انتهاء الحروب الأهلية، وقضى اثنين وعشرين سنة فى دراسة اللغة اللاتينية والأدب والإعداد لمادته التاريخية، ويعرف عملهُ باسم "الرومان القدماء" "Roman Antiquities"، كتب فيه تاريخ روما من الفترة الأسطورية إلى بداية الحرب البونيقية الأولى، مقسماً إلى عشرين كتابًا(٣).

سليوس الايطالي Silius Italicus:

وهو "تيبريوس كاتيوس اسكونيوس سيليوس ايتاليكوس" Tiberius Catius Asconius Silius Italicus، ولد حوالي سنة ٢٨م ، ومات حوالي سنة ١٠٣ م، كان قنصل وخطيب

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Aulus_Gellius

(٢) عبد اللطيف احمد علي: المرجع السابق، ص ٦٠-٦١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦١ .

روماني، وشاعر ملحمي لاتيني فى القرن الأول الميلادي(العصر الفضي للأدب اللاتيني). عملة الوحيد الباقي هو، Punica، وهى قصيدة ملحمية عن الحرب البونيقية الثانية(٢١٨- ٢٠١ق.م) ، وتعد هذه القصيدة أطول قصيدة باقية من الشعر اللاتيني مكونة من أكثر من ١٢,٠٠٠ سطر(١).

شيشيرون Cicero

هو "ماركوس توليوس شيشيرون" Marcus Tullius Cicero، ولد فى ٣ يناير سنة ١٠٦ق.م فى مدينة أربينوم Arpinum جنوب روما بحوالى٦٥ ميلاً. وهو فيلسوف وسياسي ومحامى، ومشرع دستوري. من عائلة ثرية من طبقة الفرسان. ويعتبر واحداً من أعظم خطباء روما. تنقسم أعمالة إلى أعمال خطابية، وسياسية، وبلاغية، وفلسفية، ورسائل. عاش فى عصر أخذت فيه روما مكانة بلاد اليونان باعتبارها مركزا للثقافة والمركز الأول بين أمم العالم(٢). مات سنة ٤٣ ق.م. ومن مؤلفاته عن الواجبات De Officiis، وعن الجمهورية الروماني De re publica، وعن الغيب De Divinatione، وفى الفيليبيات Philippicae(٣).

فاروو Varro

هو "ماركوس ترنتيوس فاروو" M. Terentius Varro، ولد سنة ١١٦ ق.م(٤) فى مدينة رياتى Reate، كاتب روماني، يدعى أحيانا فاروو ريتنيوس Varro Reatinus، يعد أعظم علماء الرومان، كان موسوعيا واسع الاطلاع غزير الإنتاج. أشهر أعمالة مؤلف بعنوان "الشئون الريفية" "De Re Rustica" مكون من ثلاثة كتب وصلتنا كاملة. ومؤلف آخر بعنوان "فى اللغة اللاتينية" "De Lingua Latina"، مكون من خمسة وعشرين كتاباً وصلنا منها ستة كتب فقط. ومات فى سنة ٢٧ ق.م(٥) .

فرونتينوس Frontinus

---

(١) http://en.wikipedia.org/wiki/Silius_Italicus

(٢) أحمد عبد الحليم، عن الصداقة لشيشرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص، ٥-١٣.

(٣) أحمد عتمان، المرجع السابق، ص ١٧٨- ٢٠٩.

(٤) عبد المعطى شعراوي، المرجع السابق، ص ٢٤١ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٢١٠ – ٢١٣ .

وهو "سيكتوس يوليوس فرونتينوس" Sextus Julius Frontinus، ولد في سنة ٣٠ م، وتقلد الكثير من المناصب الإدارية في الإمبراطورية الروماني، فقد اختير برايتور praetor في سنة ٧٠ م، واختير قنصلا consul في نهاية عام ٧٣ م، ثم واليا على بريطانيا في عام ٧٤-٧٨ م، ثم مديراً لمرافق المياه في روما فى سنة ٩٧ م، وكتب عن ذلك مؤلفاً بعنوان "إمدادات المياه لمدينة روما" De Aquis urbis Romae، وكتب بحثا عن" مسح الأراضي" لم يصلنا منه سوي مقتطفات. ومؤلفاته في جوهرها ذات طابع عملي، تعالج موضوعات فنية مكتوبة بأسلوب واضح يتناسب مع الغرض الذي كتبت من أجله. مات سنة ١٠٤ م(١).

أما عن أهم عمل عسكري تاريخي "لفرونتينوس" فهو بحث عن " فن قيادة الجيوش" "Strategemata"، وهو مجموعة لأكثر من أربعمائة مثال تاريخي توضيحي، شرح فيه الخطط الحربية عند الرومان واليونان ليستفيد منها القادة والضباط(٢)، مكون من أربعة كتب والكتب الثلاثة الأولى مترابطة إذ تعالج الخطط العسكرية قبل وأثناء وبعد المعركة وعند الحصار، أما الكتاب الرابع فيختلف عنهم في الأسلوب والبناء والمنهج ويرجح انه ليس من وضع فرونتينوس(٣).

فيجيتوس Vegetius

وهو "بوبليوس فلافيوس فيجيتوس ريناتوس" Publius Flavius Vegetius Renatus، ولد فى نهاية القرن الرابع الميلادي، ألف بحثاً عن العسكرية بعنوان"مختصر العلوم العسكرية" Epitomae Rei militaris- ويشار إليه أيضا باسم De Re Militari-، وبالرغم من كتابته لهذا العمل فى فترة متأخرة نسبياً، إلا أنه اعتمد على مصادر مبكرة جداً، مثل "كاتو الأكبر" Cato The Elder، و"كيليوس" celsus، و"فرونتينوس" frontinus، و"باتيرنوس" paternus.(٤).

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢) O. L. Spaulding, The Ancient Military Writer , CJ, 28, (1933), pp. 663-664.

(٣) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٤) P. Southern, op. cit., p.135 .

فيرچيليوس Vergilius

هو "بوبليوس فرچيليوس مارو" Publius Vergilius Maro، ولد فى١٥ أكتوبر سنة ٧٠ ق. م بالقرب من مانتوا ، شاعر روماني كلاسيكي، له ثلاثة أعمال رئيسية هي الرعويات Eclogues، والزراعيات Georgics، والإنيادة Aeneid، بالإضافة إلى عدة قصائد صغيرة. ويمكننا أن نعتبر الإنيادة الملحمة الوطنية لروما، فقد أثرت فى الأدب الغربي، واتبعت النموذج الأدبي لإلياذة واوديسية هوميروس، ومات فرچيليوس فى سنة ١٩ ق.م، وفي هذا المصدر العديد من المعلومات التاريخية عن تأسيس مدينة روما وتأسيس مدينة البالونجا، Toga(١).

كوينتليانوس Quintilianus

هو "ماركوس فابيوس كوينتليانوس" Marcus Fabius Quintilianus ، ولد فى حوالي سنة ٣٥ م، ولد فى مدينة كالاجوريس Calagurris فى اسبانيا. خطيب روماني، العمل الوحيد الموجود لكوينتليانوس هو مؤلف يحمل اسم تعليم الخطابة Institutio Oratoria، نشر حوالي سنة ٩٥م، مكون من اثنى عشر جزءاً ، وقد مات "كوينتليانوس" فى حوالي سنة ١٠٠ م(٢).

ليفيوس Livius

وهو "تيتوس ليفيوس" Titus.Livius، ولد فى سنة ٥٩ ق.م في بتافيوم patavium – بادوا padua حديثا بإيطاليا–، كتب تاريخ روما منذ تأسيسها إلى سنة ٩ ق.م، لذا عرف هذا المؤلف باسم "منذ تأسيس المدينة" ab urbe condita. مكون من ١٤٢ كتاباً، لا نمتلك منها إلا خمسة وثلاثين كتابا فقط، وقد مات ليفيوس في سنة ١٧ م(٣).

---

(١) أحمد عتمان، المرجع السابق، ص ٢٤٤– ٢٨٠

(٢) عبد المعطى شعراوي، المرجع السابق، ص ٣٢٢؛

http://en.wikipedia.org/wiki/Quintilian

(٣) أحمد عتمان، المرجع السابق، ص ٣٣٣ – ٣٣٤.

وتمثل الكتابة التاريخية عند ليفيوس أحد مراحل تطور الكتابة التاريخية عند الرومان، فبعد أن كانت الكتابة التاريخية في القرن الثاني قبل الميلاد عبارة عن حوليات قصيرة ممزوجة بأساطير وخرافات –لا يمكن الأستناد إليها عند قراءة التاريخ–، فإنها شهدت تطوراً كبيراً خلال القرن الأول قبل الميلاد، حيث أصبحت الكتابة التاريخية أكثر تأثرًا بالأسلوب الخطابي الإغريقي، وأكثر طولاً واستفاضة عن سابقتها في القرن الثاني قبل الميلاد، وإن كان يأخذ عليها أنها لم تخلو من الخطب الوهمية والروايات الطويلة لمعارك أسطورية زائفة ومواجهات سياسية بين الخصوم السياسيين خلال القرن الأول قبل الميلاد، أما ما يميز الكتابة التاريخية في القرن الأول قبل الميلاد، فإنها كانت على قدر كبير من الأهمية، إذ إنها كانت تعكس الأحوال السياسية والعسكرية والصراع السياسي في الفترة المتأخرة من عصر الجمهورية الروماني بصورة أكثر دقة – خاصة الأحداث التاريخية الخاصة بتاريخ روما الباكر– عن سابقتها.

ونظرًا لأن تاريخ ليفيوس عن مدينة روما في العصور الباكرة كان كغيره من الكتابات التاريخية التي كتبت في القرن الأول قبل الميلاد، فإنه أيضًا لم يخلو من الأساطير والخيال، مما يجعل مهمة الباحث صعبة في قراءاته واستخلاص الحقيقة من بين براثن الأسطورة التي مزجها "ليفيوس" بالأحداث التاريخية الحقيقية، أو بمعنى آخر كيفية التمييز بين ما هو حقيقي وما هو أسطوري في كتابات ليفيوس، وللتغلب على هذه المشكلة التي جعلت الباحثين يختلفون حول العديد من الجوانب الحياتية في تاريخ روما المبكر، فإن المعيار الذي اتخذه الباحثين في استخلاص الحقيقة، كان هو الحكم على شخصية الكاتب ومدى خبرته عما يكتب عنه ومصادره التي اعتمد عليها في كتابة تاريخه.

وبالإضافة إلى ذلك يأخذ علي "ليفيوس" وقوعه في المفارقات التاريخية anachronisms، وذلك لاستخدامه عدداً من المصطلحات العسكرية التي كانت شائعة الاستخدام في عصر يوليوس قيصر Julius casear، خلال حديثه عن الفترة المبكرة من الجمهورية الروماني. ويؤخذ عليه أيضاً أن أسلوبه في وصف المعارك يتسم بالتعقيد والصعوبة، وإنْ دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على قلة خبرتهِ العسكرية. وعلى ذلك فإن "ليفيوس" كمصدر عن الجيش الروماني لا يعد مصدراً موثوقاً فيه إلى درجة كبيرة(١)، لكونه لم يتبع التحري العلمي والاستقصاء الدقيق عن الحقائق

(١) A. Zhmodikov, Roman Republican Heavy Infantrymen in Battle (IV–II Centuries B.C.) , Historia, 49,(2000), pp.74–76 .

كما فعل "بوليبيوس" بل أنه مال إلى الإصلاح الخلقي عن طريق العبر المستخلصة من الماضي التي أحاطها بهالة من المثالية مع إبراز الفضائل القديمة، وكل ذلك بسبب عدم فهمه للظروف الجغرافية والعلوم العسكرية وعوزه لقدر كبير من ملكة النقد والتحليل(١).

المبحث الأول: مصادر غير أدبية:

تشمل المصادر غير الأدبية المعاهدات التي كانت تتم بين الرومان وبين غيرهم من الدول الأخرى، وقوانين الألواح الأثنى عشر، وقرارات الجمعية الشعبية، وقرارات مجلس السناتو، وسجلات القناصل، وحوليات كبار الكهنة، بالإضافة إلى كل الوثائق المختلفة كالآثار والنقوش و المسكوكات وأوراق البردي و الاوستراكا وغيرها من المواد التي كان من الممكن التدوين عليها(٢).

(أ)- الآثار:

للتعرف على أهمية الآثار كمصدر للكتابة التاريخية عند المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ روما أو بالنسبة للباحثين المحدثين، تجدر بنا الإشارة إلى التعريف بماهية الآثار، يمكن تعريف الآثار على إنها الأثر أو المواد التي تركها لنا القدماء بعد موتهم سواء كانت هذه المواد معابد يتعبدون فيها، أو منازل يسكتونها تقيهم حرارة الصيف وبرد الشتاء، أو مرافق عامة كالحمامات أو المسارح التي من خلالها تتهيئا لهم وسائل أفضل للحياة والرفاهية، أو الحصون أو الأسوار والبوابات التي تكفل لهم الدفاع عن أنفسهم من خطر هجمات الأعداء، بالإضافة إلى الأدوات المنزلية والأعمدة والأواني الفخارية التي يستخدمونها في الأكل والشرب، والمسكوكات والعملة التي كانوا يتعاملون بها في معاملاتهم التجارية اليومية.

وتبرز أهمية هذه الآثار السابق ذكرها في إنها تجعلنا قادرين على اقتفاء اثر القدماء وأحوالهم الحياتية المختلفة؛ فالآثار على تنوعها وتعددها يستطيع الباحث من خلالها قراءة تاريخ القدماء، فبعضها يحتوي بشكل مباشر على صور للحياة اليومية للقدماء، وبعضها الأخر يشير بشكل غير مباشر إلى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت سائدة في المجتمع.

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص ١٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣.

وأقدم اثر وصل إلينا كمصدر لكتابة تاريخ الرومان هو نقش على حجر اسود Lapis Niger من البازلت الأسود، تم العثور عليه في عام ١٨٩٩م، عليه كتابات باللغة اللاتينية القديمة(اقدم صورة لها). ويعتقد ان هذه الكتابات كانت جزءًا من قانون جنائزي للطقوس الدينية، وعثر معه على اشياء اخرى يؤرخ لها بالقرن السادس قبل الميلاد، والنقش ذاته يمكن تاريخه بمرحلة لاحقة نوعًا ما، بجوالي الربع الاخير من القرن السادس قبل الميلاد او النصف الاول من القرن الخامس قبل الميلاد، ونظرًا لاحتواء هذا النقش على كلمة ملك recei المرادفة لكلمة Regi بمعنى الملك، فان هذا النقش يشير الى احد ملوك العصر الملكي ا والى وظيفة ملك الطقوس الدينية Rex Sacrorum، التي كانت موجودة في مطلع النظام الجمهوري ٥١٠/٥٠٩ق.م(١).

قوانين الألواح الأثنى عشر:

قوانين الألواح الأثنى عشر هي نصوص أقدم تشريع روماني، وللاسف فإن اصل هذا التشريع مفقود، وما وصلنا منه هي نسخ ظلت محفوظة كتراث مقدس عبر القرون، وظل معمولًا بهذه القوانين لبضع مئات السنين، ثم تم جمعها ونشرها لاول مرة حوالي ٤٥٠ق.م، لرغبة العامة في معرفة القوانين التي تحكمهم، حيث لم تكن القوانين قبل ذلك منشورة أو معروفة إلا من خلال الاشراف، ووافق الأشراف على نشرها مكتوبة على اثنى عشر لوحًا برونزيًا ووضعت في السوق العامة، لكي يستطيع الجميع رؤيتها ومعرفة حقوقهم وواجباتهم بشكل جيد، ومنذ صياغتها ونشرها اعتمد عليها الكثير من المؤرخين اللاحقين في كتابة تاريخ للرومان، حيث وردت مقتطفات من نصوصها خاصة شيشرون، وقد كانت مصدرًا رئيسيًا في إعادة صياغة تاريخ روما المبكر في عصرها الجمهوري(٢).

القرارات :

هذه القرارات كانت تصدرها الجمعية الشعبية الروماني، وكانت هذه القرارات تحفر على لوحات من البرونز وتوضع في معبد "ساتورنوس"، الذي كان مكانًا للخزانة العامة ودارًا للمحفوظات العامة إضافة إلى وظيفته الأساسية كمكان للعبادة. وكان "شيشرون" يشتكي من إهمال الوثائق

(١) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٢٨.

المودعة فيه، ولذلك فلا نستبعد أن الكثير من الوثائق القديمة الهامة فيه، قد ضاعت كلية أو شوهت على مر الزمان(١).

قرارات مجلس السناتو:

كانت قرارات مجلس السناتو Senatus Consulta أحد المصادر الهامة التي اعتمد عليها المؤرخون في كتابة تاريخ روما، واقدم نسخ موجود من قرارات السناتو يرجع تاريخها إلى عام ٤٤٩ق.م، وهذه القرارات كانت استشارية وليست تنفيذية واجبة التنفيذ، ووفقًا لما جاء عند ليفيوس فإن هذه القرارات كانت تسلم نسخ منها الى الايديلس Aediles، لكي يحفظها في معبد الربة كيريس Ceres ربة الحصاد والزروع عند الرومان– على تل الافنيوس–، بينما كانت تحفظ هذه القرارات في القرنين الاخيريين من الجمهورية الروماني في معبد الاله ساتورنوس(٢).

سجلات او حوليات كبار الكهنة:

عرفت ايضا بسجلات الكهنة tabulae pontificum، والحوليات العظمى Annales Maximi، وهي تعد من المصادر القديمة التى اعتمد عليها المؤرخون القدامي في كتابة تاريخ الرومان، وتحتوي هذه السجلات على معلومات وبيانات الطقوس والشعائر الدينية وتحديد ايام الاعياد الدينية والأيام التي تنعقد فيها المحاكم، ومسجلًا فيها الاحداث الهامة التي وقعت في فترة تولي أحد الكهنة العظام Pontifex Maximus، لهذا المنصب، وقد كان الكهنة يعمدون الى صبغ هذه الأحداث بالصبغة الدينية، ويربطون سبب حدوثها بالدين او الآلهة، ومدى رضاها أو سخطها على الناس، ومن هذه الأحداث كسوف الشمس والمجاعات وخسوف القمر والفيضانات والزلازل والبراكين. ولم يقتصر التفسير الديني من قبل للكهنة على الظواهر الطبيعية فقط، بل تعداها الى الاحداث الطبيعية ، فقط ربط الكهنة تفسيرهم للانتصارات والهزائم العسكرية بتفسير ديني بحت. واول كتاب ضم حوليات وسجلات الكهنة، يرجع فيه الفضل الى الكاهن الاكبر كوكيوس سكايفولا ١٢٥ق.م، الذي كلف احد المؤلفين بكتابة كتاب يحتوي على سجلات الكهنة، وهذا الكتاب كان يتكون من ثمانين حزءًا، ضم العديد من الظواهر الطبيعية والاحداث التي يرجع

(١) حسين الشيخ، الرومان دراسات في تاريخ الحضارات القديمة(٢)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٢٥.

(٢) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٢٩.

اقدمها الى بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وقد نقل عنه العديد من الكتاب الرومان مثل ليقيوس وشيشرون وغيرهم(١).

المعاهدات:

لا شك ان المعاهدات التي كانت تبرمها روما مع غيرها من المدن والدول والممالك الأخرى، مصدرًا هامًا في كتابة تاريخ الرومان على مدى العصور المختلفة سواء في العصر الملكي أو الجمهوري او الإمبراطوري، خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للرومان، فهذه المعاهدات أتاحت لنا الفرصة للتعرف على سمات الدبلوماسية الروماني وخصائصها، وطبيعة علاقاتها الخارجية للرومان بالأمم الأخرى، وكشفت لنا عن الظروف التاريخية التي أدت إلي إبرام هذه المعاهدات وشروط هذه المعاهدات ومدى عدالتها بين الطرفين والنتائج المترتبة عليها(٢).

والمعاهدات التي كانت تعقدها روما مع غيرها من المدن والدول والممالك الأخرى، كانت نوعين مختلفين، النوع الأول من هذه المعاهدات: كان طرفي المعاهدة ندين متكافئين لبعضهم البعض، ويلتزم كل منهم بمساعدة الطرف الأخر في حالة الحرب. أما النوع الثاني: كانت فيه روما الطرف أو الحليف الاسمي في المعاهدة من الطرف الأخر، الذي كان ملتزمًا بمساعدتها سواء في حروبها الدفاعية أو الهجومية على حدٍ سواء، وبذلك فان هذا النوع من المعاهدات كان يفقد الطرف الأخر سيادته في اتخاذ قراره، ويجعله تابعًا وليس حليفًا لروما. ومما لا شك فيه إن هذا النوع من المعاهدات كان سببًا في تمرد حلفاء روما وخروجهم عليها، مما اضطرها في نهاية إلى استبدال هذا النوع المهين من المعاهدات بالنوع الأول الذي يحفظ للأخر سيادته ويجعله ندًا متكافئًا لها في المعاهدة، وقد أتت هذه السياسة أكلها، وأدت إلى هيمنة روما أولًا على ايطاليا ثم بعد ذلك على معظم أنحاء البحر المتوسط وتكوين إمبراطورية شاسعة مترامية الأطراف. وكانت نصوص هذه المعاهدات تحفر على لوحات برونزية وتعلق على تل الكابيتول(٣).

قوائم الإحصاء:

---

(١) محمد السيد عبدالغني، تاريخ الرومان حتى نهاية العصر الجمهوري، الجزء الأول، منذ نشأة روما حتى نهاية العصر الجمهوري المبكر ٢٦٥ ق.م، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٥٥.

(٢) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٠٣-١٠٤.

(٣) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٢٥.

يقصد بقوائم الاحصاء Tabulae Censorumهي القوائم التي كان يقوم بإعدادها الموظفون المسؤولون عن الاحصاء Censores ، بعد عمل احصاء عن المواطنين الرومان، تضمن هذا الاحصاء بيانات احصائية دقيقة عن اعداد المواطنين الرومان وانسابهم املاكهم، وكل ما يتعلق بحياتهم العامة والخاصة وعلاقتهم بالدولة، وكانت تتم مراجعة هذه البيانات وتحديثها اول باول باضافة المواليد الجدد وحذف الوفيات منها ، لكي تكون متطابقة مع الواقع، وهذه القوائم كانت تصدر بشكل دوري كل خمس سنوات، وعلى الرغم من اهمية قوائم الاحصاء في التأريخ لتاريخ الرومان، إلا أن قوائم احصاء ما قبل عام ٣٠٠ق.م هي محل شك كبير ولا يمكن الاعتماد عليها منفردة في التأريخ لأي من الاحداث التاريخية(١).

سجلات القناصل السنوية:

سجلات القناصل السنوية هي اهم سجلات وقوائم شاغلي مناصب السلطة التنفيذية العليا، وفيها كان يتم تسجيل الاحداث سواء العامة او الخاصة بسنوات حكم القناصل، ومن خلال الاعمال الادبية اللاحقة تم جمع قائمة كاملة بالقناصل Fasti Consulares الذين تولوا هذا المنصب منذ بداية الجمهورية، ونظرًا لعدم توفر سجلات دقيقة قبل عام ٣٠٠ ق.م، فانه لا يمكن الاعتماد التام على هذه القائمة خصوصًا بالنسبة للفترة المبكرة للجمهورية. ومن ناحية اخرى هناك القائمة الكابيتولية Fasti Capitolini، وهي نقش باسماء القناصل من بداية الجمهورية حتى وقت اغسطس، تم نقش هذه القائمة على احد الاقواس على المقر الرسمي للكاهن الاعظم في السوق العامة الروماني في سنة ١٧/١٨ق.م، وبهذا النقش الكثير من اسماء القناصل الذين تولوا القنصلية ووردت اسمائهم في قائمة القناصل Fasti Consulares(٢).

الأساطير:

يذكر أمين سلامة في تعريفة للاسطورة بانها: "هي رواية أعمال إله أو كائن خارق ما. تقص حادثًا تاريخيًا خياليًا، أو تشرح عادة أو معتقدًا أو نظامًا أو ظاهرة طبيعيى. وللأجناس أو الأمم أو القبائل أو الأماكن أساطيرها الخاصة"(٣).

---

(١) أمين سلامة، الاساطير اليونانية والروماني، ص 54.

(٢) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٣) أمين سلامة، الاساطير اليونانية والروماني، ص ١٠.

والأساطير هي نوع من القصص المسلية التي تستهوي خيال الإنسان، فيها حقائق مكنية عن حياة الانسان والاحداث التي مر بها ، وبعضها يحكي عن بطولات ومعاناة بعض الاشخاص في الوصول إلي أهدافهم، وعلى الرغم ان الأساطير كان هدفها المباشر التسلية الا انها كانت ذات اهداف اخري اكثر اهمية من مجرد التسلية، فهي بمثابة توثيق لاحداث وشخصيات مضت، ونقل هذه الأحداث إلى الاجيال التالية، وعلى الرغم مما يشوبها الكثير من المبالغة والتهويل بعيدًا عن حقيقة الأحداث في معظم الاحيان، الا ان الاسطورة لا تخلو من الحقيقة، حيث انها نواة للحقيقة التي يبحث عنها المؤرخ لمعرفة احداث الماضي من خلالها، لذا نستطيع القول ان الاسطورة هي احداث الماضي حيكت في شكل قصص ذات زي خرافي اسطوري بديع، مليئ بالخطط والشخصيات ذائعة الصيت، لكي تكون مسلية ومستساغة في الفهم وسهلة في الحفظ، وبذلك يتم تناقلها من جيل إلى جيل(١).

وبذلك فان الاساطير تعد حلقة اتصالنا بالماضي، خاصةً عندما يتعذر لنا ايجاد مصادر اخرى نستقي منها معلوماتنا عن احداث الماضي البعيد، ففي هذه الحالة تكون الاساطير بمثابة حلقة الوصل بين احداث الماضي وبين المؤرخ الذي يريد أن يستوثق عن أحداث ماضية، فضلًا عن ذلك فإن الاساطير تمدنا بمعرفة نظرة القدماء عن عالمهم، وكيفية تفسيرهم للاحداث والظواهر الطبيعية التي كانت تحدث في زمانهم. ولا شك ان تأثير الاساطير القديمة مازال له بصمته على وقتنا الحاضر، فهناك بعض الكلمات التي نستخدمها في وقتنا الحاضر مستمدة من الاساطير القديمة، منها على سبيل المثال لا الحصر، كلمة يونيو فهي مشتقة من جونو ملكة الآلهة عند الرومان، وكلمة الخميس مشتقة من ثور إله الحرب عند القبائل الجرمانية القديمة، وأيضا مثل كلمة جانيتور بمعنى البواب أو الحارس وهي مشتقة من جانوس الإله ذو الرأسين، حارس الأبواب عند الرومان. وامتداحنا للطعام الشهي بقولنا انه كالعسل، هو تأثير من وحي الأساطير لإن العسل كان طعامًا لآلهة جبل أوليمبوس(٢).

سجلات الأسر الشريفة:

من المصادر الأخرى التي اعتمد عليها المؤرخون في كتابة تاريخ روما، سجلات الاسر الشريفة، حيث درجت الاسر الشريفة على في معظم الاحيان على كتابة تاريخ لنفسها تمجد فيها

(١) المرجع نفسه، ص ٧.

(٢) أمين سلامة، المرجع السابق، ص ٧.

نفسها واعضائها البارزين، وذلك لكي تصنع لنفسها مكانة مرموقة اجتماعيًا وسياسيًا بين الاسر الاخرى في المجتمع.

ومن الناحية التاريخية لا يمكن الاعتماد بشكل كلي على هذه السجلات، لانها في الغالب تكون غير موضوعية في تسجيل تاريخ الاسر الشريفة، حيث انها تجنح الى تمجيد اسلافها واحياء ذكراهم بكثير من المبالغة والتهويل فيما يتعلق بانجازاتهم وامجادهم، وذلك بغرض التفاخر والمباهاة امام الاسر الاخرى، وعلى ذلك فمن الصعب ان تكون هذه السجلات مصدرًا موثوقًا منه للمعلومات التاريخية بالنسبة للمؤرخين اللاحقين الذين كتبوا عن الفترة من اواخر القرن الثالث قبل الميلاد الى اواخر القرن الاول قبل الميلاد. ولم تقتصر كتابة سجلات للاسر على الاسر الشريفة فقط، فخلال مرحلة لاحقة من الجمهورية الروماني، اصبحت بعض اسر العامة من الاثرياء، لانخراطهم في مجال التجارة في ايطاليا وخارجها وبشكل خاص في الولايات الروماني، مما دفعهم الى تقليد الاسر الشريفة في كتابة سجلات لاسرهم، وذلك ليصنعوا لاسرهم تاريخًا ومجدًا مبالغًا فيها او يخلو من الحقيقة في معظم الأحيان(١).

المبحث الرابع: نشأة مدينة روما والأساطير التى دارت حول تأسيسها

تقع مدينة روما في إقليم لاتيوم الذي يقع في وسط غرب إيطاليا، وللأسف فإن العلماء لا يعرفون إلا القليل جداً عن تاريخ هذا الإقليم قبل تأسيس مدينة روما في سنة ٧٥٣ق.م، إلا إنهم يجمعون فيما بينهم على أن تاريخ روما – قبل تأسيسها– كان مرتبطًا ارتباطا وثيقًا بمدينة قديمة ذاع صيتها في هذه المنطقة عرفت بمدينة "البالونجا"، هذه المدينة كانت تقع على بعد مسافة قريبة جنوب روما، وكان لها نفوذًا قويًا على مدن إقليم "لاتيوم"، وبدءً من سنة ١١٠٠ ق.م، فإن المؤرخين يتفقون على أن مدينة "البالونجا" كانت رئيسةً لحلف يتكون من ثلاثين مدينة لاتينية في إقليم لاتيوم، وكان لها نوعًا من الحكم على هذه المدن جميعًا.

والتاريخ المبكر لمدينة "البالونجا" مليء بالأساطير والخرافات، التي تجعل قراءته شيء صعب في استخلاص الأحداث الحقيقية من الأساطير التي دسها المؤرخين القدماء بين ثنايا

(١) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ص ٥٦– ٥٧.

الأحداث الحقيقية، وقد كانت مدينة "البالونجا" بمثابة مملكة منذ حوالي سنة ١١٥٠ق.م إلى منتصف القرن الثامن ق.م عندما تأسست مدينة روما، التي استطاعت بعد تأسيسها بقرن من الزمان أن تدمر مدينة "البالونجا"، حيث شن ملك روما "توللوس هوستيلليوس" حرب شعواء ضد المدينة العتيقة "البالونجا" ودمرها عن بكرة أبيها، ولم يبقى فيها شيء على وجه الأرض، وقتل الكثير من سكانها، ولم يستثني من ذلك إلا معابدها، التي أمر جنوده بألا يعبثوا بها.

أهمية الموقع الاستراتيجي والجغرافي لروما:

كان لموقع روما أهمية جغرافية وإستراتيجية كبيرة، دفعت مؤسسها إلى اختيار هذا الموقع وتفضيله عن غيره من المواقع الأخرى في إقليم لاتيوم، وسوف نتحدث فيما يلي بشيءٍ من التفصيل عن الأهمية الجغرافية والإستراتيجية لموقع مدينة روما.

أولًا: الأهمية الجغرافية لموقع روما:

وعندما نبتعد قليلًا عن حكي الأساطير المتعلقة باختيار رومولوس لموقع مدينة روما، فإننا نجد أن هذا الموقع لم يتم اختياره بمحض الصدفة البحتة أو اعتباطًا، بل تم اختياره لكونه موقع جغرافي واستراتيجي متميز يصلح لكي يكون أساسًا لمدينة قوية رغب مؤسسها في اختياره بعناية شديدة، فقد كان للعوامل الجغرافية دورًا بارزًا في اختيار هذا الموقع لكي تكون موطنًا لاستيطان الرومان منذ وقت مبكر من التاريخ، فقد كانت روما تقع على بعد ستة عشر ميلًا عن مصب نهر التيبر، تحيط بها سبعة تلال منخفضة، وقد نشأت المدينة على تل البلاتين، الذي كان مهيئا للسكنى منذ وقت مبكر من التاريخ، فقد كانت قمته عريضة وأكثر استواء مما اجتذب إليه الرعاة الوافدين من المناطق الشمالية للإقامة فيه، وتشير الحفريات إلى أن هذا التل كان مأهولا بالسكان منذ القرن التاسع قبل الميلاد، حيث تم العثور على جبانة لسكان هذا التل في الوادي الذي يقع أسفل التل([1]).

فقد كانت التلال المحيطة بروما تقع على الضفة الشرقية أو اليسرى لنهر التيبر، مما يوفر لها وسائل الدفاع عنها ضد هجمات الأعداء، وكانت هناك جزيرة في نهر التيبر قسمت النهر

([1]) دونالد. دولي، حضارة روما، ترجمة جميل يواقيم الذهبي وآخرون، دار نهضة مصر القاهرة، (د.ت)، ص ٥.

إلى قسمين، مما سهل على سكان روما عملية العبور والانتقال من وإلى مدينة روما من الضفة الأخرى للنهر.

ثانيًا: الأهمية الاستراتيجية لموقع روما:

أما عن الأهمية الاستراتيجية لموقع مدينة روما فإن ذلك يظهر في إنها كانت تقع على طريق الملح (Via Salaria)، وهو طريق قديم جدًا، أول من استخدمه هم السابينيين، ويؤدي هذا الطريق إلى الشمال ثم إلى الشمال الشرقي لروما وإلى ناحية الجنوب عند مصب نهر التيبر، وقد استخدمه السابينيين لنقل الملح من سبخات الملح عند مصب نهر التيبر مرورًا ببوابة "كولونيا" (Porta Collina) في سور "سرفيوس" ومن خلال بوابة الملح (Porta Salaria) في أسوار "أوريليوس"، ومن هذا المكان كانوا يتجهون إلى ناحية الشمال عبر أراضي السابيني ثم يخترقون جبال الأبنين انتهاءً بساحل البحر الادرياتيكي، حيث كانت حقول الملح تقع عند مصب نهر التيبر على الضفة الغربية أو اليمنى للتيبر، وكان الحصول على الملح يتطلب السفر إليه في طريق طويل من الأبنين عبر روما وصولًا إلى مصب التيبر من أجل الحصول على الملح، الذي كان من السلع الرائجة في هذا الوقت وكثير الاستخدام، لذلك فإنه حظي بعناية واهتمام شديدين. وقد كان لطريق الملح القديم جزء أخر يقع على الجانب الأخر لنهر التيبر وكان يعرف بطريق "كمبانيا" (Via Campana)، وقد سمي هذا الطريق بهذا الاسم لأنه كان ينتهي عند الحوض الذي كان يترسب فيه الملح عند مصب التيبر (Campus Salinarum).

ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد حاك المؤرخون الإغريق العديد من الأساطير حول تأسيس مدينة روما، وذلك جريًا على عادتهم في تفسير أصول الشعوب الأجنبية التي يكتبون تاريخها، حيث كانوا يربطون هذه الشعوب بالأبطال الأسطوريين المتجولين، مثل "جاسون" (Jason) والمغامرون، و"هيراكليس" (Hercules)، أو "أوديسيوس" (Odysseus)، وفيما يلي سوف نتناول أشهر اسطورتين عن تأسيس مدينة روما.

الأسطورة الأولى:

ولعل أقدم وأشهر هذه الأساطير تلك الأسطورة التي تعود روايتها إلى "هيلانيكوس لسبوس" (Hellanicus of Lesbos)، وقد أصبحت هذه الرواية مقبولة عند معظم المؤرخين القدماء، وتدور هذه الرواية حول البطل الطروادي "إينياس" (Aeneas)، وبعض رفاقه الذين هربوا من مدينة طروادة بعد تدميرها على يد الإغريق، حيث ظل "إينياس" ورفاقه يجوبون البحر المتوسط

لعدة سنوات إلى أن استقر بهم المقام في وسط إيطاليا، وتزوجوا من السكان الأصليين وأصبحوا من اللاتين، وأن التوأم "روموليوس" و"ريموس" الذين أسسوا المدينة كانوا من نسل "إينياس"، وبذلك فإن هذه الأسطورة ترجع تأسيس روما إلى "روموليوس" أحد أفراد سلالة البطل الطروادي "إينياس" بن ملك طروادة.

وعلى الرغم من أن رواية "هيلانيكوس" عن تأسيس مدينة روما رواية غير تاريخية تمامًا، حيث أن هذه الأسطورة تربط تأسيس روما بأحد أبطال مدينة طروادة، إلا أن الرومان في وقتٍ لاحق لظهور هذه الأسطورة كانوا مقتنعين بها كرواية من الروايات التي تناولت تأسيس مدينتهم، بل أنهم قبلوها وأدمجوها في تراثهم الشعبي–الفلكلور الشعبي– الخاص ببداية تأسيس مدينة روما.

الأسطورة الثانية:

وهناك أسطورة أخرى مفادها أن التوأم "ريموس" و "روموليوس" كانوا أبناءً لـ "مارس" إله الحرب عند الرومان، من بنت "نوميتور" (*Numitor*) ملك البالونجا (*Alba Longa*)، وأن "أموليوس" (*Amulius*) شقيق "نوميتور" ملك "البالونجا"، قام بالإطاحة بأخيه من العرش وأغتصب العرش من أخية "نوميتور"، ثم تخلص من التوأم حتى لا يكون لهم حق المطالبة بعرش جدهم، حيث وضعهم في سلة وقذفهم في نهر التيبر، ولكن يشاء القدر أن يبقى التوأم على قيد الحياة، حيث قذفتهم مياه النهر إلى الشاطئ، ووجدتهم ذئبة قامت بإطعامهم من ضروعها، ثم رأى ذلك الموقف أحد الرعاة – يدعى فاوستولوس– الذين كانوا يرعون قطعانهم حول التيبر، فأخذهم وتكفلت عائلة الراعي بتربيتهم، وقد بحث الراعي عن جدهم وجمع شملهم، وعندما كبر التوأم أطاحوا بملك "البالونجا" من العرش، وعزموا على تأسيس مدينة خاصة بهم، إلا أنهم تشاجروا على اختيار موقع المدينة أو على من يحكمها، وقتل "روموليوس" "ريموس"، وأصبح ملكا للمدينة، وسمى هذه المدينة على اسمه – روما– تكريمًا وتشريفًا لنفسه.

ويرى البعض أن أسطورة تأسيس روما ما هو إلا نوع من الفلكلور الشعبي، الذي كان واسعًا الانتشار في أرجاء مختلفة من البحر المتوسط في هذا الوقت، وأن هذه الأسطورة مجرد محاكاة رومانية للأساطير التي كانت منتشرة في مناطق مختلفة من حوض البحر المتوسط، مثل الأسطورة الخاصة بالملك "سرجون الأكدي" (Sargon) في سنة ٢٣٠٠ ق.م، أو الأسطورة الخاصة بالملك الفارسي "قورش العظيم"، أو الأسطورة الخاصة بملك طيبة "أوديب"، والتوأم "نيلوس" (Neleus) وبيلوس (pelias) في الأساطير اليونانية.

تاريخ تأسيس المدينة:

وقد أختلف الكتاب الرومان الأوائل حول تاريخ تأسيس المدينة، إذ أن الشاعر "كوينتوس أنيوس" Quintus Ennius يرجعه إلى حوالي سنة ٩٠٠ق.م، والمؤرخ "كينكيوس اليمنتوس" Cincius Alimentus يرجعه إلى ٧٢٨ ق.م، والمؤرخ "فابيوس بيكتور"(ولد حوالي سنة ٢٥٤ ق.م) Fabius Pictor يرجعه إلى ٧٤٨ق.م ويرجعه تيمايوس (Timaeus) الى ٨١٤ق.م، بينما الفقيه "ماركوس ترنتيوس فاروو"(١١٦-٢٧) Marcus Terentius Varro يرجع ذلك إلى سنة ٧٥٣ ق.م، أما "كينكوس أيليمنتوس" (Cincius Alimentus)، فانه يرجع تاريخ تأسيس روما إلى سنة ٧٢٨ق.م.([1])

ولكن عند نهاية عصر الجمهورية الروماني كان تاريخ ٧٥٣ ق.م هو الأكثر قبولًا بين جموع المؤرخين كتاريخ لتأسيس مدينة روما، وأصبح التاريخ الرسمي لتأسيس للمدينة ونقطة البداية لاحتساب تواريخ الأحداث في التاريخ الروماني، وكانت سنة ٥٠٩ ق.م هي السنة التي أقيم فيها النظام الجمهوري في روما بعد القضاء على النظام الملكي في روما.

ونظرًا لأن التاريخ المقبول لدى معظم المؤرخين لتدمير طروادة يرجع إلى سنة ١١٨٤ ق.م، فإن المؤرخين الرومان لكي يبقوا على العلاقة غير التاريخية بين روما وطروادة، فإنهم لجئوا إلى حيلة مبتكرة، فحواها أن هناك سلسلة من الملوك الأسطوريين الذين يعتقد بأنهم كانوا ينحدرون من نسل "إينياس" الطروادي، وأن هؤلاء الملوك حكموا المدينة اللاتينية البالونجا في الفترة الفاصلة بين سنوات ١١٨٤ ق.م وبين ٧٥٣ ق.م.

المبحث الخامس: مراحل التاريخ الروماني

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص، ٦١. وراجع أيضاً: وراجع أيضاً: إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، الطبعة الأولى، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٦، ص ٢٤ . وراجع أيضاً:

K. Bringmann, *A History of The Roman Republic*, Cambridge, 2007, p. 2 .

N. Sekunda, &others, *Early Roman Armies*, Men-At-Armies, Fourth Edition, Oxford, 2001, p. 8 .

أجمع المؤرخون على تقسيم تاريخ روما إلى ثلاث مراحل مختلفة كل مرحلة من هذه المراحل كانت لها سماتها وخصائصها المميزة التي جعلتها تختلف اختلاف جذري عن المراحل الأخرى، وهذه المراحل هي:

أولًا: مرحلة الحكم الملكي

بدأت هذه المرحلة بالملك "رومولوس" المؤسس لمدينة روما وانتهت بحكم الملك الاتروسكي "تاركوينيوس المتغطرس"، الذي قامت ضده ثورة شعبية أطاحت به من الحكم، وسقط نظام الحكم الملكي وقام بدلًا منه نظام الحكم الجمهوري، وقد استغرقت هذه المرحلة الفترة من تأسيس مدينة روما ٧٥٣ق.م حتى ٥٠٩ق.م.

ثانيًا: مرحلة الحكم الجمهوري

بدأت هذه المرحلة بالقضاء على نظام الحكم الملكي سنة ٥٠٩ق.م، وتأسيس نظام حكم جديد عرف بنظام الحكم الجمهوري، حيث تم استبدال الملك بأثنين من القناصل يحكمون لمدة سنة، وذلك لضمان عدم الاستبداد والعودة إلى الحكم الملكي الفردي، وقد استمر هذا النظام حتى سنة ٣١ق.م بانتصار أوكتافيوس على أنطونيوس وكليوبارتا السابعة في معركة أكتيوم البحرية، والبعض يرى أن النظام الجمهوري في روما ينتهي في سنة ٢٧ق.م بمقتضي التسوية التي عقدت بين أوكتافيوس ومجلس السناتو لتوزيع إدارة الولايات بينهم.

ثالثًا: مرحلة الحكم الامبراطوري

امتدت هذه المرحلة من ٢٧ق.م عندما حدثت تسوية بين مجلس السناتو وبين أوكتافيوس، الذي أصبح منذ هذا الوقت يعرف بأغسطس بمعني المهيب أو الجليل، ذلك اللقب الذي منحه السناتو إياه، تكريمًا لما قام بها من حماية الرومان من خطر الملكة كليوباترا السابعة والتخلص منها ومن غريمها وضم مصر إلى أملاك الشعب الروماني، وبمقتضى هذه التسوية تم توزيع إدارة الولايات بين السناتو وأوكتافيوس، وقد استمر النظام الإمبراطوري في الجزء الغربي من الإمبراطورية الرومانية حتى سنة ٤٧٦م، واستمر النظام الإمبراطوري في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية حتى سنة ١٤٥٣م.

المبحث السادس: فترة الحكم الملكي (٧٥٣-٥٠٩ق.م)

يشير مصطلح (*Regnum*) إلى فترة الحكم الملكي أو الفترة الملكية، وهي الفترة المبكرة من تاريخ روما منذ تأسيسها في سنة ٧٥٣ ق.م إلى تأسيس نظام الحكم الجمهوري عند بداية القرن السادس قبل الميلاد، وبشكلٍ عام كان هذا المصطلح يشير إلى السيادة أو السلطة العليا التي يمتلكها الملك على جميع أفراد الشعب ومؤسساته في هذه الفترة، وهذا المصطلح كان يشير أيضًا إلى الممالك الأجنبية بمصطلح(*Regnum alienunt*).

أولًا: الملك:

استمرت فترة الحكم الملكي في روما حوالي مائتين وخمسون سنة، خلالها حكم المدينة سبعة ملوك، بداية من مؤسس المدينة الملك "رومولوس" حتى الملك السابع المعروف باسم "تاركوينيوس سوبيربوس" (*Tarquinius Superbus*) أو "تاركوينيوس المتغطرس"، الذي ثار الرومان ضده وطردوه من المدينة بعد أن خلعوه من العرش في سنة ٥٠٩ق.م، وبذلك انتهت فترة الحكم الملكي في روما، وبدأت فترة تاريخية جديدة في تاريخ الرومان عرفت بفترة نظام الحكم الجمهوري عند الرومان.

تشير الروايات التاريخية بشكل قوي إلى وجود الملك على قمة حكم روما منذ عصورها البدائية الباكرة، وأن الملك قد لعب دورًا فاعلًا في عملية الاتحاد السياسي لعناصر وأفراد المدينة، فقد سما الملك فوق العلاقات القبلية وروابط النسب، وبذلك عمل على تغييب وإلغاء عنصر السلالة الحاكمة في النظام الملكي منذ وقت مبكر، وتصدى للمنطق الأبوي والأسري الذي كان مهيمنًا على المدينة في وقت مبكر من تاريخها، ولذلك فإن الابن لم يستطيع أبدا أن يخلف والده في وراثة الحكم بعد وفاته، فقد كانت فترة حكم الملك تنتهي بوفاته، وذلك وفقًا للتقاليد القديمة التي كانت سائدة في إقليم لاتيوم في فترة ما قبل التاريخ، تلك الفترة التي كان يحكم فيها الكهنة بوصفهم ملوكًا لمدن الاقليم.

وعند موت الملك كانت الدولة تدار بواسطة مجلس الشيوخ (*res ad patres rediit*)، وكان مجلس الشيوخ يقوم بدوره في تعيين سلسلة من الملوك المؤقتين لادارة شئون الدولة (*interreges*)، حتى يتم استدعاء الشعب لاجتماع جمعية الكور (*comitia curiata*)، وفي هذا الوقت فان المرشح المقترح من قبل الملك المؤقت (*interrex*)، كان يحصل على التصويت الايجابي للشعب (*lex curiata*)، وعلى تأييد وتصديق مجلس الشيوخ (*patrum auctoritas*).

وتؤكد المصادر التاريخية على الارتباط الوثيق منذ البداية بين إرادة الآلهة وتعيين الملوك الجدد، فقد كانت الإرادة الإلهية أساساً لتعيين هؤلاء الملوك الجدد، فعلى سبيل المثال أسرع "رومولوس" المؤسس الأسطوري لروما قبل تأسيسها باستشارة الآلهة بشكلٍ مباشر عن الإشارات المواتية لموقع مدينته على تل البلاتين، كما أن خليفته "نوما بومبيليوس" (*Numa Pompilius*)، الذي لا يقل أسطورية بأية حال من الأحوال عن سلفه، كان أول شخص يتم تعيينه ملكاً من خلال طقوس دينية مقدسة أو (*inauguratio*)، وخلال هذه الطقوس وضع الكاهن يده اليمنى على رأس نوما، وطلب من الإله "جوبيتر" (*Jupiter*) إشارات واضحة بأنه يجب أن يكون ملكاً، وقد استمرت هذه الطقوس الدينية في تعيين الملوك حتى العصر الإمبراطوري، وكانت تتم هذه الطقوس في مكان مقدس بنيت خصيصًا لهذا الغرض في المعبد(*templum*).

وبما أن الملك كان يتم تعيينه وفقًا لطقوس الدينية (*rex inauguratus*) او انه جاء وفقًا للأمر الإلهي، فانه استغل ذلك الأمر في إحاطة نفسه بهالة من القدسية، حيث أصبح هذا الملك يشغل منصب الكاهن الأكبر لروما، وقام بدور الوسيط بين المجتمع والآلهة، ولم يكن الأمر الإلهي فحسب سببًا في تعيين الملك، بل أن الشعب ومجلس السناتو كانوا شركاء في تعيين الملك الجديد، حيث كان هناك عضواً في مجلس السناتو يسمى (*interrex*)، كان مختصًا بتعيين الملك الجديد، وكان تعيينه أو (*creatio*)، ثم بعد ذلك كانت تتم الطقوس الدينية الخاصة بتعيين الملك الجديد (*inauguratio*)، ثم بعد ذلك كان الملك الجديد يجتمع مع الجمعية الشعبية (*comitia curiata*)، وأمام هذه الجمعية خول للملك التمتع بكامل سلطاته، وهذا الأجراء الرسمي سمح لرعاياه في المستقبل خاصة جيشه، أن يشاركوا في تعيين الملك الجديد، وذلك من خلال ما يعرف بقانون "جمعية المئينات الخاص بمنح سلطة الامبريوم العسكري" (*lex curiata de imperio*)، كان يعتبر أخر خطوة لشغل الوظيفة– وظيفة الملك–، وقد استمر الرومان في إتباع هذه الإجراءات في العصر الجمهوري، في عملية تعيين كبار الحكام في وظائفهم.

وقد كان الملك يحمل لقب (*Rex*)، وكان يعتبر الأسمي مكانة بين أفراد الشعب الروماني، لأنه يمتلك السلطة القانونية والسلطة العسكرية العليا، وكان الملك أيضا الكاهن الأكبر ، وكان يترأس الاحتفالات الدينية المقدسة في المدينة، وكانت تعد واجباته الدينية الأكثر أهمية من بين الواجبات التي كان يقوم بها في وقت السلم، ونظام الحكم الملكي لم يكن وراثيًا بل كان انتخابيا، حيث كان يتم انتخاب الملك من قبل الشعب لمدي الحياة.

ونظراً لإن الملك كان يعتبر القائد العسكري والكاهن الأكبر، فإنه كان في نفس الوقت القائد الأعلى للجيش (*ductor*)، وراعي أو ضامن السلام مع الآلهة (*pax deorum*) داخل المدينة، حيث كان الملك الحارس الأعلى ومشرع للقوانين، والخبير الوحيد والمتحدث بقوانين المدينة، والقائم على تطبيقها لحل المنازعات التي تنشأ بين الأفراد ومعاقبة المجرمين الخارجين عن القانون، وقيام الملك بتطبيق القوانين يضمن أمن واستمرار وجود وبقاء المجتمع.

وكان يساعد الملك في القيام بالمهام الملقاة على عاتقه مجموعة من المساعدين، هؤلاء المساعدين حرص الملك على اختيارهم بنفسه بشكل دقيق، ففي الشؤون العسكرية كان للملك مساعد بلقب (*magister populi*)، قائد الجيش كان يحل بديلا عن الملك في قيادة الجيش عند الضرورة أو عند غياب الملك(وهنا تجدر الإشارة إلى ان مصطلح *populus* ، كان يستخدم في الاصل للاشارة الى الجيش أكثر من الاشارة الى المجتمع بكل مواطنيه)، وأيضاً كان هناك قائد الفرسان (*magister equitum*) الذي كان يساعد الملك جنبا إلى جنب قائد الجيش، وكان قائد الفرسان مكلفًا بقيادة سلاح الفرسان. وفيما يتعلق بإدارة الحكومة المدنية، فان الملك لم يعمل بمفرده في إدارتها، بل كان له مساعدين يعينونه على هذه المهام، فمنذ وقت مبكر جدا كان له مساعداً يعرف بوالي أو "حاكم المدينة" (*praefectus urbi*) وهذا الحاكم اكتسب مزيد من الأهمية بمرور الوقت، خاصة في مجال القانون المدني والجنائي، فضلا عن ذلك، فان هذا الحاكم كان مفوضًا عن الملك بفرض احترام المواطنين لتقاليد المدينة(*mores*)، وتلقي أيضا الملك المساعدة من هيئة الكهنة، الذي ربما كان الملك احد اعضائها.

وتشير المصادر القديمة إلى وجود عدد من القوانين التي قام بإصدارها الملك عرفت بـ (*leges regiae*) أو "قوانين الملك"، ومجموعة من اللوائح القانونية التي صدرت من قبل كل ملك من ملوك روما خلال فترة الحكم الملكي. وقد تميزت مشروعات قوانين الملوك بأنها لم تكن خاضعة للموافقة الرسمية عليها من قبل الجمعية الشعبية، وذلك على عكس مشروعات القوانين التي كان يتقدم بها الحكام في العصر الجمهوري، حيث كان يستلزم تحويل مشروعات قوانينهم إلى قوانين، أن تتم الموافقة عليها أولا من قبل الجمعية الشعبية للمواطنين الرومان.

وفي بعض الأحيان لم يكن هناك تمييز واضح بين سن القوانين الملزمة لكل أفراد المجتمع وبين الفصل في المنازعات بين المواطنين (*cives*). ويؤكد العلماء المحدثين على الطابع الواقعي للقانون الروماني في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الرومان، فقد كان المواطنون الرومان على إدراك بوجود القانون فقط عندما كان يتم إصدار قرار قضائي في حق احد المواطنين.

بالإضافة إلي الملك كانت هناك مؤسسات قانونية ودستورية وعسكرية في البلاد، وللأسف فإن الغموض يحيط بكثير من تفاصيل هذه المؤسسات في العصر الملكي، بينما لا يمكن الاعتماد على المصادر التاريخية المتأخرة بشكل كامل، لان هذه المصادر تميل إلى إرجاع أصل بعض المؤسسات الجمهورية إلى العصر الملكي، وعلى أية حال سوف نتناول أهم المؤسسات التي ظهرت في العصر الملكي وهي مجلس الشيوخ، الجمعية الشعبية، الجيش الروماني.

وكما كان الحال بالنسبة لمعظم المجتمعات القديمة في بداياتها المبكرة، فإن إدارة شؤون العدالة في كثير من الأحيان كانت تتركز بشكل أساسي على مجال القانون الجنائي وإصدار عقوبات ضد الأفراد الذين يمارسون سلوكيات وتصرفات ضارة في حق غيرهم من أفراد المجتمع، وقد تم التأكيد على هذا المجال منذ وقت مبكر بوجود اثنين من مساعدي الملك هما (*duoviri perduellionis*) و (*quaestores parricidii*)، الذين اختصوا بشكلٍ خاص في النظر ومقاضاة المجرمين المتهمين بجرائم خطيرة أو جرائم الخيانة العظمى في المجتمع.

وبالإضافة إلي ذلك فان الملك كان له دور في المجال العلمي، ويظهر هذا الدور في أن الملك كان حارسًا ومحافظًا على الوقت، ومسؤولا عن ضبط إيقاع الحياة في المدينة، خاصةً أن الرومان لم يضعوا حتى هذا الوقت نظام تقويم ثابت مرتبط بدورة السنة الشمسية، حيث كان التاريخ والوقت يحددان وفقًا لنظام مرن ومتغير باستمرار اعتمادًا على الدورة القمرية، وقد كان هذا التقويم مستخدمًا في تحديد وقت وتاريخ كل المناسبات في المدينة، وفي تحديد اجتماعات الجمعية الشعبية، وفي تحديد الأيام التي يتم فيها النظر في القضايا وشؤون العدالة، أيضًا في تحديد موعد الاحتفالات المتعددة التي كانت تقام احتفالاً بالمراحل المختلفة للعمل الزراعي. و عند بداية كل شهر كان الكاهن الأكبر (*pontifex maximus*) يقوم بعقد الجمعية الخاصة الدينية (*Comitia calata*)، وبهذه المناسبة كان الملك يعلن تقويم هذا الشهر، محددًا الأيام المسموح فيها القيام بالعمل (*dies fasti*)، وفي هذه الأيام يمكن عقد جلسات المحاكم ويمكن للقضاة والمحلفين أن يمارسوا سلطاتهم القضائية، والأيام التي لا يمكن فيها مزاولة أي عمل أو نشاط (*dies nefasti*)، وهذه الأيام كان ممنوع فيها انعقاد المحاكم أو اجتماعات الجمعيات الشعبية، لان هذه الأيام كانت مخصصة لإقامة المراسم والطقوس الدينية الاحتفالات العامة.

ثانيًا: المؤسسات القانونية والدستورية والعسكرية في العصر الملكي

بالإضافة إلى الملك الذي كان يأتي على رأس السلطة التنفيذية في روما في العصر الملكي، كانت هناك العديد من المؤسسات القانونية والدستورية والعسكرية في هذا الوقت، منها على سبيل المثال لا الحصر: مجلس الشيوخ، والجيش الروماني، والإحصاء.

مجلس الشيوخ:

بعد أن فرغ رومولوس من تأسيس مدينته، شرع في تكوين قوة عسكرية تقوم بحماية المدينة، حيث قام بإنشاء مجلسًا للمدينة عرف بمجلس الشيوخ (*Senatus*)، وعلى الرغم من أن مهام مجلس السناتو في العصر الملكي كانت غير واضحة، إلا إنه كان له دور في التصديق على انتخاب الملك مدى الحياة، وربما كان الدور الرئيسي لمجس السناتو في هذه الفترة، بمثابة مجلس استشاري للملك، وفي الأصل كان يتكون مجلس السناتو من مائة عضو، ثم بعد ذلك ازداد عدد أعضائه (*patres*) إلى ثلاثمائة عضواً.

وكان مجلس السناتو يعد واحدًا من أهم وأقدم المؤسسات الدستورية الروماني، وقد ظل موجودًا طوال تاريخ الرومان حتى سقوط إمبراطوريتهم، ولم يحدث أي تغيير جذري على البنية الأساسية لمجلس السناتو طوال فترة وجودة، كما انه لم يطرأ إي تغيير على أهميته القانونية والروماني بالنسبة للرومان.

وفي العصر الجمهوري أصبح مجلس السناتو أهم مؤسسة في البلاد فيما يتعلق بالسياسة الداخلية والخارجية للبلاد، ولم تكن هناك قواعد قانونية ثابتة ومحددة تحدد طريقة عمله أو نشاطه، فقد كانت علاقته سواء بالجمعيات الشعبية (*Comitia*) من ناحية أو علاقته بالحكام من ناحية أخري منظمة وسارية وفقًا للعرف، الذي كان متعارفًا عليه في تحديد علاقة السناتو بالمؤسسات الأخرى في البلاد، وفي مجال العلاقات الخارجية كان اهتمام مجلس الشيوخ منصبًا على نشاط استقبال السفراء والوفود الدول الأجنبية وتعيين السفراء للسفارات في الخارج.

الجيش الروماني:

ثم بعد ذلك قام رومولوس بتكوين قوة عسكرية للدفع عن المدينة وليدة النشأة ضد الأعداء، وتُشير المصادر إلى أن المؤسس الأول للفرقة الروماني هو الملك رومولوس(١)، بعد أن

(١) Varro. Ling.V. 87 ; Plut. Rom. XIII .

فرغ من تأسيس المدينة، وإنشاء مجلس الشيوخ(١)، كون قوة عسكرية صغيرة للدفاع عن المدينة(٢)، عرفت باسم الجيش الروماني تكونت من وحدات تكتيكية عرفت باسم المئينات Centuriae، ووحدات أخرى تعرف باسم السرايا manipuli(٣).

هذه الجيش بلغ عددها ثلاثة آلاف جندي من سلاح المشاة Pedites، وثلاثمائة فارس من سلاح الخيالة(أو المشاة الراكبون) Celeres(٤)(شكل رقم١)، تم تجنيدهم من المواطنين الأغنياء القادرين علي تزويد أنفسهم بالخيول والأسلحة على نفقاتهم الخاصة(٥)، من قبائل روما القديمة الثلاث(٦)- وهى: قبيلة رامنيس Ramnes، وقبيلة تيتيس Tities، وقبيلة لوكريس Luceres -(٧)، أسهمت كل قبيلة بعدد ألف جندي من المشاة يقودهم ضابط برتبة تربيون

---

(١) H. Liebert, Between City and Empire : Political Ambition and Political from in Plutarch s Parallel Lives, a Dissertation The Faculty of The Division of The Social Science, PH.D, Chicago, 2009, p. 185 .

(٢) P. Southern, op. cit., P. 87

(٣) Plut.Vit. Rom. XIII.

(٤) ورد ذكرهم في بعض المراجع باسم خيالة رومولوس، وبقى أسمهم مقترناً باسم الترابنة، بمعنى ضباط سلاح الخيالة Tribuni celerum حتى بداية العصر الإمبراطوري، ولكن بعد ذلك لم يصبح بمعنى قادة عسكريين، ولكن بمعنى كهنة ثانويين. راجع:

A. Momigliano, “The Origins of Rome”, in: CAH, Vol. VII, Part 2, Chapter 3, Cambridge, 1989, pp. 104-105 .

(٥) M. T. Boatwright, &others, The Romans From Village To Empire, Oxford, 2004, p. 43.

(٦) تعرف هذه القبائل باسم القبائل الرومولوسية نسبة إلى مؤسسها "رومولوس"، استمرت هذه القبائل لوقت طويل لها تأثير على تنظيم الجيش الروماني، وكذلك وحداتها الصغيرة التي عرفت باسم الكور- كل قبيلة كانت تنقسم إلي ثلاثين كوره- حتى بعد أن تم تكوين المئينات Centuriae بواسطة الملك "سرفيوس توليوس". للمزيد عن ذلك راجع:

A. Momigliano, op. cit., p. 105 .

(٧) M. L. Glay, & Others., A History of Rome, Oxford .2001, P. 28 ; P. Southern, op. cit., p. 87 .

عسكري Tribunus Militum، ومائة فارس من الخيالة Celeres يقودهم ضابط برتبة تربيون خيالة Tribunus Celerum(١).

في حوالي سنة ٦٠٠ ق.م سقطت مدينة روما تحت سيطرة الاتروسكيين، الذين كانوا يقيمون في شمال ايطاليا وكانوا أكثر تحضرًا من الرومان، ولم تتأثر روما بشكلٍ سلبي بالحكم الاتروسكي لها، فخلال هذه الفترة واصلت مدينة روما ازدهارها وتطورها في كنف الاتروسكيين، وقد ظهر هذا الازدهار في نواحي عديدة سواء في الزراعة أو التجارة أو بناء الطرق والمباني العامة.

وخلال حكم الملوك الأتروسكيين لروما(٢)، شهدت الجيش الروماني تغيرات جذرية في كلٍ من تكتيكها وتشكيلها العسكري، وذلك بظهور تكتيك جديد عرف باسم تكتيك الهوبليت(٣) وأسلحة جديدة خاصة به(٤)؛ أعتمد هذا التكتيك على الانضباط والتماسك والثبات النفسي وقوة

---

(١) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٢٨.

(٢) يرجع أصلهم إلى مدينة تاركويني Tarqunii الاتروسكية، ويدينون بالفضل في كثير من مؤسساتهم المدنية والعسكرية إلي الإغريق. للمزيد عن أصلهم وتاريخ استقرارهم بإيطاليا. راجع:

N. Sekunda & others, op. cit., P.3. ; E. S. McCartney, "The Military indebtedness of Early Rome to Etruria", Mem. Am. Acad.1 (1915-1916), p. 121.

وراجع أيضاً: إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ٣٧ -٤٧ .

(٣) مصطلح Hoplites يعني المشاة الثقيلة التسليح وهو مستمد من أسم الدرع الدائري الكبير Hoplon، الذي يرجح أنه عرف لأول مره سنة ٧٠٠، وهذا الدرع لم يقتصر استخدامه فقط في صد ضربات الخصم، ولكن أستخدم أيضاً بشكل فعال في التقدم والدفع الذي يعد جوهر قتال تشكيل الفالانكس. راجع:

Diod. Sic. XV, 44, 3 ; XXIII. 2.1 ; V. D. Hanson, Hoplites, The Classical Greek Battle Experience, New York, 2003, p. 15 ; P. Southern, op. cit., p. 87 ; A. M. Snodgrass, The Hoplite Reform and History, JHS 85 (1965), p. 110 .

(٤) أول ظهور لهذا التكتيك كان في بلاد الإغريق في أواخر القرن الثامن ق. م، ثم أنتشر استخدامه بين المدن المدن الأتروسكية حوالي سنة ٦٥٠، بينما الدليل علي وجود هذا التكتيك والأسلحة الخاصة به في روما والمجتمعات اللاتينية الأخرى في هذا الوقت المبكر ضعيف، ولكن يبدو بان أسلحة الهوبليت كانت في حيز الاستخدام الفعلي في روما بعد قدومه بوقت قليل إلى إقليم اتروريا Etruria. للمزيد راجع:

التدافع المنظم(١)، ولم يسمح للقيام بمناورات عسكرية في ميدان المعركة، وفيه لم تكن المبادرة بالهجوم شيء ضروري، لأن نتيجة المعركة حُددت بناءً على قدرة القوات فى الحفاظ على تماسك صفوف قواتها، وكان من النادر أن تنتهي معارك تكتيك الهوبليت بتطويق أحد الخصوم للأخر، وإن كان ذلك يحدث أحياناً ليس لمناورات يقوم بها الجنود الهوبليت(شكل رقم٢)، ولكن بسبب الميل الطبيعي في هذا التكتيك إلى الابتعاد عن أجنحة الجيش التي تكون غير محمية بالدروع(٢).

وقد ترتب علي ظهور تكتيك وأسلحة الهوبليت الجديدة في روما، ظهور تشكيل جديد لتنظيم الجيش الروماني في ميدان المعركة عرف باسم تشكيل الفالانكس(٣)، الذي أعتمد على تنظيم جنود الجيش الهوبليت في تشكيل قريب ومغلق، وهو إغريقي الأصل تم استيراده إلى ايطاليا عن طريق المستعمرات الإغريقية في جنوب شبة الجزيرة الايطالية، ويتكون من ثمانية صفوف في العمق، وجنوده مسلحين بدروع مستديرة كبيرة وحربة طويلة للطعن استخدمت كسلاح هجومي رئيسي بالإضافة إلى سيف قصير، كانوا يتقدمون كجسد واحد مثل البكرة. وهذا التشكيل يحتاج لحماية بقوة من سلاح الخيالة أو من المشاة الخفيفة توضع علي الأجنحة. وهو بمثابة قوة قتالية هائلة علي الأرض ذات التضاريس المستوية، أما التضاريس الوعرة فإنها كانت تؤدى إلى انهياره وإلحاق الهزيمة به(٤).

J. Rich, “Warfare and The Army in Early Rome”, in: A Companion to the Roman Army, Part 1, Chapter 1, Oxford, 2007, p. 17 .

(١) P. Cartledge, Hoplites and Heroes: Sparta's Contribution to The Technique of Ancient Warfare, JHS 97 (1977), pp. 15-16 .،

(٢) K. W. Meiklejohn, Roman Strategy and Tactics From 509 to 202 B. C, G&R, 7 (1938), p.171

(٣) J. Rich, op. cit., p.17 .

(٤) P. Southern .op. cit., p. 88 .

تتضح لنا أهمية التضاريس واختيار المناسب منها، أن القائد العسكري في تشكيل الفالانكس كانت تستنزف قواه تقريباً في عملية اختيار الأرض المناسبة له في للقتال، وقد كان الاسبرطيين أكثر الناس أتقاناً لهذا التشكيل. راجع:

P. Cartledge, op. cit., p. 16 .

ثالثًا: نهاية العصر الملكي

كانت هناك عدة أسباب أدت إلى زوال الحكم الملكي في روما، حيث لم تكن نهاية هذا العصر مفاجئة، بل كانت متوقعة، نتيجة لعدد من الأسباب المباشرة والأسباب غير المباشرة، وتمثلت الأسباب غير المباشرة في تذمر الشعب الروماني من الملك "تاركوينيوس المتغطرس" (Tarquinius Superbus) بعد أن قتل وانتزع الملك بطريقة غير شرعية من الملك "سرفيوس توليوس"، وبعد المعاملة القاسية التي عامل بها الشعب الروماني. تلك المعاملة التي طالت أعضاء مجلس السناتو، الذين قام باضطهادهم والتكنيل بهم، وقيامه بإنهاك الشعب الروماني في العمل في إنشاء نظام صرف صحي، المعروف باسم (Cloaca Maxima)، من خلاله تم تجفيف سطح تلال روما من المياة وتصريفها إلى نهر التيبر لكي تصب فيه في نهاية المطاف، فضًلا عن ذلك، فإن تاركوينيوس قد استخدم وسائل القمع ضد معارضيه في كل أنحاء إقليملاتيوم، وجعل من نفسه زعيمًا للحلف اللاتيني.

ومع ذلك فإن السبب المباشر في سقوط "تاركوينيوس" ونهاية العصر الملكي، ترجع الى السلوك الشائن لابنه سكستوس (Sextus)، الذي قام باغتصاب "لوكريتيا" (Lucretia)، وقد كان هذا السلوك بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير، حيث ترتب على ذلك انتحار لوكريتيا، مما أثار حفيظة وغضب الشعب الروماني، الذي هب ثائرًا ومتمردًا في وجه الملك من أجل الثأر للوكريتيا، وقد أدت ثورتهم إلى نفي عائلة تاركوينيوس من روما، وتم استبدال النظام السياسي أو النظام الملكي بنظام جديد عرف فيما بعد بنظام الحكم الجمهوري.

المبحث السابع: توسع روما في إيطاليا حتى قيام الاتحاد الإيطالى بزعامتها

دار نقاش كبير حول طبيعة الإمبريالية الروماني أو عملية التوسع الروماني خلال العصر الجمهوري، التي استغرقت قرون عديدة في حروب متواصلة دون هوادة، وقد رأي المؤرخون الرومان القدامى، ان هذه الحروب قامت بها روما من اجل الدفاع عن نفسها، وهذه الرؤية لهؤلاء المؤرخون تنبع من كونهم أعضاء قي مجلس السناتو، وقد كتبوا تاريخ روما وفقًا لهذه الرؤية او الاتجاه، بينما عملوا بكل ما استطاعوا من قوة على إخفاء الحقائق التي لا تتناسب مع وجهة نظرهم. والأطروحات العلمية الحديثة تسير على نهج المؤرخون القدامى، وتؤيد فكرة أن حروب روما كانت حروب دفاعية، الا ان هذه الرؤية حول طبيعة الامبريالية الروماني قد فقدت مصدقيتها إلى حدٍ كبير، حيث أن هذه الحروب الدفاعية لا تنطبق إلا على حروب روما في القرن الخامس

قبل الميلاد والحروب التي تلتها في وقت لاحق خاصةً حروب روما ضد الغال، اما غير ذلك فلا يمكن ان تكون حروب دفاعية.

ويرى "كويبر" (Kuiper)، إن الإمبريالية الروماني كانت ذات طبيعة هجومية، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، أولها: أن السعي الدؤوب من قبل روما إلى التوسع المتواصل على حسابها جيرانها، قد دفعها إلى القيام باثارتهم واستفزازهم، لكي يهبوا في الدفاع عن انفسهم ضد عملياتها الاستفزازية التي تقوم بها ضدهم. وثانيها: أن القناصل الرومان كانت لهم مصلحة في الحرب، لانهم كانوا على رأس القيادة العسكرية للفرق الروماني في ميدان المعركة، وكانوا يؤيدون ويحبذون الحرب على السلام، لكي يحققوا انتصارات عسكرية تكسبهم مزيدًا من المجد والشرف والرفعة الشخصية، وذلك مما يعزز من مكانتهم الاجتماعية والسياسية بين أقرانهم في المجتمع. ثالثها: أن قرار الحرب والسلام كان بيد جمعية المئينات، التي كانت تنحاز احيانًا إلى خيار الحرب على حساب قرار السلام، وذلك طمعًا في تحقيق الثراء، الذي سوف يعود عليهم من نسبة الغنائم التي يتم الاستيلاء عليها من الأعداء المنهزمين في الحرب. ورابعها: أن روما خلال الفترة من ٣٨٧-٢٤١ق.م، قد قامت بإنشاء أربعة عشر قبيلة ريفية جديدة، وهذا يشير الى النمو المطرد في حجم سكان روما، الذي قد يكون قوةً دافعة للتوسع الروماني في هذا الوقت. وخامسها: أن الرومان الذين كانوا يعيشون على الحدود قد ايدوا بشدة عمليات التوسع الروماني التي تتم ضد جيرانهم الرُحّلْ مثل الغال والسمنيين، فقد كان مربوا الحيوانات من السمنيين والغاليين يرعون حيواناتهم على التلال والهضاب المرتفعة في فصل الصيف وفي الأودية في الشتاء في هذه المناطق، مما تسببت في احتكاك ونزاع بينهم وبين المزارعين الرومان المسقرين في هذه المناطق.

كانت هناك العديد من الاسباب التي دفعت روما الى الاتجاه نحو سياسة التوسع، والخروج من نظام المدينة الى نظام التوسع او الامبراطورية، اولها السبب الجغرافي، حيث تضاريس ايطاليا كانت تساعد على اتجاه التوسع اكثر من تضاريس اليونان، كان بها سلسلتين من سلاسل الجبال ومساحات كبيرة من الاراضي، سلسلة جبال الالب الواقعة في شمال إيطاليا وكانت تفصل إيطاليا والبلاد التي تقع شمالها، وجبال الأبنين التي امتدت من شمال الى جنوب إيطاليا، التي قسمت شبه جزيرة إيطاليا الى قسمين شرقي وغربي، لكن الاتصال كان شهلا بينهماعن طريق البحر والسواحل الشرقية والغربية([1]).

([1]) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق ص ١٨-١٩.

والسبب الاخر في الاتجاه التوسعي لروما تمثل في الموقع الاستراتيجي لمدينة روما، فقد كانت تتوسط شبة الجزيرة الايطالية، مما مكنها ان تشترك في كل ما يحدث في ايطاليا. ونظرًا لتعرضها لهجمات متكررة من الغاليين والأتروريين والآيكويين والفولسكيين قامت روما بتكوين اتحاد مع القبائل اللاتينية المجاورة لها للدفاع عن نفسها، وعرف هذا بالعصبة اللاتينية التي تمت بمقتضي معاهدة كاسيوس ٤٩٣ق.م، وانتهت في ٣٣٨ق.م([1]).

وبمقتضى هذه المعاهدة أصبحت روما وإقليم لاتيوم قوة موحدة تحت قيادة روما، وكانت هذه المعاهدة الخطوة الأولى والهامة نحو المشروع التوسعي لروما في إيطاليا، وقد نصت بنود هذه المعاهدة على الآتي:

١- حق المواطنة الرومانية أو Civitas للمدن اللاتينية.

٢- حق الزواج من الرومان Conubium وحق الأبناء في الميراث.

٣- حق التجارة والتعامل داخل روما Commercium

٤- والحقوق المدنية العامة Iura Publica كحق تولى الوظائف الشرفية Ius honorum، وحق الاقتراع Suffragium وحق التقاضي أمام المحاكم الرومانية في روما Legis actio([2]).

التوسع داخل ايطاليا:

بعد أن وطدت روما أركان حكمها، بالقضاء على نظام الحكم الملكي وتأسيس نظام حكم جمهوري، يعتلي قمته اثنين من القناصل، شرعت روما في توسيع نطاقها الجغرافي، وبذلك تحولك روما من استراتيجيه الدفاع والتوطيد إلى استراتيجيه الهجوم والتوسع، وقد بدأت روما هذه الاستراتيجية بالتوسع داخل ايطاليا، ثم عرجت إلى التوسع خارج ايطاليا، لتكوين إمبراطورية تليق بتأسيسها الأسطوري المقدس على يد أبناء "مارس" (ريموس و رومولوس) إله الحرب عند الرومان.

([1]) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٩.

([2]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٨٤-٨٥.

وقد كانت هناك مخاطر عديدة تهدد وجود روما في داخل شبة الجزيرة الايطالية، لعل أبرز هذه المخاطر تمثلت في الأتروسكيين وفي الغال والسمنيين، وقد استطاعت روما التغلب على هذه المخاطر واحدة تلو الأخرى، وفيما يلي سوف نعرض لحروب روما مع هذه القبائل والممالك.

الحرب مع الأتروسكيين:

وقد أثار طرد ملك روما الأتروسكى "تاركوينيوس سوبربوس" Tarquinius Superbus حفيظة الأتروسكيين، لذا أرادوا الانتقام من روما، وفى البداية تولى لواء حرب الأتروسكيين ضد روما الملك بورسينا Porsenna ملك كلوسيوم Clusium، الذي هزم من روما والعصبة اللاتينية عند أريكيا سنة ٥٠٥ق.م، وبعد ذلك دخلت روما في حرب طاحنة ضد مدينة فياى Veii الاتروسكية، استطاعت من خلالها مدينة فياي الاتروسكية الاستيلاء على مدينة فيدناي (Fidenae) التي كانت تسيطر على معبر على نهر التيبر على بعد ثماني كيلو مترات تقريبا الى الشمال الشرقي من روما([1]).

حروب الحلف اللاتيني:

كان للهزيمة التي مني بها الرومان في اريكيا على يد الاتروسكيين انعكاسات خطيرة على علاقتهم بالعصبة اللاتينية، حيث طردت روما من العصبة اللاتينية بعد هذه الهزيمة، وازدات العلاقات بينها وبين العصبة توترًا، وصل الى حد الحرب، واهم معارك هذه الحرب معركة جرت رحاها عند بحيرة ريجولوس، يرجح تاريخ حدوثها بين سنة ٤٩٩ او ٤٩٦ق.م، وفيها انتصر الرومان على العصبة، ولكن لجأ الطرفان الى عمل تسوية، نظرًا لهجوم القبائل الجبلية الفقيرة على لاتيوم، وفي سنة ٤٩٣ق.م توصل الطرفان إلى عقد معاهدة كاسيوس (Feodus Cassium)، بمقتضاها كون حلف عسكري هجومي ودفاعي اسهموا في تكوين قواته واقتسام الاسلاب والغنائم بينهم على قدم المساواة. وكانت القيادة العسكرية للحلف بالتناوب بينهم، وقضت المعاهدة أيضًا بتبادل حقوق المواطنة الخاصة فيما يتعلق بحق الاتجار وحق الزواج بين روما والعصبة اللاتينية([2]).

---

(١) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ٩٠ ، ١١٢.

(٢) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الاول، ص ص ١١٢-١١٤.

دخل الحلف اللاتيني في حروب متعددة ضد جيرانه من القبائل الجيلية– السابيني والايكوي والفولسكي– وضد مدينة فياي الاتروسكية. دأب السابيني على شن غارات متكررة على روما، التي استطاعت كسب ود زعيمهم اتيوس كلاوسوس (Attius Clausus)، ومنحنته مساحة من الارض استقر فيها وعشيرته، ومنحتهم حقوق المواطنة الروماني، وادمجت عشيرته في عداد طبقة البطارقة، فاتخذ اتيوس الاسم اللاتيني أبيوس كلاوديوس(Appius Claudius)، وبعد سنة ٤٦٠ق.م اصبحت غارات السابيني على روما ضعيفة لا تشكل لها أي خطورة تذكر. اما غارات الايكوي والفولسكي على روما، فكانت الاخطر والاطول امدًا، عند منتصف القرن الخامس قبل الميلاد استطاع الأيكوي السيطرة على قلب لاتيوم وأقاموا على جبل الجيدوس (Algidus) قلعة اتخذوها مركزًا لاغاراتهم، وفي ٤٣٠ق.م تمكنت العصبة من طردهم من القلعة، ثم طرد الفولسكي من الجزء الجنوبي الساحلي من سهل لاتيوم. كما ان الحلف خاض عند منتصف القرن الخامس قبل الميلاد حرب ضد مدينة فياي الاتروسكية، التي تقع على بعد عشرين كيلومتر شمال روما، وتم طرد فياي من مدينة فيدناي، وبعد عشر سنوات من حصار فياي ٤٠٥ق.م–٣٩٦ق.م تم تدمير فياي تمامًا([1]).

الحرب مع الغال:

هاجرت مجموعة من القبائل التي تقطن بلاد الغال –فرنسا الحالية– الى شمال ايطاليا، وعرفت بالهجرة الغالية، تكونت من ثماني قبائل غالية، أهمهم قبيلة الانسوبريس (Insuberes)، والكنوماني (Cenomanii)، والبويي (Boii)، والسنونيس (Senones)، والغال هم أحد الفروع الكلتية، تميزوا بطول القامة وحسن الوجه، والشجاعة في القتال الى حد التهور، كانوا يقاتلون عراة إلا من تمائم وسلاسل ذهبية، ينقضون على اعدائهم ويقذفون في قلوبهم الرعب، إلا إنهم يفتقدون للنظام وطول النفس في القتال، ليس لديهم خبرة في حصار المدن، سيوفهم الطويلة ضعيفة عرضة للانثناء. أغاروا على إقليمي أتروريا ولاتيوم، للحصول على الغنائم وأراضي جديدة، بدأ غزوهم لأراضي الأتروسكيين في سنة ٤٠٠ق.م، وعندما وصلت غاراتهم إلى مدينة "كلوسيوم" الاترورية، بقيادة برينوس(Brennus) زعيم قبيلة السنونيس، فانها طلبت النجدة من روما، وعندما فشل حصارهم للمدينة، أرادوا الانتقام من روما لمساندته مدينة كلوسيوم، وفي ٣٩٠ق.م دارت معركة

([1]) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ص ١١٤–١١٧.

طاحنة بين الغال ورما على بعد أميال من روما على ضفاف نهر أليا(Allia)–احد روافد التيبر–، وهزم الرومان وحلفائهم اللاتين هزيمة ساحقة، واحتمى الرومان بقلعة الكابيتول، وحاصرها الغال قرابة سبعة شهور، ولإنقاذ روما من هذه الكارثة التي حاقت بها، قام مجلس الشيوخ بتعيين "كاميللوس" ديكتاتور للبلاد.

وبعد غزو الغال لروما قاموا بفرض جزية سنوية ضخمة عليها، ثم انسحبوا الى الشمال عبر جبال الابنين، هذا العار الذي لحق بالرومان على يد الغال لم يمحى إلا بعد أن قام يوليوس قيصر بغزو الغال، وادي غزو الغال لروما لوقوعها في مشاكل اقتصادية وسياسية حتى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، لتوقف النشاط التوسعي لها، لكن بعد ذلك استعادت روما مرة اخرى نشاطها التوسعي العسكري الذي مكنها من السيطرة على شبة الجزيرة الايطالية([1]).

حرب روما مع الايكوي والفولسكي:

قام الحلفاء السابقين للرومان الايكوي والهرنيقي بشن الحرب على روما، إلا إنها استطاعت إخضاعهم لسيادتها في ٣٨٠ق.م، أما الفولسكي فقد استمروا في محاولة السيطرة على جنوب لاتيوم، مما استدعي من الرومان القيام بحملات متكررة ضد الفولسكي إلى أن تم ضم جزء كبير من أراضيهم إلى الرومان في ٣٥٨ق.م بعد هزيمتهم وهزيمة حلفائهم من المدن اللاتينة التى تمردت على روما، وإرغامهم جميعًا على أن يجددوا معاهدة كاسيوس معها، وقد تم تعمير أراضي الفولسكي بمستعمرين رومان وتكوين قبيلتين ريفيتين، وودخل الفولسكي في سنة ٣٣٨ق.م في تحالف مع الرومان بعد سقوط مدينتهم انتيوم([2]).

روما وصراعها مع مدن الحلف اللاتيني:

نقض الهرنيقي والفولسكس تحالفهم مع روما، مما أدى إلى تشجيع مدن الحلف اللاتيني على التمرد ضد روما، إلا ان روما هزمتهم في ٣٥٨ق.م وارغمتهم على تجديد معاهدة كاسيوس، واصبح بمقتضى هذا التجديد الحق في قيادة القوات المتحالفة لروما فقط ولم يعد هناك تناوب في القيادة، ولذلك حدث في ٣٤٠ق.م أن تمردت مرة اخرى كل مدن الحلف اللاتيني ضد روما

([1]) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ٣٨.

([2]) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٢١.

وتحالفوا مع مدن كمبانيا، وذلك بسبب عدم اعطاء الحلف اللاتيني جزء من أراضي الفولسكي التي استأثرت بها روما بمفردها، وعقد الرومان التحالف مع السمنيين مع جعل اللاتين يشعرون بمحاصرتهم من ناحية بالرومان ومن ناحية أخرى بحلفائهم السمنيين، وعقد الرومان التحالف مع قرطاجة ٣٤٨ ق.م بمقتضاه إلا تعتدي قرطاجة على شواطيء لاتيوم مقابل عدم اعتداء روما على منطقة نفوذ قرطاجة، مما يؤكد على أن روما اصبح لها النفوذ والسيدة على لاتيوم، لذا تمرد اللاتين حتى لا يقعوا تحت سيطرة روما، ودخلوا في حرب عرفت بحرب اللاتين الكبرى لثلاث سنوات ٣٤٠-٣٣٨ق.م انتهت بانتصار روما في معركة جبل ڤيزوڤيوس وسحق اللاتين، ونتيجة لذلك حلت العصبة اللاتينية وطبقت روما مبدأ فرق تسد بمعنى أنها عقدت معاهدة تحالف مع كل مدينة لاتينية على حده، وفقدت خمس مدن استقلالها، والباقي احتفظ بالاستقلال الذاتي مقابل تقديم مساعدات عسكرية لرومان، وفقدت المدن اللاتينية حقي الاتجار والتزاوج من بعضهم البعض، مع الاحتفاظ بهذه الحقوق بينهم وبين روما([1]).

ضم إقليم كمبانيا:

تقع كمبانيا جنوب غرب شبة الجزيرة الايطالية في منطقة فسيجة، وابرز مدن هذا الاقليم مدينة كوماي، استطاعت في ٣٤٠ق.م روما عزل الكمبانيين عن اللاتين من خلال اقناع الكمبانيين بنقض تحالفهم مع اللاتين، وهذا شيء يحسب للدبلوماسية الروماني، وعقدت معهم معاهدة بمقتضاها اصبح للكمبانيين الحق في الزواج من روما والالتجار، واصبح من حق بعض مدن كمبانيا التمتع بحقوق المواطنة الروماني([2]).

الحرب مع السمنيين:

السمنيين هم إحدى القبائل الجبلية التي استقرت فى مرتفعات الأبنيين Apennines الجنوبية وسيطرت على مساحة كبيرة من الأراضي تمتد من ساحل البحر الأدرياتى حتى خليج تارنتوم، وهم شعباً صعب المراس تميز بالقوة، استغلوا معرفتهم بالجبال ومسالكها، قواتهم الحربية

([1]) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ١٢٢-١٢٣، محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٨٧.
([2]) محمود ابراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٨٩.

تشكلت في مجموعات صغيرة manipuli، مسلحة على غرار نظام تسليح الرومان، فقد كانوا بحملون درع كبير مستطيل، ودرع لحماية الساق اليسرى، وسيف قصير، ورمح pilum، ولديهم كتائب كبيرة الحجم، وسلاح خيالة قوى.

وقد مني الرومان بهزيمة كبيرة أمام السمنيين في معركة وادي "شعاب كاوديوم" (Furculae Caudiinae، Caudine Forks) في سنة ٣٢١ق.م، وتم إرغام الجيش الروماني على التسليم، والسير تحت النير(*subjugum*)، وكلمة (*subjugum*) تعنى القهر والخضوع والاستعباد، مأخوذة من الكلمة اللاتينية sub بمعنى تحت، و jugum بمعنى الثور أو الحصان، والنير عبارة عن ثلاث حراب، تم تثبيت اثنتين منهما بشكل عمودي في الأرض والثالثة وضعت بشكل أفقي ربطت بين قمتي الحربتين الأخريين. مرت من تحته الجيوش المهزومة لإذلالها، فالعبور من تحت النير كان بمثابة شيء مخزٍ جداً للجنود المنهزمين، وإشارة إلى جبنهم وفقد شرفهم بدلاً من موتهم بشكل مشرف.

ونظرًا لهزيمة الجيش الروماني في معركة وادي " شعاب كاوديوم" فإنه طرأت تغيرات جذرية علي تنظيمات وتكتيكات الجيش الروماني أثناء الحروب السمنية (٣٤٣- ٢٩٠)، وبشكلٍ خاص خلال الحرب السمنية الثانية (٣٢٤- ٣٠٤)، ونلمس ذلك التغيير في إدخال إصلاحات كبيرة على تنظيم "الهوبليتاي" أو المشاة الثقيلة، فقد تخلت الجيش عن تشكيل "الفالانكس" أو "الفيلق" وأتبعت التشكيل الثلاثي–الذي سنشير إليه بعد قليل–، وقاموا أيضاً بإدخال إصلاح تكتيكي أصبحت فيه الوحدة الرئيسية للفرقة الروماني "المانيبولوس" (*Manipulus*)، وهي وحدة عسكرية ثانوية تتكون من ستون إلى مائة وعشرون جندي مشاة، بدلاً من "الكنتوريا" أو المئين (*Centuria*)، الذي لم يعد في هذا الوقت سوى بقايا تاريخية لتنظيم قديم كان متبعاً في تشكيل الجيش الروماني فيما سبق، وتبع ذلك تجريد نظام المئين من كل التكتيكات العسكرية الهامة التي كانت تتبع في نشر قوات الجيش فى ميدان المعركة وحل محلها السرية(١). بالإضافة إلى الإصلاح الذي تم إدخاله إلى نظام الجندية بأن أصبح بقاء الجندي في الخدمة العسكرية مرتبطًا بانتهاء الحرب الثائرة وليس ببقاء قائده مثلما كان متبعا قبل ذلك(٢).

الحرب مع بيرهوس ٢٨١-٢٧٢م:

(١) N. Fields, The Roman Army Of The Punic Wars 264–146 B.C, p. 16 .

(٢) نجيب إبراهيم طراد، المرجع السابق، ص ١٠٣ .

بسطت روما نفوذها على شبه الجزيرة الايطالية، وأصبحت تتطلع إلى التوسع في حوض البحر المتوسط، وسنحت لها الفرصة لذلك اثناء الحرب مع بيرهوس، وسبب هذه الحرب مطالبة أهل المدينة الإغريقية "تارنتوم" Tarentum في جنوب إيطاليا من "بيرهوس" ملك "إيبيروس" بالتدخل لمساعدتهم في حربهم ضد الرومان، وعلى الرغم من الحرب البيرهوسية الشرسة التي كانت اكثر ضراوة واطول امدًا من غيرها من الحروب التي شنت على الرومان، إلا ان "بيرهوس" فشل في كسر شوكة الرومان، حيث كانت انتصاراته على الرومان، انتصارات كارثية عليه اكثر من الرومان، حتى ان انتصاراته كانت مضربًا للمثل في العلوم العسكرية بـ "النصر البيرهوسي"، ذلك النصر الذي يسبب خسائر للمنتصر اكثر من خسائر المهزوم([1]).

وللبحث عن أسباب فشل بيرهوس ضد الرومان، اصبح الرومان قادرين على عمل دفاعاتهم الحصينة ضد بيرهوس والاستفادة من تراجعهم امام جيوشة. كما إنهم تعلموا كيف يقومون بعمل الخنادق للدفاع عن انفسهم، واختيار المواقع الأفضل لاقامة معسكرات جيوشهم وتنظمها تنظيمًا جيدًا، فضلًا عن ذلك، فإن الرومان لم يصبحوا في فزع عند رؤيتهم لفيلة بيرهوس، حيث اعتادوا على رؤيتها وعلى التعامل معها([2]).

بعد الصراع بين الرومان وبيرهوس الملك الهللنستي لمدة ست سنوات النتهي في ٢٧٥ق.م، بانتصار وما على بيرهوس، واصبحت روما بموجب هذا الانتصار لأول مرة كقوة معترف بها في عالم البحر المتوسط، حيث اعترف بها الملك بطلميوس فيلادلفوس، وخطب ود روما بان قام بارسال سفارة الى روما ف ٢٧٣ق.م، وكان موقف روما من ذلك ان ردت بسفارة ارسلها السناتو الى مصر([3]).

المبحث الثامن: تطور روما السياسي والدستوري حتى أواسط القرن الثالث ق. م

أدت الفتوحات الروماني إلى اتساع مساحة إقليم الدولة الروماني وتكوين تحالف عسكري بين روما وحلفائها، وكان لزامًا على روما أن تقوم بتطوير نظمها السياسية والدستورية كي تتماشي مع هذه التطورات سواء على الصعيد السياسي أو الدستوري.

([1]) تأملات في تاريخ الرومان، ص ٤١.

([2]) تأملات في تاريخ الرومان، ص ٤١.

([3]) لطفي عبدالوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٢٠.

فعلى الصعيد السياسي عندما قام الرومان بإلغاء نظام الحكم الملكي في سنة ٥١٠ق.م، استبدلوا هذا النظام البائد الذي فقد شرعيته وشعبيته من قبل المواطنين الرومان، بنظام حكم جديد عرف بنظام الحكم الجمهوري، والمصطلح اللاتيني respublica، مشتقة منه كلمة Republic، التي تعني الجمهورية أو الكومنولث أو رابطة الشعوب، وبالمفهوم الإغريقي للديمقراطية فإن روما في العصر الجمهوري كانت جمهورية ديمقراطية، حكمت بواسطة الشعب في هذا الوقت.

وفي هذا النظام الجديد اسندت الوظائف والسلطات التي كان يتمتع بها الى عدد من الموظفين، عرفت وظائفهم بالوظائف العامة او الوظائف الشرفية، وسميت بهذا الاسم لإن الشخص الذي يتولى أحد هذه الوظائف لا يأخذ أجر مقابل توليه الوظيفة من الدولة.

وكان هناك ترتيب تسلسلي أو مسار لتولي الوظائف الشرفية العامة خلال العصر الجمهوري وأوائل العصر الامبراطورية، عرف بسلك الوظائف الشرفية (cursus honorum)، وهذا المسار صمم خصيصًا للرجال الذين ينتمون إلى طبقة السناتو، وكان هذا المسار خليطًا من وظائف عسكرية ووظائف سياسية ووظائف إدارية، وكان لزامًا على كل الأشخاص الطموحين سياسيًا أن يسيروا في مسار هذا السلك الوظيفي، ويبدء سلك الوظائف الشرفية عند الرومان بوظيفة الكوايستور ثم الإيديل ثم الكنسور ثم البرايتور ثم القنصل.

الكوايستورية: أمين الخزانة العامة

تذكر الروايات التاريخية المختلفة أن لقب الكوايستور كان موجوداً في روما منذ العصر الملكي، حيث كان ملوك روما يقومون بتعيين موظفين يعرفون بلقب (Quaestores Parricidii)، كانت مهمتهم الأولى تتعلق بتنفيذ الاحكام القضائية على المجرمين المدانين بجرائم القتل في روما، أما عن وظيفة الكوايستورية المعنية بالشؤون المالية، فيرجع ظهورها إلى بداية العصر الجمهوري وكان توليها يتم من خلال التعيين، حيث كان كل قنصل من القناصل يقوم سنويًا بتعيين كوايستورا واحداً، ولكن منذ سنة ٤٤٧ق.م حدث تغيير جذري في طريقة تولي هذه الوظيفة، فقد اصبحت منذ هذا التاريخ بالانتخاب بواسطة جمعية القبائل. وحدث تطور أخر لهذه الوظيفة في سنة ٤٢١ق.م، حيث تم اضافة اثنين من العامة إلي وظيفة الكوايستورية، وبذلك أصبح عددهم اربعة كوايستور، وتم توزيع الاختصاصات المالية بينهم، حيث تولى اثنان منهم مهمة الاشراف على الخزانة العامة في روما، واثنان كانت اختصاصاتهم المالية تتعلق بالاشراف على الشئون المالية للجيش وهؤلاء كانوا مرافقين دائمًا للجيوش الروماني اينما حلت أو ارتحلت. ومع

التوسع الذي شهدته روما خلال القرن الثالث قبل الميلاد، فقد تضاعف عدد الكوايستور في عام ٢٦٧ق.م لكي يصل إلي ثمانية كوايستور، الذين انتشروا في مناطق ومدن مختلفة في ايطاليا للاشراف على الشئون المالية للبلاد([1]).

الإيديلية: مسئول الأمن والتجارة

كلمة إيديل Aedilis، والجمع Aediles، مشتقة من الكلمة اللاتينية aedes بمعنى معبد، وهو موظف في روما كان مسؤولًا بشكل أساسي بمعبدة وبعبادة "كيريس" Ceres. وفي البداية كان عدد الإيديل أثنين ينتمون إلى طبقة العامة، انشأت هذه الوظيفة في نفس الوقت الذي انشأت فيه التربونية العامة في سنة ٤٩٤ق.م، وهؤلاء كانت لهم قدسية مثل قدسية ترابنة العامة.

مرت هذه الوظيفة بمرحلتين الأولي: منذ سنة ٤٩٤ق.م، حيث كانت اختصاصات الايديل مقتصرة على الإشراف على حفظ المحفوظات وأمانة الأرشيف وبذلك لا يعدو الايديل أن يكون أكثر من مساعدًا لنقيب العامة "تريبونوس"، وكان عددهم اثنين فقط. أما في المرحلة الثانية: منذ سنة ٣٦٧ ق.م ، اصبح عددهم أربعة، وكان يتم انتخابهم سنويًا عن طريق الجمعية القبلية، اثنان من العامة عرفوا بإيديل العامة (Aediles Plebis)، وهذه الايديلية كانت حكراً على العامة فقط، وأثنان منهم من الأشراف عرفوا بإيديل الأشراف (Aediles Curules)، وهي أسمى مكانة من إيديلية العامة، اشترك فيها العامة والأشراف بالتناوب، وكان إيديل الأشراف فقط (*aedilis curulis*) يعتبر من ضمن الوظائف الشرفية (*magister curulis*) وتوسعت اختصاصاتها عما كانت عليه من قبل، لتشمل اختصاصات الإيديل كل ما يتعلق برعاية شؤون المدينة، سواء صيانة شوارع المدينة وتطبيق قواعد المرور فيها، أو تدبير إمدادات المدينة بالمياه والحبوب، والإشراف على المعاملات التجارية في الأسواق، ومراقبة الموازين والمكاييل، وحفظ الأمن والنظام خاصة في الحفلات والأعياد([2]).

الكنسورية: الرقيب

---

(١) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ص١٧١- ١٧٠.

([2]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٨٠.

يرجع انشاء هذه الوظيفة الى سنة ٤٤٣ق.م، ويعتبر الكنسور أو الرقيب من كبار الموظفين الرومان في سلك الوظائف الشرفية، ولكن ليس لدية سلطة الامبريوم العسكري (Imperium)، مثل القنصل أو البرايتور، كان يتم انتخاب اثنين من الرقباء لمدة ثمانية عشر شهرًا، وبشكل عام كان القناصل السابقين–حرصوا على تولي هذه الوظيفة بعد القنصلية– والرقباء يتم تعيينهم كل أربعة أعوام، ثم بعد ذلك كل خمسة اعوام. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه المدة كانت تختلف من وقت إلى أخر. وكان الرقباء يرتدون العباءة الأرجوانية.

وقد غلب في البداية الطابع الطبقي على هذه الوظيفة، فمنذ نشأة هذه الوظيفة–٤٤٣ق.م كان يشغلها في معظم الاحيان اشخاص ينتمون إلى طبقة البطارقة، ولكن في سنة ٣٣٩ق.م صدرت قوانين (Leges Publiliae) التي قضت بان يكون احد الرقباء من طبقة العامة، واول رقيب من العامة تم تعيينه في سنة ٣٥١ق.م، وذلك وفقًا للقائمة التي وضعها "كرام" (Cram)، للرقباء منذ نشأة الوظيفة إلي سنة ٢٢ق.م، ومهام الرقباء كانت تشمل على إجراء الإحصاء، وعمل التضحية التطهيرية (Lustrum)، وهو طقس من طقوس الطهارة او التطهير– ولم يكن هناك إحصاء أو طقس تطهيري في الفترة مابين سنة ٦٩ الى ٢٨ق.م–، ويرى "وايزمان" (Wiseman)، أن المجموعات المحافظة من الرقباء المحافظين كانت تمنع تسجيل المزيد من الإيطاليين في جمعية المئينات، وكانوا يقومون بمراجعة سجلات القبائل، ومراجعة عضوية السناتو والفرسان، واستبعاد الاعضاء غير المناسبين، وتقديم القوانين والتشريعات الخاصة بالإحصاء، والاشراف على انشطة المباني العامة، وبذلك فإن مصطلح رقيب يعني "الخبير– المُقيم"، كانت مهامة الاساسية تتعلق بتسجيل المواطنين لتأدية الواجب العسكري–ذلك كان قبل إصلاح "ماريوس" العسكري–، ولدفع الضرائب(Tributum)– الغيت في سنة ١٦٨ق.م، وكان مسؤولًا عن تأجير الاملاك العامة للدولة، مثل المناجم، وعمل التعاقدات الخاصة بالأعمال العامة وتحصيل إيرادات الدولة، وقبل عصر "سوللا" كان الرقباء مسؤولين عن قبول الأعضاء في مجلس السناتو، والتسجيل في الاحصاء ضروريًا لكي يتمتع المواطن بحق التصويت في جمعية المئينات، والتسجيل كان يتضم تقديم إقرار يقسم فيه مقدمه على صحة البيانات الوارده فيه عن عمره واسرته املاكه.

وتوسعت مهام الرقيب حتى انها شملت مسؤوليته عن ضبط اخلاق طريقة حياة الرومان، وكانت من مسؤوليتاته تصنيف اعضاء السناتو ومئينات الفرسان إلى أشخاص حسن السمعة وأشخاص سيء السمعة، وكان سلطانهم القضائي يشمل على الأماكن العامة والخاصة، وكانت إيرادات الشعب الروماني كاملة تخضع لحكمه، والسبب في إنشاء هذه الوظيفة أن الإحصاء لم يتم

اجراءه لعدة سنوات ولا يمكن تاجيله، والقناصل لم يكن لديهم وقت كافي للقيام بهذا الواجب، بسبب الحروب الكثيرة التي كانت محيطة بالرومان في هذا الوقت.

البرايتورية: كبار القضاة

نظرًا للتطورات التي طرأت على روما وتوسع حدودها عما كانت عليه من قبل، فإن العديد من التعديلات قد ادخلت على السلطة التنفيذية في البلاد، ومن هذه التعديلات انشاء منصب جديد هو منصب البرايتور أو كبير القضاة، وقد حدث ذلك في سنة ٣٦٧ق.م، وذلك للقيام بأعباء شؤون العدالة والقضاء في روما والتخفيف عن كاهل القناصل من هذه المهمة، فقد كانت تقع على كاهل القناصل اعباء كثيرة منها ما يتعلق بالحرب ومنها ما يتعلق بالقضاء، ونظرًا لتعدد جبهات القتال التي كانت تشترك فيها روما، وبالتالي غياب القناصل عن المدينة وتعطل شئون القضاء ومصالح الناس، فقد تم استحداث هذه الوظيفة، ولقد تمتع البرايتور بسلطة الامبريوم العسكري أو سلطة القيادة العسكرية العليا، التي كان له الحق بمقتضاها القيام بكل مهام القناصل إن لزم الأمر، سواء قيادة الجيوش في الحرب أو القيام بدعوة الجمعيات الشعبية في روما للإنعقاد، وكان من حقه اصدار قرارات عليا مالم يعترض عليه أحد من القناصل، ولا شك انه في حالة غياب القنصلين عن روما كان البرايتور يحل محلهم. والبرايتورية كغيرها من الوظائف العليا غلب عليها الطابع الطبقي، فبالرغم من السماح للعامة بالترشح لهذا المنصب بمقتضى قوانين "سكستيوس و ليكينيوس"، إلا إنه ظل حكرًا على الارستقراطيين حتى سنة ٣٣٧ق.م، حيث تولي احد الاشخاص الذين ينتمون إلى طبقة العامة وظيفة البرايتورية لأول منذ ظهورها([1]).

القنصلية:

في النظام الجمهوري تم إسناد السلطة العسكرية أو سلطة الإمبريوم Imperium السابقة التي كان يتمتع بها الملك في العصر الملكي إلى أثنين من الموظفين القضائيين، كان يتم انتخابهم سنويًا، وعرفوا باسم القناصل، ومدة شغلهم للمنصب سنة واحدة فقط، وحظي هؤلاء الأشخاص بمكانة مرموقة، و كان ينظر إليهم دائمًا على إنهم الحكام الرئيسيين للجمهورية الروماني، لدرجة أن سنة حكمهم كانت تسمى على اسمائهم معًا لاغراض تاريخية؛ حيث كانت تؤرخ الأحداث بفترة

([1]) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ص ١٥٥-١٥٦.

شغلهم للمنصب، فإذا وقعت حادثة من الاحداث كانت تسجل بانها حدثت في سنة تولي القنصلين، وبذلك تم الاحتفاظ بسجلات دقيقة من أسماء القناصل، تلك القوائم التي شكلت فيما بعد أساسًا للتاريخ للجمهورية الروماني.

وبشكل أساسي كان الأشخاص الذين يتولون منصب القنصلية من بين القادة العسكريين الذين يقودون الجيوش الروماني في ميادين القتال، وذلك يشير بشكل واضح إلى الإيديولوجية العسكرية التي كانت مسيطرة على مخيلة الرومان في هذا الوقت، فالأولوية الأولي لهذه الايديولوجية: هي الدفاع عن الجمهورية الروماني الوليدة وحمايتها من الأعداء، أما الأولوية الثانية للايديولوجية العسكرية: فقد تمثلت الهجوم على جيرانها من اجل التوسع الاقليمي على حساب المدن الاخرى في شبة الجزيرة الايطالية، وكانت المهمة الاساسية للقناصل هي قيادة الجيوس الروماني في ميادين القتال، ونظرًا لاتساع نطاق الحروب التي خاضتها روما في بداية العصر الجمهوري، ازدادت اعبائهم العسكرية، وفي حالة خروج القنصلين معا الى ميدان واحد للقتال، كانت القيادة العليا – الامبريوم– تقسم بينهم يوما بعد يوم بالتعاقب، وكانت لهم مهمة دينية محددة تمثلت في استطلاعهم لرغبات الالهة (Auspicia) لمعرفة رضائها من سخطها قبل الإقدام على عمل عام([1]).

وكانت آلية تولي القناصل لمنصب القنصلية تتمثل في آلية الانتخاب، حيث كان يتم انتخابهم بواسطة جمعية المئينات، هذه الجمعية التي كانت بمثابة الجيش الروماني منظمًا في مؤسسة انتخابية–جمعية المئينات–، كانت مهمتها انتخاب كبار الموظفين الرومان، واخذ القرارات الهامة المتعلقة بالحرب والسلام.

وكانت وظيفة القنصلية تقوم على مبدأ الزمالة (*collegiality*) في تولي الوظيفة العامة، فقد كان يتم انتخاب اثنين من القناصل سنويًا، كل منهم ند متكافئ للأخر، لهما نفس السلطة في هذا المنصب، وقد كان مبدأ الزمالة أو السلطة المشتركة ، قاعدة أساسية في معظم الوظائف العامة الروماني، وكانت أهمية هذه القاعدة تكمن في ضمان عدم إساءة استخدام السلطة من قبل أي من الزملاء، حيث كان يمكن لأحد الزملاء ان يعترض على سلوك زميلة الأخر في الوظيفة.

([1]) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٥٣.

وايضًا كانت هذه الوظيفة تقوم على مبدأ المسائلة (*responsibility*)، أي المسؤولية القانونية عن الأفعال الوظيفية.

والانتماء الطبقي للقناصل منذ ظهور وظيفة القنصلية كان انتماءً أرستقراطيًا، فقد سيطر الأرستقراطيون على هذا المنصب المهيب، بل كان حكرًا على بعض الأسر الأرستقراطية بعينها، ولذلك فإن هذا المنصب كان أحد الأسباب الرئيسه للصراع الطبقي المحتدم في هذا الوقت بين الأرستقراطيين والعامة، حيث كان العامة يناضلون بشراسة من أجل أن يكون لهم حظ في تولي وظيفة القنصلية، وفي سنة ٣٦٧ق.م صدر قانون يقضي بأن يكون أحد القناصل من العامة، ولذلك فإننا نجد أول قنصل ينتمي إلى طبقة العامة يتولي وظيفة القنصلية في سنة ٣٦٦ق.م، أي بعد مرور أكثر من قرن ونصف على نشأة وظيفة القنصلية.

وعلى ذلك يمكننا القول، بأن الرومان عندما استبدلوا النظام الجمهوري بدلًا من النظام الملكي، ولم يلغوا السلطة العليا أو الامبريوم التي كان يتمتع بها الملوك في العصر السابق، بل إنهم وضعوا لها ضوابط في العصر الجمهوري، للحيلولة دون الاستبداد في استخدامها، وذلك من خلال ثلاث وسائل هي: مبدأ الزمالة في ممارسة السلطة على قدم المساواة (Par Potestas) بين القنصلين، ومبدأ تولي منصب القنصلية لمدة عام واحد، ومبدأ حق الأعتراض(Intercessio)([1]).

الديكتاتورية:

بعد أن انتزعت السلطة التنفيذية العليا أو الامبريوم من يد الملك الذي ممسكًا بها في العصر الملكي، وضعت وفي يد اثنين من القناصل، لتمكينهم من انجاز المهام الموكلة إليهم بجدارة واقتدار، وقد اخذ الرومان احتياطاتهم الكافية، التي تحول دون إساءة استخدامها أو الاستبداد والطغيان، إلا أن بعض الظروف الخطيرة أو الإستثنائية التي كانت تمر بها روما، أجبرتها على التخلي عن نظام القنصلية، واستبدالها بوظيفة استثنائية هي وظيفة الديكتاتورية، أو استبدالها بوظيفة الترابنة العسكريين ذوي السلطة القنصلية، وذلك لفترة مؤقتة استمرت لمدة سبع وسبعون عامًا.

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ص ١٥١-١٥٢، ١٥٤.

وعلى الرغم من مزايا القنصلية أو الزمالة القنصلية، إلا انه في بعض الأوقات الخطيرة أو الطوارئ التي كانت تمر بها الجمهورية الرومانية، كانت تقتضي التخلي عن هذا النظام واللجوء إلى نظام أخر أكثر قوة وإحكاما على مقاليد الأمور، هذا النظام عرف بنظام الديكتاتورية، الذي كان يعد ابتكاراً قانونيًا رومانيًا، والديكتاتور هو حاكم مؤقت بسلطات استثنائية" *magistratus extraordinarius* ، التي استمدها من تمتعهم بسلطة الامبريوم العظمى (*imperium magnum*)، كانت له سلطات مطلقة تخول له القيام بمهامه، وهذه السلطة تختلف تمامًا عن السلطة العادية التي كانت لدى الموظفين العاديين (magistratus ordinarius).

وكلمة ديكتاتور (Dictator) كلمة لاتينية الاصل، تعني حرفيًا " يملي إرادته على الآخرين، مأخوذة من الفعل Dicto– are، بمعني يملي، المأخوذة اصلًا من الفعل Dic–ere، بمعني يقول او يأمر، ويختلف معني كلمة الديكتاتورية في عصر الرومان عن وقتها الحالي، ففي الوقت الحالي تعني الاستيلاء على السلطة الشرعية بطرق غير دستورية والاستبداد والبطش والتنكيل بالمعارضين والغاء الديمقراطية، اما في عصر الرومان كانت الديكتاتورية خاصة في الفترة المبكرة من العصر الجمهوري ديكتاتورية دستورية غير مستبدة وجدت من اجل الصالح العام([1]).

وكان يتم تعيين الديكتاتور من خلال قرار سيناتوري (*senatus consultum*) يسمح للقناصل بتعيين ديكتاتور، وكان يتم التصديق على تعيينه بواسطة الجمعية الشعبية (Comitia Curiata) ، وقد كانت وظيفة الديكتاتورية وظيفة دائمة في بعض المدن اللاتينية في إيطاليا، ولكن في روما كانت وظيفة مؤقتة تم اللجوء اليها فقط في اوقات الاخطار العسكرية التي تكون محدقة بروما، وفي وقت لاحق تم اللجوء إليها أيضاً في وقت الأزمات الداخلية. وعلى الرغم من ان مدة وظيفة الديكتاتورية كانت لمدة ستة أشهر فقط، إلا انه درجت العادة على ان الديكتاتور كان يتخلى عن وظيفته وسلطاته بمجرد انتهاء الأزمة. وكانت شارة الديكتاتور أربع وعشرين بلطة (*fasces*) وأربع وعشرين حارسًا (Lictores)، وذلك للاشارة إلى حق الديكتاتور في اصدار أحكام الاعدام ضد أي شخص داخل أسوار مدينة روما، أي ما يعادل شارات القنصلين معًا، وكانت أول المهام التي يضلع بها الديكتاتور بعد تولي منصبة، هي تعيين مساعد له وهو قائد الفرسان.

([1]) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق، ١٥٠–١٥١.

والفاسكيز (Fasces) هي مجموعة من العصى مربوطة حول بلطة (axis) في هيئة حزمة حطب، كان يحملها المرافقين أو "الليكتوريس" للملك في العصر الملكي، حيث كانوا يتقدمون موكبه، وهي إشارة إلى السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها الملك، ومع زوال الحكم الملكي وتأسيس نظام الحكم الجمهوري فإنها أصبحت من شارات كبار الموظفين ذوي السلطة القضائية مثل القناصل والديكتاتور، والعصا كانت ترمز لحق الحاكم في جلد العصاة والخارجين عن القانون، بينما كانت البلطة ترمز إلى حق الحاكم في إنزال عقوبة الاعدام بالمجرمين([1]).

ففي حالات الطواري العسكرية قضت الضرورة توحيد القيادة العسكرية في يد شخص واحد هو الديكتاتور بدلًا من توزيعها بين أثنين من القناصل. وفي هذه الحالة كان يتم تعيين ديكتاتور على الفور، وقد تم إنشاء هذه الوظيفة في سنة ٥٠١ق.م، ومنذ ذلك الوقت كانت هذه الوظيفة من وقت إلى أخر في الاستخدام بشكل دوري حتى الحروب البونيقية، وفي فترة شغله للوظيفة كان الديكتاتور يتولى القيادة العسكرية العليا للجيوش، ويدعى "قائد جيش الشعب" أو "قائد أو حاكم الشعب" Magister Populi، ولأنه قائد الجيش كان يقوم بتعيين قائد لسلاح الفرسان(Magister Equitum). وهذا المنصب كان دستوريًا بشكل كامل، وينبغي عدم الخلط بينه وبين الديكتاتوريات التي كانت سائدة في وقت متأخر من الجمهورية من وقت سوللا إلى قيصر، تلك الديكتاتوريات التي كانت بمثابة تقنيين للسلطة الإستبدادية التي حصلوا عليها من خلال القوة العسكرية.

وكان الرومان يتحرون الدقة في اختيار الديكتاتور، لإن سلطاته المطلقة من الممكن أن تتحول إلي مفسدة مطلقة ضد الشعب، فقد كانوا يختارون الشخص المناسب لهذه الوظيفة بدقة متناهية، وتم اختيارهم من الكفاءات والخبرات العازفين عن الأضواء والشهرة، المعروفين بالتجرد والانحياز للمصلحة العليا للوطن، الذين كانوا يرون في منصب الديكتاتورية تكليفًا لا تشريفًا. فضلًا عن ذلك فقد وضع الرومان ضوابط قانونية لمنع استبداد الديكتاتور، حيث تم تحديد مدة المنصب لمدة ستة شهور فقط لا يجوز بأي حال من الأحوال تجاوزها، وعدم إعفاءه من الملاحقة القضائية بعد تركة للمنصب، إذا ثبتت أنه ارتكب تجاوزات أثناء شغله لمنصب الديكتاتور([2]).

الترابنة العسكريين ذوي السلطة القنصلية:

([1]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ٧٢.

([2]) محمد السيد عبدالغني، المرجع السابق،١٥٢-١٥٤.

نظرًا لتعدد جبهات القتال التي كانت تقاتل عليها روما في وقت واحد خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وعدم كفاية اثنين من القناصل للقيام بالكثير من المهام في أماكن متختلفة، فان الرومان استغنوا عن النظام القنصلي وعينوا بدلاً منه هيئة أو مجموعة من الترابنة العسكريين ذوي السلطة القنصلية في الفترة من ٤٤٤ق.م الى ٣٦٧ق.م. (١).

وأصل الترابنة العسكريين يرجع إلى العصر الملكي، حيث كان في هذا العصر فرقة رومانية للدفاع عن المدينة، وبلغ عددها ثلاثة آلاف جندي من سلاح المشاة Pedites، وثلاثمائة فارس من سلاح الخيالة(أو المشاة الراكبون) Celeres(٢)(شكل رقم١)، تم تجنيدهم من المواطنين الأغنياء القادرين علي تزويد أنفسهم بالخيول والأسلحة على نفقاتهم الخاصة(٣)، من قبائل روما القديمة الثلاث(٤)،- وهى: قبيلة رامنيس Ramnes، وقبيلة تيتيس Tities، وقبيلة لوكريس luceres -(٥)، أسهمت كل قبيلة بعدد ألف جندي من المشاة يقودهم ضابط برتبة تربيون

---

(١) A. Boddington, The Original Nature of the Consular Tribunate , Historia 8, (1959), P. 356.

(٢) ورد ذكرهم في بعض المراجع باسم خيالة رومولوس، وبقى أسمهم مقترناً باسم الترابنة، بمعنى ضباط سلاح الخيالة Tribuni celerum حتى بداية العصر الإمبراطوري، ولكن بعد ذلك لم يصبح بمعنى قادة عسكريين، ولكن بمعنى كهنة ثانويين. أنظر :

A. Momigliano, “The Origins of Rome”, in: CAH, Vol. VII, Part 2, Chapter 3, Cambridge, 1989, PP. 104-105 .

(٣) M. T. Boatwright, &others, The Romans From Village To Empire, Oxford, 2004, P. 43.

(٤) تعرف هذه القبائل باسم القبائل الرومولوسية نسبة إلى مؤسسها(رومولوس)، استمرت هذه القبائل لوقت طويل لها تأثير على تنظيم الجيش الروماني، وكذلك وحداتها الصغيرة التي عرفت باسم الكور- كل قبيلة كانت تنقسم إلي ثلاثين كوره -، حتى بعد أن تم تكوين المئينات Centuriae بواسطة الملك سرفيوس توليوس. للمزيد عن ذلك أنظر:

A. Momigliano, “The Origins of Rome, P. 105 .

(٥) M. L. Glay, & Others., a History of Rome, Oxford .2001 .P.28. ; P. Southern, Op. Cit., P. 87 .

عسكري Tribunus militum، ومائة فارس من الخيالة Celeres يقودهم ضابط برتبة تربيون خيالة Tribunus celerum(١).

وعندما الغي النظام القبلي في تجنيد الجيش الروماني، واصبح التجنيد يعتمد على أساس فئات المواطنين الموزعين في فئات مختلفة في جمعية المئينات حسب الثروة، فإن التربيون العسكري لم يبقي قائدًا لقوات قبيلته، بل اصبح ضابطًا في الجيش الروماني(٢).

والخدمة في رتبة تربيون عسكري في الجيش الروماني كانت تكسب الشخص الذي يتولاها شرف كبير، ومن شواهد ودلائل المكانة الرفيعة لهذه الرتبة العسكرية أن القناصل السابقين بعد انتهاء فترة وظيفتهم القنصلية خدموا كترابنة عسكريين فى الجيش الروماني(٣)، بالإضافة إلى ذلك أن أفراد هذه الوظيفة العسكرية منذ وقت باكر جداً كانوا مميزين عن باقى الضباط الآخرين والجنود في الجيش الروماني؛ خاصة في الملابس التى كانوا يلبسونها وفى أجورهم وجرايتهم(٤).

وقد اختلف عدد هذه الهيئات وعدد أعضائها من فترة إلى أخرى، ففي الفترة من ٤٤٤ق.م الى ٤٢٧ق.م تم انتخاب ست هيئات من الترابنة العسكريين ذوي السلطة القنصلية، كل منها تكون من ثلاثة ترابنة فقط، وفي الفترة من ٣٢٦ق.م إلى ٤٠٦ق.م، تم انتخاب عشر هيئات من الترابنة، كانت ثلاث منها ثلاثية العدد، وسبع منها رباعية، اما في الفترة ما بين عامي ٤٠٥ق.م و ٣٧٦ق.م، فقد تم انتخاب ثلاث وثلاثون هيئة من الترابنة سداسية العدد، ولكن عدد أعضائها غير معلوم(٥).

---

(١) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص، ١٢٨.

(٢) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٧٠.

(٣) N. Sekunda, & A. Mcbride, Republican Roman Army 200 –104 B.C, London, 1996, P.13 .

(٤) Liv.VII, 34 .

(٥) ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٦٩-١٧٠.

وهؤلاء الترابنة العسكريين ذوى السلطة القنصلية تم انتخابهم بواسطة "جمعية المئينات" Comitia Centuriata (١)، وكانوا يتمتعون بسلطة الامبريوم التي كان يتمتع بها القناصل، وأستمر هذا المنصب يدير شئون الدولة العليا إلى أن تم إلغاؤه فى سنة ٣٦٧ ق.م بموجب قانون "ليكينيا سكستيا" lex Licinia Sextia ، وعودة النظام القنصلي مرة أخرى(٢) بانتخاب قنصلين سنوياً لتولى السلطة العليا مدنية وعسكرية اعتبارا من العام التالي ٣٦٦ (٣)، وعاد الترابنة العسكريين الى وضعهم السابق كضباط في الجيش الروماني(٤).

ملك الطقوس المقدسة:

أما عن مهام الملك الدينية التي كان يمارسها في العصر الملكي، فقد تم إسنادها منذ بداية العصر الجمهوري إلى موظف عرف بلقب "ملك الطقوس المقدسة" Rex Sacrorum ، الذي تولى مهام وظيفته الدينية مدى الحياة.

التطور الدستوري في روما حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد

كان لزامًا على الرومان أن يعكفوا على إدخال تطورات دستورية تتلائم مع نتائج السياسة التوسعية التى انتهجتها روما، وتمثلت هذه التطورات الدستورية في الاتي:

التقسيم القبلي للمواطنين:

في تقسيم المواطنين الرومان الى قبائل اقليمية وفقًا لمسكنهم وزيادة عدد هذه القبائل، بسب زيادة عدد المواطنين الرومان، ففي العصر الملكي كانت عددها ثلاث قبائل فقط، حتى وصل عددها سنة ٢٦٥ق.م الى خمس وثلاثون قبيلة، منها أربع قبائل حضرية وهي قبائل روما وواحد وثلاثون قبيلة ريفية(٥).

المواطنة الرومانية:

---

(١) G. Sumner, The Legion and the Centuriate Organization . JRS 60 (1970), P.71 .

(٢) H. I. Flower, Op. Cit., P. 18.

(٣) إبراهيم رزق أيوب، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٤) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٧٠.

(٥) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٥٨.

كانت المواطنة هي الوضع القانوني المميز الذي يتمتع به المواطن، وهي التي تميزه عن غيره من غير المواطنين، وتكفل له حقوق وتلزمه بواجبات تجاه الدولة، وتقوم السلطة الحاكمة في الدولة على تنظيم العلاقة بين الحقوق والواجبات الخاصة بالمواطنين[١]. والمواطنة أيضًا هي جوهر العقد الاجتماعي بين الفرد والدولة، الذي بموجبه يتمتع المواطن بحقوق وحريات قانونية، وسياسية، واقتصادية، وثقافية مقابل أن يؤدي التزامات عديدةً من بينها أداء الضرائب المقررة، والخضوع للقانون، واحترام حقوق وحريات الأفراد، والمواطنة هي التي تكفل المساواة بين جميع أفراد المجتمع أمام الدولة، فلا تمييز على أساس الجنس أو اللون أو العرق أو النوع أو المكانة الاجتماعية"[٢].

أما المواطنة (*Civitas*) في العصور القديمة، وبالتحديد في روما، يقصد بها واحدة من أهم الامتيازات التي ميزت بين المواطنين وغير المواطنين، والمواطنة جنبًا إلى جنب الحرية (*Status Libertatis*)، كانت شرطًا أساسياً لحصول الشخص على حقوقهِ سواءً العامة أو الخاصة[٣]، وعلى الصعيد السياسيّ كفلت المواطنة للمواطنين الرومان الحق في الاقتراع والخدمة العسكرية، أما على الصعيد الاجتماعيّ فإنها أعطت المواطنين الرومان الحق في الزواج من مواطنين رومان[٤].

واستنادًا إلى معيار المواطنة، فإن القانون الروماني، قسم الأشخاص الطبيعيين إلى قسمين أساسيين هما: المواطنون (*Cives*) وغير المواطنين، وغير المواطنين كانوا إما لاتينيين أو أجانب[٥].

واللاتينيون هم سكان إقليم لاتيوم في غرب وسط إيطاليا[٦]، وكانوا يعيشوُن في مدن تمتعت تمتعت بوحدة سياسية مستقلة ضمن الإمبراطورية الروماني، ولكل منها قانونها الخاص، فهم فريق

---

(١) S. S. Awasthy and N . D. Arora, *Political Theory and Political Thought*, (New Delhim 2007) , 251-252.

(٢) سامح فوزي، المواطنة وحقوق الإنسان، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، (القاهرة، ٢٠٠٧)، ٧ .

(٣) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Civitas. Romana, 389 .

(٤) P. Zoch, *Ancient Rome: An Introductory History*, (USA, 1998), 91.

(٥) السيد أحمد علي بدوي، المركز القانوني للأجانب، دراسة مقارنة بين القانون الروماني والشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة المنصورة، ٢٠٠٦، ٣٣.

(٦) K., Kathleen, *Ancient Rome: From Romulus and Remus to the Visigoth Invasion*. Britannica Guide to Ancient Civilizations, (New York, 2011), 207.

وسط بين المواطنين الرومان والأجانب من حيث التمتع بالحقوق السياسية والمدنية، وقد تلاشت فئة اللاتين تدريجياً خلال العصر الجمهوري بمنحهم المواطنة الروماني، وأصبحوا مواطنين رومان(١).

أما مصطلح الأجانب (*Peregrinus*) فكان يشمل الغرباء ومواطني أية مدينة أخرى غير مدينة روما، وهؤلاء الأجانب ازدراد عددهم كثيرًا بعد غزو روما للعديد من الدول، حيث أصبحت الأغلبية العظمى من سكان روما من الأجانب(٢). وقد نظر إليهم الرومان على أنهم أعداء (*Hostes*)، لذلك لم يعترفوا لهم بأية حقوق، واستحلوا قتلهم والاستيلاء على أموالهم واسترقاقهم(٣)، ويجب عليهم دفع ضريبة الرأس، والتي كان الإعفاء منها شيئًا استثنائياً(٤).

أما المواطن الروماني (*Civis Romanus*)، فهو الشخص الذي يتمتع بحقوق المواطنة الروماني بوصفه جزء أساسي من الشعب الروماني(*Populus Romanus*)، سواء بالمولد أو بأي طريقة أخرى–مثل الحصول على المواطنة عن طريق الاكتساب–، وعلى هذا النحو، فإن المواطن الروماني يتمتع بحقوق عامة وحقوق خاصة مرتبطة بالمواطنة الروماني، ماعدا مجموعة صغيرة من المواطنين–لم يولدوا كمواطنين–، حرموا من الحقوق العامة، سواء لأنهم من المعتقين أو من الأجانب وهؤلاء عُرفوا خلال العصر الجمهوري بمسمى مواطنين دون حق الاقتراع(*Cives Sine Suffragio*)(٥).

وقد كان الشرط الأساسي للحصول على المواطنة الروماني (*Civitas Romana*) بالوراثة، أن يكون الطفل من زواجٍ شرعيٍ بين مواطن ومواطنة من المواطنين الرومان– وأحيانًا كان المولود يأخذ الوضع القانوني لأبيه، حتى إذا كان والده فقط من المواطنين–، أما الطفل إذا كان المولود من زواج غير شرعي بين أب أجنبي وأم رومانية، فإنَّه لا يحصل على المواطنة، ويحصل على الوضع القانوني للأجانب(٦). وبالنسبة للشروط الأخرى المكملة للشرط الأساسي

---

(١) محمد عبد الرحيم محمد، مركز الأجانب في مصر دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ١٦٨–١٦٩.

(٢) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Peregrinus, 626.

(٣) محمد عبد الرحيم محمد، مركز الأجانب في مصر دراسة تاريخية مقارنة، ٢١٣.

(٤) C. Fischer–bovet, 'Ethnic Identity and Status: Comparing Ptolemaic and Early Roman Egypt', in Ziche, H. (ed), Identity and Identification in Antiquity, Cambridge Scholars Press(in Press), 15 .

(٥) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Civis Romanus.,389.

(٦) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Civitas. Romana., 389.

للحصول على المواطنة فهي: الذكورة والبلوغ، المولد الحر، واجتياز عملية الإحصاء، والأصل الجغرافي، والأسرة، والثروة، واستقامة الخلق[١].

ونظرًا لانعدام الشخصية القانونية للأجنبي وافتقاده إلى صفة المواطنة الروماني[٢]، لم يعترف الرومان بأي حقوق للأجانب، ورفضوا منح المواطنة الروماني لرعايا هذه الدول[٣]، لحماية حقوق وامتيازات المواطنة الروماني، وللسبب نفسه ظل الرومان لمئات السنين يرفضون منح حق المواطنة الروماني لسكان إيطاليا، واكتفوا بإعطائهم الحقوق اللاتينية فقط (*Ius Latinum*)، مما أدى إلى اندلاع الحروب الأهلية (٩٠-٨٨ق.م) والتي أدت في النهاية إلى إجبار روما على إعطاء حق المواطنة الروماني لسكان إيطاليا[٤].

وتمثلت أبرز معالم المواطنة الروماني (*Civitas Romana*) عند اكتمالها في عدد من الحقوق القانونية، منها: الحق في تأدية الخدمة العسكرية، والحق في الاشتغال بالتجارة، والحق في الإعفاء من دفع الضرائب المباشرة، والحق في استئناف حكم الإعدام (*Ius Provocationis*) الصادر ضد المواطن الروماني أمام جمعية المئينات (*Comitia Centuriata*)، حق الاقتراع في الجمعيات الروماني (*Ius Suffragiorum*)، وحق الترشح للوظائف العامة أو المدنية (*Ius Honorum*)، وحق إبرام العقود القانونية وحيازة الملكية كمواطن روماني (*Ius Commercii*)، وحق الزواج الكامل الأهلية (*Ius Coniubii*)[٥].

وقد تطورت فكرة المواطنة عند الرومان وتم تعميمها على نطاق واسع، حتى أصبحت تشمل عددًا كبيرًا من سكان الإمبراطورية الروماني، فبعد أن كان عدد المواطنين الرومان يقدر بما لا يتجاوز عشرين ألف مواطن روماني خلال القرن الخامس قبل الميلاد[٦]، فإن عددهم ازداد خلال خلال العصر الإمبراطوري المبكر ووصل إلى ستة ملايين مواطن روماني من العدد الإجمالي

---

(١) Aldrete, *Daily life in the Roman city: Rome, Pompeii and Ostia*, 43.

(٢) ويقصد بالشخصية القانونية للفرد أهليته لاكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات. انظر:
السيد أحمد علي بدوي، المركز القانوني للأجانب، ٣٢-٣٣.

(٣) Aldrete, *Daily life in the Roman City: Rome, Pompeii and Ostia*, 43.; A. N. Sherwin-White, *The Roman citizenship*, (Oxford, 1996), 63

(٤) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ١١٤.

(٥) P. A. Zoch, *Ancient Rome: An Introductory History*, (U.S.A. 1998), 91;
G. Mousourakis, *A legal history of Rome*, (New York, 2007), 5.

(٦) كارل كريست، الرومان مقدمة لتاريخهم وحضارتهم، ترجمة السيد جاد، (الإسكندرية، ٢٠٠٧)، ٣.

لسكان الإمبراطورية الذي كان يبلغ حوالي خمسين مليون نسمة[١]. وذلك بعد أن حصل عدد كبير من سكان ولايات الإمبراطورية على المواطنة الروماني عن طريق الخدمة العسكرية، ومع صدور الدستور "الأنتونينياني" في سنة ٢١٢م، فإن جميع السكان الأحرار في الإمبراطورية الروماني أصبحوا مواطنين رومان بعد أن حصلوا على المواطنة الروماني بمقتضى هذا الدستور[٢].

دستور سرفيوس:

يربط البعض إدخال تكتيك الهوبليت وتشكيل الفالانكس في الجيش الروماني بالتنظيم السرفيوسي(٣)؛ الذي يُعد تنظيم اجتماعي سياسي عسكري، يقوم علي أربعة عناصر رئيسية هي: القبائل Tribi، والإحصاء Census، والفئات Classis(٤)، والمئينات Centuriae(٥)، الهدف الهدف منه إنشاء جيش يتكون من المواطنين الرومان، وذلك من خلال تحديد عدد المواطنين المؤهلين لتأدية الخدمة العسكرية، بالإضافة إلى جمع الضرائب منهم(٦).

(١) Aldrete, *Daily life in the Roman city: Rome, Pompeii and Ostia*, 43;

وانظر أيضًا: كارل كريست، الرومان مقدمة لتاريخهم وحضارتهم، ٣.

(٢) C. Nicolet, *The World of the Citizen in Republican Rome*, Translated by P.S.Falla, (Univ of California Press, 1980),17.

(٣) الملك "سرفيوس توليوس" Servius Tullius هو سادس ملوك روما حكم في الفترة من ٥٧٨ – ٥٣٤، وقام بإنشاء دستور لروما عرف باسمة : للمزيد عن الدستور السرفيوسي. راجع:

Liv. I, 42– 43 ; Dion. Hal. Ant. Rom. IV, 13 – 23 .

(٤) ويقصد أيضاً بهذا المصطلح الأسطول الروماني. راجع:

A. Berger, Encyclopedic Dictionary of Roman Law, TAPhS, 43 (1953), p. 390 .

(٥) H. Last, The Servian Reforms, JRS 35 (1945), pp. 35 f .

(٦) H. Last, op. cit., p. 38 .

وخلال هذا الدستور قسم الإقليم الروماني إلى قبائل(١)، ووزع الشعب إلى فئاتClassis، ومنها إلي مئينات Centuries(٢)، وتم تحديد الواجبات الحقوق على أساس الثروة(٣).

الإحصاء:

عُرفت روما نظام الإحصاء Census منذ العصر الملكي، وهذا الإحصاء تم لأغراض تحصيل الضرائب والتعبئة العامة للخدمة العسكرية. وفيه تم تسجيل المواطنين فى قبائل ثم وزعوا إلى خمس فئات مختلفة من المشاة حسب مقدار ثروة كلاً منهم، وكل فئة قسمت إلى مئينات من شيوخ Seniores- ممن تجاوز عمرهم الخامسة والأربعين- وشباب Iuniores- ممن كان عمرهم بين سن السادسة عشر والخامسة والأربعين-. بينما مئينات الخيالة تكونت من الذين يملكون ثروة أكبر من إحصاء ثروة الفئة الأولى للمشاة. أما الذين كانوا يمتلكون ثروة صغيرة لا تؤهلهم للانضمام إلى الفئة الخامسة سجلوا فى مئين واحد وتم إحصائهم بالرأس Capite Censi وعرفوا باسم البروليتاريا Proletarii . وخلال بداية العصر الجمهوري قام القناصل بإجراء الإحصاء بأنفسهم، ولكن منذ سنة ٤٤٣ أستحدث منصب الكنسور Censor للقيام بهذه المهمة.(٤)

---

(١) تعد القبائل أقدم هذه العناصر، وقد قام الملك سرفيوس بإنشاء أربعة قبائل حضرية وستة عشر قبيلة ريفية، وبذلك أصبحت حقوق المواطنة الروماني تعتمد على الإقامة أو محل السكن في القبيلة وليس العضوية في العشيرة أو الكوره curia كما كان في السابق. وخدمت هذه القبائل كمناطق تسجيل المواطنين الرومان، وتقدير أملاكهم، وتجنيدهم في الجيش الروماني- الجيش الروماني Exercitus-، وجمع الضرائب. راجع:

J. Rich, op. cit., pp. 16 -17 .

(٢) Liv. I, 42, 5 .

(٣) Liv. I, 44 ; Dion. Hal. Ant. Rom. IV, 16- 21.

(٤) محمد السيد محمد عبد الغنى، المرجع السابق، ص ص ١٥١ -١٥٢. وأيضاً:

L. D. Ligt, Roman Manpower and Recruitment During the Middle Republic, In: A Companion To The Roman Army, Part 2 , Chapter Seven, Oxford, 2007, p. 125 ;L. Keppie, The Making of the Roman Army: From Republic to Empire",Third Edition, London, 2005, p. 59 ; A. Berger, op. cit., p. 380.

التي قدرت من خلال نظام لإحصاء Census، الذي شمل كل المواطنين الرومان الذكور البالغين(١).

وهذا الإحصاء كان أساسا لإنشاء جمعية جديدة عرفت باسم جمعية المئينات(الجمعية المئوية) Comitia Centuriata، التي يُدلى فيها المواطنين الرومان بأصواتهم في الشئون السياسية للدولة، سواء إعلان الحرب، أم قبول معاهدة سلام، أم انتخاب كبار الموظفين القضائيين– كالقناصل و االبرايتورس، والرقيب. كانت تجتمع في ساحة الإله مارس Campus Martius خارج الحدود الأصلية لمدينة روما Pomoerium(٢).

وتدل الشواهد الأثرية على وجود كاتب مكلف بتسجيل أسماء وملكية المواطنين الرومان (شكل رقم٣)، وهناك مثال أخر لذلك علي مذبح القائد "دوميتيوس أهينوباربوس" Domitius Ahenobarbus(٣)، حيث يقوم أحد المواطنين بتسجيل أسماء المواطنين الرومان فى ألواح

---

(١) N. Fields, The Roman Army of The Punic Wars 264–146 B.C, Battle Orders, Oxford, 2007, p. 5 .

(٢) P. Southern, op. cit., p. 88 .

كانت جمعية المئيناتComitia Centuriata تنعقد عقب أطلاق النفير(البوق)، وأثناء انعقادها رُفعت رايات بيضاء على منطقتي أركس Arx، وجانيكولوم Janiculum ، تلك الرايات كانت تنذر بقرب خطر الأعداء، وخلال هذا الاجتماع كانت الجمعية تمثل جيش Exercitus أو فئات Classis من المواطنين الرومان قاموا معاً بالتصويت والقتال في وحدات تعرف باسم المئينات، وكانت تأخذ فيها قرارات الحرب والسلام. للمزيد راجع:

محمد السيد محمد عبد الغنى: المرجع السابق، ص ١٨٧، ١٨٨.

وراجع أيضاً:

N. Fields, The Roman Army of The Punic Wars 264–146 B.C, pp. 5– 6.

(٣) "دوميتيوس أهينوباربوس" اسم عائلة رومانية من العامة تنتمي إلى عشيرة دوميتيا Domitia ، أعضاؤها حققوا الكثير من الانتصارات العسكرية فى عصري الجمهورية والإمبراطورية، وقد كان أول انتصار لأحد أعضاء هذه العائلة فى موقعة بحيرة ريجولوس Lacus Regillus فى سنة ٤٩٤ على اللاتين، وتروى الأساطير أن ذلك تم بمساعدة الإلهين التوأمين "كاستور" Castor و "بولكس" Pollux، وضمت هذه العائلة عدداً من السياسيين والقادة العسكريين بنفس اسم "دوميتيوس أهينوباربوس" على مر العصرين الجمهوري والامبراطورى، والذي قام ببناء المذبح– وهو يصور إحصاء عسكرى وتقديم قرابين للإله مارس– هو "جنايوس دوميتيوس أهينوباربوس" Gnaeus

خاصة بذلك، وهذا الكاتب نفسه قام أيضاً بعد ذلك بتسجيل أسماء المواطنين الرومان فى الفرق الروماني بعد تجنيدهم(١).

وفى سياق حديثه عن نظام الإحصاء Census ذكر "ليفيوس"(٢) أن الملك "سرفيوس توليوس" قسم المواطنين الرومان الذين إحصاء ثروتهم ١١,٠٠٠ آس فأكثر إلى خمس فئات من سلاح المشاة على النحو التالي(٣): الفئة الأولىPrima Classis تكونت من المواطنين الذين تزيد ثرواتهم عن ١٠٠,٠٠٠ آس، وضمت ٨٠ مئينا Centuriae، نصفهم من الشيوخ Seniorum لحراسة المدينة والدفاع عنها، والنصف الآخر من الشباب Iuniorum للقتال فى الجيش الروماني، وكانت أسلحتهم هي: الخوذة Galea، والدرع المستدير Clipeum (٤)، ودرع الساق Ocreae، والصديرية Lorica، وكلها صنعت من البرونز، أما أسلحتهم الهجومية فكانت

Domitius Ahenobarbus الذي كان قنصلاً فى سنة ١٢٢، ورقيباً فى سنة ١١٥ ، وقام بإنشاء طريق دوميتيا Via Domitia سنة ١١٨، وهو مؤسس مستوطنة مارتيوس Narbo Martius أول مستوطنة فى بلاد الغال. راجع:

M. Bunson, Encyclopedia of The Roman Empire, New York, 2002, p. 182 ; http://en.wikipedia.org/wiki/Gnaeus_Domitius_Ahenobarbus_%28consul_122_BC%29#cite_note-8.

وراجع أيضاً: إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ٩٠ .

(١) N. Fields, The Roman Army of The Punic Wars 264-146 B.C, p. 4

(٢) لا تختلف رواية "ليفيوس" عن رواية "ديونيسيوس" فيما يتعلق بدستور "سرفيوس إلا أن "ديونيسيوس" قسم المواطنين إلى ستة فئات Classes من المشاة. حيث إنه جعل من المواطنين الذين ثرواتهم لا تصل للحد الأدنى من إحصاء الفئة الخامسة كفئة سادسة. راجع:

Dion. Hal. Ant. Rom.IV, 18, 2.

(٣) D. J. Gargola, "Aulus Gellius and the Property Qualifications of the Proletarii and The Capite Censi", CPh 84 (1989), p. 231 .

(٤) هذا الدرع هو نفسه الدرع الإغريقي الدائري Hoplon، و مصطلح Clipeus هو المصطلح اللاتيني له. راجع:

P. Southern, op. cit., p. 88 .

هي: الحربة Hasta ، والسيف Gladius، وقد تم إضافة مئينين إلى هذه الفئة من الفنيين Fabrum، خدموا بدون أسلحة، وأوكلت إليهم مهمة تصميم أدوات الحصار(١).

والفئة الثانية Secunda Classis تكونت من المواطنين الذين تراوحت ثرواتهم بين ٧٥,٠٠٠ – ١٠٠,٠٠٠ آس، وضمت ٢٠ مئيناً، نصفهم من الشيوخ، والنصف الآخر من الشباب، تسلحوا بالدرع المستطيل Scutum بدلاً من الدرع الدائري Clipeo، وباقي أسلحة الفئة الأولي. والفئة الثالثة Tertiae Classis تكونت من المواطنين الذين ثرواتهم أكثر من ٥٠,٠٠٠ آس، وضمت ٢٠ مئيناً من الشيوخ والشباب مناصفة، ولا يوجد أي اختلاف فى أسلحتهم عن الفئة السابقة، اللهم إلا عدم استخدامهم لدرع الساق Ocreae. والفئة الرابعة Quarta Classis تكونت من المواطنين الذين ثرواتهم أكثر من ٢٥,٠٠٠ آس، وضمت ٢٠ مئيناً، مناصفة بين الشيوخ والشباب، ولم يحملوا شيئا إلا حربة Hasta ورمحاً Verutum(٢).

والفئة الخامسة Quinta Classis تكونت من المواطنين الذين ثرواتهم أكثر من ١١,٠٠٠ آس، وضمت ٣٠ مئينا من الشيوخ والشباب مناصفة، حملوا المقاليعLapidesque ، والأحجار Missiles، أضيف إليهم مئينان من نافخي البوق والعازفين Accensi Cornicines Tubicinesque (٣)، أما المواطنون الذين إحصاء ثروتهم أقل من إحصاء الفئة الخامسة كونوا مئيناً Centuria واحداً، وعرفوا باسم Capite Censi– أي المعدودين بالرأس–، وتم إعفائهم من تأدية الخدمة العسكرية Immunis Militia(٤).

---

(١) Liv. I, 43, 1 – 3 .

(٢) Liv. I, 43, 4 – 6 ; L. keppie, op. cit., pp. 5 – 6 .

(٣) Liv. I. 43. 7– 8 ; N. Fields, The Roman Army Of The Punic Wars 264–146 B.C, p.5 ; P. Southern, op. cit., p. 88 .

(٤) المواطنون الذين إحصاء Census ثرواتهم أقل من الحد الأدنى للفئة الخامسة – ١١,٠٠٠ آس Asses عرفوا باسم Capite Censi وذلك إشارة إلى إن عملية إحصائهم تمت بالرأس وليس علي أساس الثروة كالفئات الخمس السابقة، وكانوا معفين من أداء الخدمة العسكرية في الجيش الروماني وبالرغم من ذلك فإنهم كان يتم استدعائهم في أوقات الطوارئ للخدمة، وفى الغالب كان يتم تنظيمهم في مجموعات منفصلة عن بعضها البعض بعيداً عن الفرق الروماني. راجع:

P. Southern, op. cit., p. 88 .

أما بالنسبة لسلاح الخيالة فإن الملك "سرفيوس" قام بتسجيل اثني عشر مئينا من الرجال البارزين في الدولة، بالإضافة إلى ذلك كون ستة مئينات أخرى، ومن أجل شراء الخيول خصص عشرة آلاف آس asses من خزانة الدولة، ولرعاية هذه الخيول فأن النساء الغير متزوجات، دفعن ألفين آس as سنوياً. وبذلك فإن كل هذه الأعباء تم نقلها من علي كاهل الفقراء إلي الأغنياء(١).

والجيش الروماني في عصر الملك "سرفيوس" تكونت من مئينات شباب الفئة الأولي فقط، أي تكونت من أربعين مئينا من المشاة الهوبليت المسلحين بالدرع الكاملة –أربعة آلاف جندي – قاتلوا في تشكيل الفالانكس، أما الفئات الأخرى من الثانية إلى الخامسة لم تشارك في هذه الجيش(٢). والحقوق والواجبات العسكرية في جمعية الميئنات–الجيش المدني– اختلفت وفقاً للفئة التي ينتمي إليها المواطن أو بمعنى آخر للثروة التي يمتلكها(٣).

المبحث التاسع: توسع روما في حوض البحر المتوسط

إن الحروب بين روما وقرطاجة، أو ما تعرف بالحروب البونيقية، تُعد الحروب الأكثر خطورة على روما من بين الحروب التي خاضتها ضد أعدائها في أي وقتٍ سابق، بل هي الأخطر من بين الحروب التي خاضتها روما طيلة تاريخها، وقبل الخوض في الحديث عن هذه الحروب، يجدر بنا الإشارة إلى أن القوات العسكرية الرومانية المكونة من مختلف أنحاء إيطاليا التي حاربت قرطاجة، كانت بالنسبة لها هي الفرصة الأولى للقتال خارج إيطاليا، ومع نهاية هذه الحروب كانت الجيوش الرومانية قد قاتلت في ميادين متعددة شملت صقلية وافريقيا وفرنسا واسبانيا وبلاد اليونان، وسيطرت على أصقاع متعددة من عالم البحر المتوسط سواء في صقلية أو سردينيا أو اسبانيا أو افريقيا.

الحرب البونيقية الأولى ٢٦٤–٢٤٢ق.م

(١) Liv. I, 43, 9–10 ; N. Sekunda, &others, op. cit., p. 17 .

(٢) N. Sekunda. &Others, op. cit., p. 15 .

(٣) M. L.Glay &Others, A History of Rome, Oxford, 2001, pp. 28–29.

كان الميدان الرئيس للحرب البونيقية الأولى في صقلية، وذلك بغض النظر عن غارة أو غارتين قامت بهم القوات القرطاجية لفترة وجيزة على الساحل الإيطالي، أو الغزو الروماني الكارثي لإفريقيا سنة ٢٥٦/٢٥٥ق.م.

وتأتي هذه الحرب بعد عقود طويلة من العلاقات الودية التي كانت سارية بين روما وقرطاجة، ففي عام ٢٧٩/٨ق.م، تم اخر حلقة من سلسلة المعاهدات بين البلدين، التي تعود بداياتها الى السنة الاولى من الجمهورية الروماني، حيث كانت اولى حلقات هذه المعاهدات قد تمت في سنة ٥٠٩ق.م، وبمقتضاها الزمت قرطاجة بتقديم المساعدات البحرية–الأسطول– لروما إذا لزم الأمر الى ذلك ضد الملك بيرهوس (Pyrrhus) ملك ابيروس.

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل مشروع في طرحه وله وجاهته وأهميته، ما هو الدافع الحقيقي أو غير المياشر الذي دفع روما إلي هذه المغامرة الخطيرة في حرب خارج حدودها، فضلًا عن ان روما في هذا الوقت كانت لا تمتلك أدوات هذه الحرب–الأسطول؟

بعد الرجوع إلى "بوليبيوس"، المؤرخ اليوناني الأصل الذي كان معاصرًا لهذه الحرب، وأحد الرجال المقربين في هذا الوقت من كبار القادة العسكريين الرومان، نجد ضالتنا المنشودة في الإجابة على هذا التساؤل، يرى "بوليبيوس" انه على الرغم من العلاقات الودية التي سادها الوئام والانسجام بين روما وقرطاجة، إلا ان روما كان عندها تخوف من قرطاجة، التي قد يدفعها طموحها الى السيطرة على صقلية من أجل ضمها إلي ممتلكاتها الخاصة، خاصة أن قرطاجة في هذا الوقت كانت لديها إمكانية وقدرة تكفل لها السيطرة على صقلية، وإذا حدث ذلك، فإنه سيكون بمثابة تهديد خطير لأمن وسلامة إيطاليا من قبل القرطاجيين، الذين سيجعلون من صقلية جسرًا للعبور منه إلى إيطاليا، ومن ثم الاستيلاء على إيطاليا بعد ذلك.

ويضيف "بوليبيوس" إلى هذا الهاجس الذي أرق مضاجع السياسيين الرومان هدفًا أخر، تمثل في الجشع الشعبي من أجل الحصول على الغنائم من هذه الحرب، هذا الدافع الذي يرى فيه بوليبيوس أحد الدوافع التي لعبت دورًا محوريًا في إندلاع هذه الحرب.

وإذا كان المؤرخون المحدثون يتفقون تمامًا مع "بوليبيوس" في أن الجشع كان دافعًا للحرب بين روما وقرطاجة، إلا أنهم يروا ان الجشع كان دافعًا أساسيًا لهذه الحرب، ويعللون وجهة نظرهم بأن الفكر الروماني في هذا الوقت كان مسيطر عليه الجشع، خاصةً القادة العسكريون الذين كانوا يتحينون الفرصه لخوض غمار الحرب، طمعًا في تحقيق المجد العسكري الذي سيعود عليهم من

وراء اشتعال هذه الحرب، وبالتالي فتح ابواب المستقبل السياسي و الوظائف العامة الشرفية لهم على مصراعيها.

ويؤكد لازينبي (Lazenby)، أن قرطاجة لم تشكل أي تهديد لروما في هذا الوقت من الناحية الاستراتيجية، وأن الطمع كان جزءًا من الدوافع التي دفعت روما إلى الحرب، إلا أن ذلك لا ينكر ان روما كانت في شك وتخوف منذ سنوات عديدة من قرطاجة، منذ ان ظهر الاسطول القرطاجي في تارنتوم في سنة ٢٧٢ق.م، فانهم كانوا يعرفون أن القرطاجيين قد سيطروا على قلعة "ميسينا"، ولكنهم لم يتدخلوا لفترة وجيزة، حيث كانوا يرون ان سيراكوز هي العدو الاضعف بالنسبة لهم، لكنهم كانوا يعتقدون ان هناك مخاطرة كبيرة في الحرب ضد قرطاجة.

وفي حقيقة الأمر، فان الجانبين قد اخطاؤا على الارجح في تقدير رد فعل بعضهم البعض، فمن ناحية كان القرطاجيون وحليفهم هيرون، يعتقدون أن روما لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تتدخل بشكل جدي في صقلية وان تكون في مواجهة القوة البحرية القرطاجية، ومن ناحية أخرى، فإن الرومان بغطرستهم المعتادة كانوا يعتقدون، أن القرطاجيون وهيرون سيتراجعون الى الوراء على الفور عندما يدركون قوة وخطورة روما عليهم. ومما لا شك فيه ان هذا الاعتقاد الروماني فيه جانب من الصحة، إذ أن سيراكوزا سرعان ماتراجعت عن الحرب ضد روما بعد ان ادركت مدى القوة العسكرية الهائلة لروما. وقد تصاعدت وتيرة الحرب بشكل غير متوقع بين الجانبين بشكل يفوق كل التوقعات ، خاصة مع قرار قرطاجة بارسال قوات عسكرية الى صقلية في سنة ٢٦٢ق.م. وكان رد الفعل الروماني على ذلك، انهم اتخذوا قرارًا في نهاية ٢٦١ق.م ببناء اسطول، لكي تكون لديهم قوة بحرية تكافيء القوة البحرية القرطاجية، وبدأت الحرب بينهما على مدينة واحدة في جزيرة صقلية، الا انه سرعان ما شملت هذه الحرب الجزيرة باكملها، التي اتخذ منها الطرفين ميدانًا رئيسيًا للحرب بينهم.

وبذلك، فإن روما تورطت في حرب ضروس مع دولتين بحريتين في آن واحد هما قرطاجة وسيراكوز، وتكمن خطورة هذه الحرب في انها اول حرب تخوض روما غمارها خارج حدودها، وأن روما لم تكن في هذا الوقت تمتلك اسطول بحري يمكنها من القتال فيما وراء حدودها.

وكان السبب المباشر لإندلاع الحرب البونيقية الأولى بين روما وقرطاجة يرجع إلى مجموعة من المرتزقة الكمبانيين، الذين كانوا يدعون أنفسهم برجال "ماميرس"، نسبة إلى "مارس" إله الحرب عند الرومان، كان هؤلاء المرتزقة قد أستولوا في وقت سابق على "ميسينا" (Messina)، التي تقع على الطرف الشمالي الشرقي لجزيرة صقلية، وعندما تم تهديدهم من هيرون ملك سيراكوز

بضرورة الانسحاب من المدينة، فان بعضهم طلب المساعدة من قرطاجة، وبعضهم طلب المساعدة من روما. وفي هذا الوقت فإن أقرب قيادة عسكرية قرطاجية كانت في جزر البليار، منها أرسلت قوات عسكرية أحتلت قلعة المدينة، أما بالنسبة للرومان أخذوا وقت في دراسة ومناقشة طلب المساعدة الذي تقدم به المرتزقة، وفي النهاية وافق الرومان على تقديم المساعدة، وتم تعيين أحد القناصل للقيام بهذه المهمة، وهو القنصل "أبيوس كلاوديوس كاوديكس" (Appius Claudius Caudex)، الذي عبر في سنة ٢٦٤ق.م إلى "ميسينا"، واستطاع المامرتيني طرد الحامية القرطاجية من المدينة، ولذلك فإن القرطاجيين ضربوا الحصار حول المدينة، وحصلوا على مساعدة الملك "هيرون" في حصارها، لكن كلاديوس استطاع أن يسيطر على قلعة المدينة، وعلى الرغم من رغبة "كلاوديوس" في المفاوضات، إلا ان القرطاجيين وهيرون رفضوا المفاوضات، وبالتالي أدي ذلك إلى نشوب حالة من الحرب.

أنتهت الحرب البونيقية الأولى بهزيمة الأسطول القرطاجي، الذي فشل في توصيل الإمدادات والمؤن للجيش القرطاجي المحاصر في صقلية. وعلى أثر ذلك اضطرت قرطاجة إلى عقد معاهدة سلام مع الرومان، وبمقتضي شروط هذه المعاهدة أجبر القرطاجيين على دفع تعويض ضخم للرومان، فضلًا عن سحب قواتهم العسكرية من صقلية ومن الجزر الواقعة بين صقلية وأفريقيا. وبعد ذلك بثلاث سنوات انتهزت روما تورط قرطاجة في حرب ضروس ضد جنودها المرتزقة، وقامت بالأستيلاء على سردينيا لتعويض خسائرها في الحرب البونيقية الأولى.

الحرب البونيقية الثانية(٢١٨-٢٠١ق.م)

لا تختلف أسباب الحرب البونيقية الثانية عن الأسباب التي أدت إلى الحرب البونيقية الأولى، وهذا التشابه في أسباب الحربين ليس من قبيل الصدفة، فقد كان القرطاجيون بعد نهاية الحرب البونيقية الأولى يتوسعون بشكل مستمر في أسبانيا، وكان الرومان على علم بذلك الأمر، وهناك بعض الأدلة والشواهد، التي تؤكد على علم الرومان بذلك، ففي سنة ٢٣١ق.م أرسل الرومان سفارة إلى أسبانيا للوقوف على مجريات الأمور في أسبانيا وما يقوم به القرطاجيون هناك، خاصةً لمعرفة تحركات القائد العام للقوات القرطاجية في أسبانيا "هاميلكار" (Hamilcar)، وفي سنة ٢٢٥ق.م أرسلت روما مبعوثين أخرين إلى صهرة-زوج ابنته- وخليفته "هاسدروبال" (Hasdrubal)، وذلك للإتفاق معه على عدم عبور نهر "الابرو" (Ebro) لأهداف عسكرية.

وفي هذا الوقت كان "هانيبال" في العقد الثالث من عمره، يجري في عروقه عنفوان الشباب، بالإضافة إلى الصرامة التي كان تميز بها في حياته، مما اكسبه ثقة رجالة فيه إلى أقصى درجة ، ودهائه العسكري جعله يدرك أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم على خصمه، وأن يباغته بالضربة القاصمة قبل أن يباغته الرومان، ولذلك فإن "هانيبال" قام باكتساح شمال أسبانيا واستولى على مدينة "ساجنتوم" حليفة روما، وقد طلبت هذه المدينة المساعدة من روما أكثر من مرة إلا أن روما تأخرت في تلبية طلب حليفتها، وكان سقوط "ساجنتوم" بمثابة ضربة مهينة لسمعة وكرامة روما العسكرية ونفوذها في أسبانيا([1]).

وبذلك يرجع السبب المباشر لإندلاع الحرب البونيقية الثانية إلى مدينة ساجنتوم التي تقع عند أسفل ساحل أسبانيا، فعند نهاية سنة ٢٢٠ق.م، أرسلت روما سفارة إلى هانيبال لتحذره من مهاجمة مدرينة ساجنتوم، إلا أن "هانيبال" قام بمهاجمتها في بداية سنة ٢١٩ق.م، وعلى اثر ذلك طلب الرومان من مجلس شيوخ قرطاجة ان يتنكروا من أعمال "هانيبال" وتسليمه للرومان، إلا أن مجلس شيوخ قرطاجة رفض مطالب الرومان.

وكعادتها الدبلوماسية الروماني في الميل إلى الدراما، فان "ليفيوس" يشير إلى أن رئيس الوفد الروماني "كوينتوس فابيوس" قام بفتح عبائته toga، للقرطاجيين وقال لهم: " إنني أحمل لكم في هذا الشق السلام وفي ذلك الشق الحرب فاختاروا ما تطلبون"، فرد عليه القرطاجيون في صلفٍ وكبرياء بان يعطيهم ما يشاء لإنهم لا يعبأون، مما أدي إلي غضب فابيوس وقال لهم "حسناً، فإني أعطيكم شق الحرب" ورد عليه القرطاجيون عندئذ بانهم يقبلوا ذلك العرض ويتحملون تبعات هذا الاختيار([2]).

ويعتبر "بوليبيوس" أن ما حدث في "ساجنتوم" هو بداية للحرب البونيقية الثانية وليس سببًا من أسباب نشوبها، حيث يرى بوليبيوس ان اسباب الحرب البونيقية الثانية تكمن في ثلاثة أسباب، أولها غضب هاميلكار والد هانيبال وشعوره بالحسرة لان جيشه استطاع لسنوات عديدة ان يبقى في صقلية دون هزيمة حتى المراحل الاخيرة من الحرب البونيقية الاولى، وأن معاهدة السلام التي عقدتها قرطاجة مع روما كانت بسبب هزيمة الأسطول القرطاجي من الأسطول الروماني.

---

(١) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ١٤٠-١٤١.

(٢) سيد أحمد علي الناصري، المرجع نفسه، ١٤٢.

وثانيها: أن روما استولت بدون وجه حق وبشكل غير مبرر على سردينيا، مما أضاف غضبًا إلى غضب "هاميلكار" وغضب المواطنين القرطاجيين من ذلك الأمر الذي كان بمثابة السبب الأكبر لقيام الحرب البونيقية الثانية. وثالثها: كانت النجاحات القرطاجية في أسبانيا قد أعطت للقرطاجيين الثقة في أنفسهم في القدرة على الشروع في حرب اخرى ضد روما. ولكي يؤكد "بوليبيوس" وجهة نظره بان غضب "هاميلكار" كان أحد أسباب هذه الحرب، فانه روى القصة الشهيرة عن رحلة "هاميلكار" إلى أسبانيا، ورغبة "هانيبال" عندما كان طفلًا صغيرًا في هذا الوقت في الذهاب مع والده إلى اسبانيا، إلا ان "هاميلكار" قد جعل ذهاب هانيبال معه مرهونًا بشرط أن يقسم هانيبال بكراهيته للرومان، وقبل ذلك هانيبال وكان مسرورًا، وكان هذا القسم مهيباً، "فعند المذبح أمر هاميلكار ابنه هانيبال بان يضع يده على الأضحية وأن يقسم بانه لن يكون ابدًا صديقًا للرومان.

ويدعي "بوليبيوس" ان هذه القصة جاءت بشكل أساسي من هانيبال نفسه، وذلك الامر لا يجب ان يدفعنا بشكل جدي الي أن نتصور ان هذه الحرب كانت حرب انتقامية، ولكن حتى اذا صحت هذه القصة، فانها لا تثبت نظرية الانتقام عند هانيبال، فليس من الضروري أن طفل يستطيع ان ينقل وعودًا صبيانية الى حياة الراشد، كما أن رد فعل هانيبال على هزيمته فيما بعد،عندما اصر على ضرورة ان قرطاجة تعقد سلام مع روما، فان هذا لا يشير باي شكل من الاشكال بان هانيبال كان متعصبًا تسيطر على جوارحه نزعة انتقامية ضد روما. وأيضًا افعاله في السنة السابقة لهجومه على ساجنتوم لا توحي بان هذه الافعال كانت جزءًا من خطة لمهاجمة روما. في سنة ٢٢٠ق.م قاد هانيبال حملة الى الشمال الغربي في أودية دورور وتاجوس، وعلى الرغم ان هذه الحملة كان الهدف منها تطهير أرض اسبانيا قبل غزو ايطاليا، إلا إنها كانت في الحقيقة استمرارًا لبناء الامبراطورية التي بدأ بنائها على يد والده وصهره في أسبانيا. ومع ذلك، فلا يمكننا ان ننكر انه كانت هناك كراهية شديدة من أسرة هانيبال بشكل خاص والشعب القرطاجي بشكل عام ضد روما.

واختلفت هذه الحرب تمامًا عن الحرب البونيقية الأولى، حيث ان قرطاجة استغلت سنوات السلم مع روما في بناء امبراطوريتها في اسبانيا، ومن هذه القاعدة أنطلق القائد القرطاجي هانيبال بغزوته المفاجأة لايطاليا عبر جبال الالب، وخلال اقل من سنتان استطاع هانيبال أن يدمر وينتصر على العديد من الجيوش الروماني واحد تلو الاخر ، سواء في تربيا (Trebia)، او عند بحيرة تراسميني (Trasimene)، او في كاناي (Cannae)، التي كانت بشكل خاص كارثة كبيرة

للرومان، حيث الخسائر الفادحة التي تكبدتها روما في هذه المعركة، والتي كانت اكبر من أي خسارة عانى منها الرومان في أي وقت مضى. وكان من نتائج هذه الهزيمة ان كثير من مناطق جنوب ايطاليا قد انشقت على روما وانحازت الى صف قرطاجة، ومن بينهم اثنان من اكبر المدن بعد روما نفسها، مدينة كابوا (Capua)، ومدينة تارنتوم (Tarentum)، فضًا عن انشقاق اعظم مدينة في صقلية مدينة سيراكوز (Syracuse).

ومن الواضح إن ما قام به هانيبال من اعمال غزو في ايطاليا كان الهدف من وراءه تحرير اللاتين والايطاليين من هيمنة روما عليهم، وكسب ودهم، وجعلهم حلفاء له، يقفون بجانبة ضد روما. وعلى حد قول ليفيوس لم يكن هانيبال ينوي تدمير روما نفسها، حيث ان شروط المعاهدة التي عقدها هانيبال مع "فيليب الخامس" ملك مقدونيا، سمحت باستمرار وجود روما. والمرة الوحيدة التي اقترب فيها هانيبال من روما من أي وقت مضى كانت في سنة ٢١١ق.م ، حيث اجتذب الجيوش الروماني بعيدًا عن كابوا.

وفي الحقيقة لم يضع هانيبال في حسبانه الفترة التي سيقضيها في إيطاليا، ولكن بعد ان طالت هذه الفترة، كان يأمل أن تقوم روما بعرض المفاوضات عليه، وتشير المصادر إلى ان هانيبال كان يشعر بخيبة امل كبيرة من عناد الرومان وعدم عرضهم للمفاوضات عليه، ويبدو ان الجانب الروماني كان يرى ان حرب الاستنزاف التي تقودها روما ضد هانيبال ليست في صالحه، وبالتالي من الافضل الاستمرار في هذه الحرب ضد هانيبال، وكانت استراتيجية هانيبال في الحرب البونيقية الثانية تقوم على استخدام موارد روما ضد الرومان، وهذه الاستراتيجية كانت نابعة من مشورة اسداها اليه "أنطيوخس الثالث"، وعلى اساس هذه الاستراتيجية كان هانيبال يتوقع ان تنهار روما على المدى القريب، وان الانتصار على روما سيكون بشكل تدريجي، وأن حلفائها سيكون امامهم خيار من اثنين، اما انهم سينضموا الى الجانب المنتصر، او انهم سيقفون على الحياد على اقل تقدير. واذا كان الحلفاء بعد معركة كاناي مباشرة لم يرفضوا الوقوف الى جانب روما، فانه في وقت متاخر في سنة ٢٠٩ق.م رفضت اثنى عشر دولة لاتينة من ثلاثين من الدول اللاتينية ان تزود روما بوحدات عسكرية للانضمام الى الجيش الروماني، وفي هذا الشأن يقول ليفيوس على وجه التحديد ان اللاتين كانوا يعتقدون" ان الرومان اذا راءوا ان جميع حلفائهم قد انصرفوا عن مساعدتهم، فانهم في الحال سوف يفكرون في إبرام السلام مع القرطاجيين. وفي النهاية ، فإن استراتيجية هانيبال في الحرب البونيقية الثانية باءت بالفشل الذريع، خاصةً أنه كان متفائلًا وعاقدًا امالًا عريضة على موقف الحلفاء من روما في هذه الحرب.

ولذلك فانه عمل على إرسال المبعوثين والسفراء إلى روما بعد معركة كاناي، وعلى الرغم من الاثار السلبية لهزيمة كاناي بالنسبة للرومان، الا انه كان لها اثار ايجابية تمثلت في أن الرومان تعلموا منها ان يكونوا اكثر حذرا وحيطة في مواجهة الاعداء، فعلى الرغم من أن هانيبال بقي في ايطاليا حتى شتاء ٢٠٣/٢ق.م، الا انه كان بشكل تدريجي محاصر عند اخمص قدم ايطاليا، ولم يستطع التقدم منها الى الوسط و الشمال. وعلي ذلك كان الامل الاخير لهانيبال في في اغاثته فيما هو فيه، يكمن في انتصار اخية هاسدروبال (Hasdrubal)، إلا أن هذا الامل سرعان ما تبخر بعد الهزيمة الساحقة التي مني بها شقيقة هاسدروبال في ميتاوروس (Metaurus)، في سنة ٢٠٧ق.م، وفي نفس الوقت استطاع الرومان أن يستعيدوا سيراطوزا في ٢١٢ق.م من قبضة القرطاجيين، اما عن الجبهة الأسبانية، فإن الجيوش الروماني في اسبانيا كانت تحت قيادة القائد الجديد "سكيبيو الافريقي"، الذي عمل على الرجوع إلى إيطاليا، وفي سنة ٢٠٦ق.م استطاع سكيبيو طرد القرطاجيين من إيطاليا، ثم غزو افريقيا في سنة ٢٠٤ق.م، ثم الانتصار على هانيبال في زاما سنة ٢٠٢ق.م في معركة زاما (zama).

الحرب البونيقية الثالثة ١٥١-١٤٦.م

قامت هذه الحرب بسبب رغبة القرطاجيين في الانتقام من الرومان بعد هزيمتهم في زاما الكبرى، حيث عمل القرطاجيون على إعادة اعمار بلدهم مرة أخرى، وكان كاتو الأكبر سنة ١٤٩ق.م قد تولى منصب الرقيب العام وأخذ يحرض الرومان ضد قرطاجة، وطالبهم باعلان الحرب عليها، وكانت عبارته الشهيرة في كل خطبة، قرطاجة يجب أن تدمر، وعندما دخلت قرطاجة في نزاع مع نوميديا في سنة ١٥٠ق.م وهاجمت نوميديا، سارعت روما باعلان الحرب على قرطاجة سنة ١٤٩ق.م، واستطاع النوميديين والرومان هزيمة قرطاجة، التي استولى عليها الرومان واشعلوا فيها الحرائق والدمار وتم نسويتها بالأرض سنة ١٤٦ق.م([1]).

الآثار الاقتصادية للحروب البونيقية على روما

([1]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٠.

على الرغم من انتصار روما على غريمتها قرطاجة خلال الحروب البونيقية، إلا إن روما تكبدت خسائر اقتصادية باهظة من جراء هذه الحرب، فالإقتصاد الروماني عانى أشد المعاناة من ويلات الحرب، فقد دمر "هانيبال" الحقول والقرى، وقتل قطعان الماشية والاغنام. وبذلك تم تدمير الريف الإيطالي ولم يعد كما كان في وقت سابق غنيًا بالموارد الاقتصادية، مما أدى إلى هجره وترك الفلاحون مزارعهم للعمل في الجيش الروماني، مما أدى إلى تدهور الزراعة. واذا كانت طبقة المزراعين قد عانت من هذه الحرب، فإن طبقة الفرسان استفادت منها، لإنهم جنوا ثروات طائلة من المشروعات التي قاموا بها للدولة خلال فترة الحرب([1]).

وفي هذا الوقت راجت تجارة العبيد، الذين كان معظمهم من أسرى الحروب البونيقية، الذي كانوا يباعون في أسواق نخاسة روما، باقل الأسعار، وقد ادى العدد الكبير للعبيد إلى رخص اسعارهم. وانتهز بعض الاغنياء الجدد هذه الظروف في الاستيلاء على الأراضي المهجورة وبشكل خاص أراضي الدولة ager publicus، وكونوا منها إقطاعيات كبيرة latifundia([2]).

كما إن الفترة الطويلة التي قضاها الجنود الرومان في هذه الحرب، أدت إلى تعودهم على أسلوب حياة الجندية، والمغامرات وجني الأسلاب والغنائم والتنقل من مكان إلى أخر، ولذلك فانهم لم يتاقلموا مع أسلوب الحياة في الريف التى كانت تعتمد على مزاولة الزراعة، ولذلك هجروا الريف وانتقلوا الى العاصمة للعيش فيها، ولكنهم كانوا وبالاً عليها، فكانوا يتسكعون فيها، وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ من غوغاء المدينة بلا عمل، ويطالبون الدولة بالخبز المجاني لهم. وطابع الجندية كان متأصلاً فيهم، فقد كانوا أميل إلى العنف والقسوة والطباع الجافة التي اعتادوا عليها في ميادين المعارك، مما جعلهم أكثر ميلاً إلى العنف والثورة على أي وضع ظالم في الدولة([3]).

أسباب انتصار روما على قرطاجة:

والآن لنا أن نتساءل عن سبب انتصار الرومان من ناحية وخسارة القرطاجيين من ناحية أخرى في الحروب البونيقية، تكمن الإجابة على هذا التساؤل في عدد من الأسباب، وهي:

أولًا:القوى العاملة:

(١) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ١٦٤– ١٦٥.

(٢) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ١٦٥– ١٦٦.

(٣)سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ١٦٥.

إن الرومان كانت لديهم قدرة هائلة على تجنيد القوات العسكرية أكثر بكثير من قرطاجة، وهذا السبب كان سببًا رئيسيًا في ترجيح كفة روما في الحروب البونيقية، فتعدد السكان في روما وقرطاجة مختلف جدًا، حيث كان عدد سكان روما اكثر بكثير من عدد سكان قرطاجة–على الاقل في وقت هانيبال–، كما ان نظام الخدمة العسكرية في روما كان نظامًا اجباريا، فقد كان كل المواطنين الرومان الذكور من سن السابعة عشرة الى السادسة والاربعون ملزمون بتادية واجب الخدمة العسكرية. ومن ناحية اخرى كانت الخدمة العسكرية، سمة اساسية من علاقة روما بحلفائها، الذين كانوا ملزمين بتزويد روما بعدد من الوحدات العسكرية للانضمام الى الجيش الروماني، بينما كان المواطنون القرطاجيون غير ملزمون بالخدمة العسكرية خارج حدودهم، الا ربما الخدمة في البحر فقط وليس البر. حيث اعتمدت قرطاجة بدلًا من ذلك على الجنود المرتزقة، فضلًا عن استاجرها للكثير من المتطوعين من الخاضعين لها. وقد يعني ذلك للوهلة الأولى أن جنود قرطاجة كانوا أكثر مهنية واحترافية من الجنود الرومان، ولكن طريقة تجنيد هذه القوات المرتزقة، جعلت من الصعب تعبئتهم وحشدهم للحرب، وذلك لاسباب مالية وغيرها من الأسباب، والمقارنة بين الجانبين في هذا الشأن، تصب في صالح روما التي كانت متفوقة على قرطاجة([1]).

وقد ظهرت قدرة روما على التجنيد بوضوح خلال الحرب البونيقية الأولي، فعلى الرغم من ان روما انتصرت في كل المعارك في البحر، إلا أنها أبتليت بسلسلة من الكوارث الطبيعية الخطيرة في إحدى هذه المعارك، فقد هبت عاصفة قوية قبالة كامارينا (Camarina) في سنة ٢٥٥ق.م على الأسطول الروماني، والحقت به خسائر فادحة، حيث تقدر هذه الخسائر بـ ١٥% من نسبة القوى العاملة للبالغين في ايطاليا ، مما أدي إلى تقليص روما لعدد قواتها البحرية في بداية ٢٤٠ق.م، بسبب شعور روما من الاجهاد من وطأة هذه الخسائر البشرية. ولكن في نهاية المطاف قامت روما ببناء اسطول جديد في سنة ٢٤٢ق.م، في حين ان القرطاجيين بعد هزيمة اسطولهم قبالة جزر الماعز (Aegates)، لم يستطيعوا تدعيم جيشهم في صقلية بقوات أخرى، مما اجبرهم على اللجوء إلى مائدة المفاوضات وعقد سلام مع روما([2]).

أما عن أهمية دور القوى العاملة في ترجيح كفة الرومان في الحرب البونيقية الثانية، التي كانت تختلف طبيعتها عن الحرب البونيقية الأولى، فهذه الحرب لم تكن حرب بحرية، وإن كان البحر قد لعب دورًا هامًا في تقرير مصيرها، وتجلت اهمية القوى العاملة في الحرب البونيقية الثانية

([1]) L.E.Lazenby, Rome and Carthage, p. 235.

([2]) L.E.Lazenby, Rome and Carthage, p. 235.

في العام الثالث للحرب سنة ٢١٦ق.م، حيث قتل وأسر حوالي ١٢٠,٠٠٠ جندي من الرومان، وعلى الرغم من هذه الخسائر الباهظة، التي لم تصل إلى هذا العدد فيما بعد، فإن الهزائم الكبيرة التي لحقت بالرومان في اسبانيا وايطاليا لم تتوقف، وقد كانت لدى الرومان قدرة كبيرة على تجنيد أعداد كثيرة من الفرق، واستمر عدد الفرق في الازدياد، ووصلت ذروة عدد الفرق الروماني في سنة ٢١٢ق.م و ٢١١ق.م ، حيث جند الرومان خمس وعشرون فرقة رومانية، وعلى أي حال من الأحوال لم يقل عدد الجيش الروماني تحت السلاح عن خمسة عشر فرقة رومانية حتى بعد زاما، وهكذا كان هناك اكثر من ١٠٠,٠٠٠ جندي من الرومان والإيطاليين تحت السلاح–مجندين– فيما بين ٢١٦ق.م الى ٢١١ق.م، وربما كان هناك عدد إضافي من الجنود يقدر بحوالي ٥٠,٠٠٠ جندي كانوا يعملون في الأسطول الروماني([1]).

ثانيًا: الأسطول الروماني:

السبب الثاني للإنتصار العسكري الذي أحرزته روما على قرطاجة في الحروب البونيقية، يرجع إلى القوة البحرية الروماني أو الأسطول، الذي كان له تأثير فعال وواضح خلال مجريات الحرب البونيقية الأولي، التي كان ميدانها الرئيس جزيرة صقلية، وحقق لروما الإنتصار في كل معاركها البحرية ضد قرطاجة– ماعدا معركة دريبانا (*Drepana*) في سنة ٢٤٩ق.م، ومن خلال هذه المعارك البحرية، تعلمت روما بشكل سريع كيفية استغلال وتوظيف هذه القوة البحرية في صراعها فيما بعد مع قرطاجة، وعلى الاخص في غزوها لإفريقيا في سنة ٢٥٦ق.م، وعلى الرغم من النهاية الكارثية لهذا الغزو، فإن روما استغلت الاسطول الروماني في إنقاذ الباقيين من الجيش المهزوم في أفريقيا، وقطع الإمدادات والمؤن العسكرية عن جيش قرطاجة في صقلية، مما أجبر قرطاجة على اللجوء إلى المفاوضات وعقد سلام مع روما([2]).

المبحث العاشر: الهرم الاجتماعي عند الرومان حتى نهاية العصر الجمهوري

يُقصد بالبنية الاجتماعية لأي مجتمع من المجتمعات، الشكل أو التكوين الاجتماعي لهذا المجتمع، وقد تختلف البنية الاجتماعية لمجتمع ما عن غيره من المجتمعات الأخرى، باختلاف الظروف والأحوال الخاصة بكل مجتمع من المجتمعات، وان كانت معظم المجتمعات القديمة كانت ذات بنية هرمية تتكون من طبقات مختلفة، فيها تختلف حقوق والتزامات كل طبقة عن الأخرى،

([1]) L.E.Lazenby, Rome and Carthage, p. 235–236.

([2]) L.E.Lazenby, Rome and Carthage, p. 236.

وبالطبع فان المجتمع الروماني كان واحدًا من المجتمعات النمطية القديمة التي ساد فيها النظام الطبقي كشكل لبنية المجتمع في مختلف عصوره التاريخية سواء في العصر الملكي أو الجمهوري أو الإمبراطوري.

أولًا: طبقات المجتمع

انقسم المجتمع الروماني خلال العصر الجمهوري إلى طبقتين متمايزتين في الحقوق والواجبات، هما الطبقة الأرستقراطية *patricii* أو طبقة النبلاء أو البطارقة، الذين قادوا الثورة ضد النظام الملكي الأتروسكي الغابر، ولذلك كان من الطبيعي أن يستأثروا بالحقوق السياسية الكاملة دون غيرهم، والطبقة الأخرى هي طبقة العامة plebs ، الذين كانوا ممنوعين من شغل المناصب الشرفية العليا في الدولة ومحرومين المشاركة في الحياة السياسية في روما في العصر الجمهوري. بينما كانت تقع عليهم مسئولية الدفاع عن البلاد كجنود في الجيش الروماني. ووجدت أيضًا طبقة ثالثة في العصر الجمهوري هي طبقة الفرسان([1]).

ثانيًا: الصراع الطبقي

وكانت الأعباء الرئيسية التي تثقل كاهل العامة قد تمثلت في مشكلة الديون، وما ترتب عليها من الوقوع في العبودية أو القتل إذا عجز العامة عن تسديد ديونهم. وقد أدى ذلك إلى توتر في العلاقات بين الطبقة الأرستقراطية وطبقة العامة، بسبب رغبة العامة في أسترداد حقوقهم المسلوبة والتخلص من الأعباء والالتزامات التي وقعت على كاهلهم، وأستمر هذا الصراع لمدة ست مراحل في كل مرحلة، كان العامة يحصلون على جزء من حقوقهم المهدورة على يد الطبقة الأرستقراطية.

المرحلة الأولى :تعيين تربيون للعامة ٤٩٤ق.م

خلال هذه المرحلة طالب العامة بأن يكون لهم منصب تربيون عامة، يقوم بالدفاع عن مصالحهم المختلفة ضد طمع الطبقة الأرستقراطية، حيث طالب العامة الاعتراف بترابنة او نقباء العامة بصورة رسمية، لكن الارستقراطيين رفضوا ذلك الأمر، ولذلك لم يكن أمام طبقة العامة إلا أتباع أسلوب التهديد بالانسحاب خارج مدينة روما سنة ٤٩٤ق.م، وذلك اثناء مواجهة روما لخطر

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٧٩-١٨٠.

القبائل الفولوسكية، وقام العامة بالتهديد بترك المدينة للأرستقراطية وتأسيس مدينة مستقلة لهم ينعمون فيها بكل حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فهم يضحون من اجل روما ولا يتمتعون باي حقوق، وفي النهاية رضخ الارستقراطيون ووافقوا على طلب العامة بانشاء منصب التربيون الشعبي، وفي البداية كان عددهم أثنين من الترابنة، كان لهم حق الاعتراض على أي اجراء يصدر من أي حاكم ضد مصالح العامة، واعتبر الترابنة مقدسين لا يجوز المساس بهم ومن يفعل ذلك فانه يعتدي عليهم تحل عليه لعنة الآلهة ويسفك دمه([1]).

المرحلة الثانية: المطالبة بتسجيل القوانين ٤٤٩ق.م

لكي يضمن االعامة حقهم في وجود محاكمات عادلة ونظام قضائي عادل لا تتحكم فيه الأهواء والطبقة التي ينتمي إليها الشخص، طالبوا في هذه المرحلة بضرورة تسجيل القوانين أي كتابتها، حيث كان تفسير القانون قديمًا عند الرومان حكرًا فقط على الطبقة الأرستقراطية، الذين كانوا يفسرونه وفقًا لمصالحهم الخاصة، لذا قام العامة بالمطالبة بتسجيل القوانين، لأن النبلاء في ظل غياب القوانين المكتوبة لم تكن هناك أي حقوق للعامة، واقترح الترابنة وضع قوانين ثابتة لأول مرة في سنة ٤٦٢ق.م، حتى يعرف كل فرد في المجتمع حقوقه وواجباته، وبعد سنوات عديدة وبالتحديد في سنة ٤٥٠ق.م وافق مجلس الشيوخ على تشكيل لجنة من عشرة من الحكماء عرفت بلجنة العشرة من أعضاء مجلس السناتو لتسجيل وصياغة القوانين، صدرت هذه القوانين سنة ٤٤٩ق.م منقوشة على ألواح وعرفت بقوانين الألواح الأثنى عشر، لإنها كتبت على أثنى عشر لوحًا من البرونز، ولإعلانها للجميع تم وضعها في الفوروم لكي تكون مكان يستطيع الجميع الأطلاع عليها. اعترفت هذه القوانين بالعديد من الحقوق لطبقة العامة، إلا إنها لم تكن كافية لإرضاء العامة، فقد ظل الصراع بين النبلاء والعامة مستمرًا ([2]).

على الرغم من أهمية قوانين الألواح الأثنى عشر، إلا ان بعض بنودها كانت تهدد حرية المواطنين الرومان، حيث اعترفت هذه القوانين باحقية الدائن في القاء القبض على المدين وسجنه وبيعه في أسواق الرقيق إذا لم يستطيع المدين أن يسدد ما عليه للدائن في الوقت المحدد لسداد

([1]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠: إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٨١-١٨٢.

([2]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٧١-٧٢.

الدين. فضلًا عن ذلك فإن هذه القوانين شرعت وضعت أساسًا دستوريًا لمنع الزواج بين النبلاء والعامة([1]).

المرحلة الثالثة: حصول العامة على عدد من الحقوق السياسية

بعد أن استطاع العامة انتزاع حقهم في وجود محامين أو ممثلين عنهم وتسجيل القوانين لكي تطبق على الجميع دون تمييز، فإنهم انتقلوا إلى مرحلة أخرى، وهي مرحلة المطالبة بحقوقهم السياسية في المجتمع الروماني، وخلال هذه المرحلة استطاع العامة الحصول على العديد من المكاسب السياسية، منها: زيادة عدد ترابنة العامة إلى عشرة ترابنة، كانوا يتناوبون العمل على مدار السنة. وبالإضافة إلى ذلك أصبح من حق ترابنة العامة الجلوس حضور جلسات مجلس الشيوخ، ولهم حق الصياح أو الأعتراض veto إذا لم يوافق مجلس السناتو على أي موضوع يخص العامة معروض للمناقشة في السناتو، وبعد ذلك سمح لترابنة العامة الجلوس داخل قاعة مجلس السناتو، ولكن دون أن يصبحوا أعضاء فيه.واصبحوا جزء لا يتجزأ من الوظائف العامة، ويتمتعون بنفوذ. وفي سنة ٣٠٠ق.م أصبح من حق الترابنة تقديم أي حاكم سابق للمحاكمة أمام جمعية القبائل. وخلال القرن الثاني قبل الميلاد أصبح من حقهم دعوة مجلس الشيوخ للانعقاد([2]).

المرحلة الرابعة: الحصول على حق زواج العامة من الارستقراطية ٤٤٥ق.م

بحثًا عن الاندماج الاجتماعي بين العامة والأرستقراطيين، طالب العامة خلال المرحلة الرابعة من الصراع الطبقي مع الارستقراطيين، بحقهم في إلغاء قرار حظر زواج أي شخص من العامة من طبقة البطارقة، وجاء هذا المطلب بعد أن تقدم التريبون الشعبي "كانيليوس" canaelius بطلب لإلغاء حظر الزواج بين العامة والأرستقراطية، وقد وافق الأرستقراطية على هذا الطلب الذي حقق العدل الاجتماعي بين العامة والأرستقراطية. وبموجب هذا القانون أصبح الزواج بين النبلاء والعامة زواج شرعي Conubium ([3]).

المرحلة الخامسة: المطالبة بالمساواة الكاملة مع الارستقراطية ٣٧٦-٣٦٦ق.م

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٨٨-١٨٩.

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٨٢-١٨٣.

([3]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٨٩: سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٧٢.

قام العامة في سنة ٣٧٦ق.م بحركة ثورية كاملة، ففي كل مرحلة من المراحل السابقة في الصراع بين الطبقتين، كان العامة يطالبون بمطالب محددة، لكن في هذه المرحلة طالب العامة بحقوقهم الكاملة سواء الحقوق الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، وتزعمهم حركتهم في هذا الوقت أثنان من ترابنة العامة هم "ليكينوس" licinius و "سكتيوس" sexteius . تقدموا بعدد من الاقتراحات من أجل تخفيف حدة الصراع بين النبلاء والعامة، فقد طالبوا بالمساواة الكاملة مع البطارقة. وفي بداية الأمر رفض البطارقة هذه المطالب، إلا إنهم في الأخير وافقوا بعد ذلك خوفاً من تهديد العامة بالإنسحاب من المدينة مرة ثانية، وأقر هذه الاقتراحات مجلس السناتو، التي عرفت بـــ قانون "ليكينوس سكتوس"، الذي نصت بنوده على الآتي:

١- من حق الأشخاص المنتمين إلى طبقة العامة تولي مناصب الدولة التنفيذية العليا، وبذلك صبح أحد القنصلين ينتمي إلى طبقة العامة، وبالتالي تمكن العامة من دخول مجلس السناتو والحصول على عضويته.

٢- يتم اعتبار الفوائد التى سبق دفعها عن مبلغ مقترض من أي شخص ينتمي إلى طبقة العامة، جزء من رأس المال المقترض وتخصم منه، وبالتالى خفف كاهل العامة من مشكلة الديون.

٣- يتم تحريم الاسترقاق بسبب العجز عن رد الديون، حيث كانت العادة المتبعة عند الرومان أن المدين يقع في دائرة الاسترقاق لدائنة إذا عجز عن تسديد دينة في الوقت المحدد سلفًا.

٤- ضمان حصول العامة على قطع من الأراضي العامة للدولة، وذلك بعدم السماح لأي مواطن روماني أن يمتلك من الأرض العامة اكثر من ٥٠٠ يوجيرا ugera.

٥- أن يعين أحد العامة لحراسة الكتب التي باعتها الكاهنة "سيبيل" للملك تاركوينوس المتغطرس.

في البداية لم يتم الاعتراف بهذه الاقتراحات من قبل مجلس السناتو، ولكن بعد مرور عشرة سنوات ٣٦٦ق.م، وافق السناتو على اقتراحات ليكينيوس وسكستيوس وتحولت هذه الاقتراحات الى قوانين، وهكذا أصبح العامة من الناحية القانونية النظرية على قدم المساواة مع طبقة النبلاء، بينما من الناحية الواقعية كان الأمر مختلفًا تمامًا، لأن القناصل ظلوا ينتخبون من النبلاء فقط([1]).

([1]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٧٢٠٧٣.

المرحلة السادسة: حق المجلس القبلي في سن التشريعات ٢٨٧ق.م

طالب ترابنة العامة في سنة ٢٨٧ق.م بمنح المجلس القبلي الحق في سن القوانين، وذلك بهدف أشراف العامة على قوائم تسجيل المواطنين الرومان وعملية التصويت ومراقبة الاقطاعيين والحد من نفوذهم، وكان ذلك خلال الحرب مع سامنيوم، ولتنفيذ هذا المطلب هدد العامة بعدم الاشتراك في القتال إذا لم يتم الموافقة على هذا المطلب، مما دفع الدكتاتور "هورتنسيوس" إلى إصدار قانون بحق المجلس القبلي في إصدار القوانين، وبذلك أصبح هذا المجلس من أقوي المؤسسات التشريعية في روما، حصل العامة على العديد من حقوقهم سواء السياسية أو الاجتماعية بعد اجادتهم لاستخدام سلاح التهديد بالانسحاب من روما([1]).

المبحث الحادي عشر: التطورات السياسية الداخلية والخارجية لروما حتى نهاية النظام الجمهوري

انتقلت روما بالتدريج من مجرد مدينه فى شبه جزيرة إيطاليا إلي عاصمة لإمبراطورية شملت معظم أقاليم البحر المتوسط([2]) وتمحض عن قيام هذه الإمبراطورية العديد من المشكلات فكما جاء عند "باور" (يعتبر القرن الأخير من ١٣٣ق.م من عهد الجمهورية الرومانية قرن اضطراب سياسي وتوسع تجاري ومالي وحيرة خليقة، وفي هذه الفترة نشأت مسائل جديدة خاصة بالحكم المركزي والإقليمي والدفاع وتوزيع الأراضي والقادة العسكريين الذين تؤيدهم الجيوش والذين كانوا يتحدون الدولة، كما نشأت بصفة خاصة طبقة المصالح القوية والأفكار الجديدة في الفلسفة والدين، وأساليب السلوك الجديدة، وفيها برزت الأسماء التي يعرفها كل إنسان مثل الأخوين جراكوس، وسوللا وبومبى، وكراسوس، ويوليوس قيصر، وبروتوس وأنطونيوس، وشيشرون وغيرهم.

فالدوله الرومانيه منذ عام ١٣٣ق.م. أصبحت تتحكم في إمبراطورية شاسعة تمتد وراء البحار وتشمل أجناسا مختلفة ، لذلك واجهت مشاكل جديدة وغريبة لم تتعود عليها أجهزتها ومؤسساتها وأصبحت قوانينها القديمة عاجزة عن مسايرة الظروف الجديدة([3])، وظهرت الجمعيات

([1]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٧٥-٥٦.

([2]) Glay.M., A history of Rome, 2edition, bacwell, Oxford, 2001, p.81.

([3]) سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الرومان " من القرية إلي الإمبراطورية"، دار النهضة العربية،(بدون طبعه)، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٩٠.

الشعبية والهيئات القضائية بعجزهاعن إدارة شئون الإمبراطورية الرومانية بجدارة، وكذلك من المشكلات التي ظهرت في ذلك الوقت ظهور السخط وعدم الرضا بين الحلفاء الإيطاليون واللاتين، وكذلك ظهور بوادر الضعف في الجيش الروماني، وتهديد غوغاء المدينة باستخدام العنف في الوقت الذي كانت ترفض فيه الطبقة الحاكمة أي تغيرات سواء اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، وقادت هذه المشكلات في النهاية إلي سقوط نظام الجمهورية الرومانية سنة٢٧ق .م([1]).

والآن سنعرض عرضا موجزا عن أهم أسباب قيام الثورة :

أولا : الدوافع الاجتماعية :

حيث بدأ المجتمع الروماني منذ النصف الثاني من القرن الثاني ق.م. يعاني من تطورات اجتماعية خطيرة أدت هذه التطورات في النهاية إلي قيام صراع بين طبقات المجتمع مما أدى إلي سقوط نظام الحكم الجمهوري في روما سنة ٢٧ ق.م.

أ- ظهور طبقة الفرسان :

تكونت طبقة الفرسان في المجتمع الرومانى من رجال الأعمال والتجار، حيث كان أعضاء هذه الطبقة يقومون بإمداد الدولة بما تحتاج إليه من الغذاء والكساء والأسلحة، ويقومون بشراء الأسلاب والغنائم الحربية من الدولة، وأنتشر هؤلاء في إيطاليا وكذلك ذهب الكثير منهم إلي الشرق([2])، وجنت هذه الطبقة من وراء نشاطها في مختلف ضروب الأعمال الرأسمالية أرباحا طائلة استثمرتها في شراء الضياع الكبيرة Latifundia وعرفت هذه الطبقة باسم طبقة الفرسان (orddo Equiester-Equites)([3])، وفي البداية أطلق لقب الفرسان علي الذين يمتلكون ثروه

([1]) Sinniger, W.G., A history of Roma to A.D. 565 p.p. 153-154.

([2]) ر.هـ.باور، الرومان، ترجمة عبد الرازق يسري، وسهير القلماوي، دار نهضة مصر، (بدون طبعة)، القاهرة ، ١٩٦٨، ص٢١: رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والأقتصادى ، الجزء الأول، (بدون طبعة)، ترجمة زكي علي ومحمد سليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (بدون تاريخ) ، ص ٣٨-٣٩.

([3]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان (١٣٣-٤٤ق.م.) الجزء الثاني، الطبعة الثانية، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، ١٩٧٨، ص ٤٠٩.

تؤهلهم من تجهيز أنفسهم بخيول (Equus) عند الحرب ولذلك سموا بالفرسان Equites ثم أصبح في القرن الثالث لقب الفرسان يعني رجال الأعمال والتجار([1]).

وكان طبيعياً لإمتلاك الفرسان الأموال أن يضيقوا ذرعاً من احتكار النبلاء للوظائف العامة والهيمنة على مقاليد الحكم، فهذه الطبقة لم يكن لها أي أثر محسوس في الحياة السياسية أو في توجيه سياسية الدولة، بسبب إفتقارها إلي كيان سياسي محسوس يميزها عن غيرها، وينظم حقوقها ويعبر عنها تعبيراً فعالاً، لذلك سعى أفرادها سعياً حثيثاً للدخول في سلك الوظائف العامة، وذلك عن طريق إنتخابهم لتولية إحدى هذه الوظائف([2])، وظهرت بداية الدور السياسي لطبقة الفرسان في القرن الثاني ق.م. حيث كانوا يعلبون دوراً رئيسياً في"جمعية المئينات" Centuriate assembly فتطلعوا بعد ذلك أن يلعبوا دوراً فعالاً في الحياة الاجتماعية والسياسيه وخاصةً في الشئون القانونية وإزاء هذه الظروف الجديدة تولدت جبهة معارضة من الفرسان ضد رجال السناتو والأرستقراطيين أخذوا يطالبون بالمساوة في حكم البلاد، بينما كان السناتو ينظر بعين الإحتقار إلي رجال طبقة الفرسان علي كونهم ينحدرون من أصول إجتماعية وضيعة، أستطاعوا عن طريق التجارة والربح والجشع وإستغلال الفتوحات الرومانية أن يكونوا ثروات طائله فكان مسموحاً لهم مزاولة كافة أنواع الأنشطه التجاريه، بينما كان محرماً علي رجال السناتو طبقًا لقانون عام ٢١٨ ق.م الإشتغال بالتجارة، فإزداد رجال الفرسان نتيجة لذلك ثراءً، وأصبح رجال طبقة الفرسان حلفاء للعامة في مقاومة إستئثار النبلاء بإدارة شئون الدولة([3]).

وكانت العلاقات بين طبقة الفرسان والطبقة الأرستقراطية من النبلاء وأعضاء السناتو عدائية وخاصةً منذ أن أصبح للفرسان يشكلون جبهه سياسيه لأول مرة في عهد جايوس جراكوس عندما عهد إليهم بتوليه القضاء (هيئة المحلفين وإسترداد الأموال المبتزة) علي أن هذه لا يعني أنه لم تكن هناك علاقة سلمية وودية، حيث وجد وفاق وود بين الفرسان والأرستقراطيين وبخاصةً حينما كانت أعمال الشغب والعنف التي كان يثيرها الزعماء الشعبيين تلحق الضرر بمصالح الفرسان، وقام "شيشرون" بجهود مضنيه لتحقيق الوفاق بين الفرسان والأرستقراطية، حيث يقول باور: "ولكن

([1]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق ، ص ٢٠٤

([2]) Glay. M. op. Cit., P.98.

([3]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق ، ص ٢٠٤

جهود شيشرون كان مكتوبًا عليها بالفشل، وذلك إنه حيث كان قنصلاً ٦٣ق.م. كرس نفسه لجمع شتات الدولة لمجابهة حزب المنشقيين الذي كان يتزعمه كاتيلين([1]).

ب- مشكلة غوغاء المدينة :

حيث أن الكثير من الرومان فضلوا الإنضمام إلي غوغاء مدينة روما بعد أن عادوا من الحرب وكانوا غير قادرين علي العودة إلي مزاولة الحياة الريفية الرتيبة، ووجدوا مزارعهم قد رهنت لإعالة أسرهم، ولذلك سارعوا إلي بيع مزارعهم إلى الأغنياء ورحلوا إلي روما، وأنضم هؤلاء الجنود إلى غوغاء المدينة الذين تسببوا في كثير من الاضطرابات للدولة، لذلك لجأت الطبقة الحاكمة إلي رشوتهم بطرق مباشرة وبطرق غير مباشرة للحفاظ علي مكانتهم ونفوذهم، وقد إزداد سكان روما في القرن الثاني ق.م. إلي نحو نصف مليون نسمة وبذلك أصبحت تنافس أكبر عواصم العالم الهلينستى سواء الإسكندرية وأنطاكية من الناحية السكانية، وكان نتيجة لإزدياد عدد غوغاء المدينة في روما نتائج سياسية خطيرة حيث كانت لديهم فراغ من الوقت أتاح لهم حضور معظم جلسات الجمعية الشعبية (جمعية القبائل) والإدلاء بأصواتهم في مقابل الحفلات والمآدب مما كان يؤثر علي الحياة العامة في روما([2]).

ونتيجة لهذه العدد الكبير من السكان أصبحت عملية إمداد وتموين المدينة بالغذاء مشكلة في حد ذاتها حيث كانت عملية التموين عن طريق البر بطيئة، وعن طريق البحر كانت هذه العملية محفوفة بالمخاطر، وتسبب إرتفاع سعر القمح أو تأخير وصوله إلي روما في تعرض المدينة لخطر المجاعات، وخاصة أن القمح الذي كانت تعتمد عليه روما هذه الفترة كان يأتي من صقلية، لذلك أثار غوغاء روما الشغب مطالبين بمنح القمح المجانية التي كانت قد أصبحت حقاً ثابتاً لهم منذ عام ٥٨ ق.م من وجهة نظرهم الخاصه، حيث جعل كلوديوس سد حاجة فقراء روما من القمح منحة دون مقابل([3]).

ج- مشكلة العبيد :

([1]) ر.هـ. باور، المرجع السابق، ص ٧٠.

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٣٤ .

([3]) Sinnigen.W.G., op. Cit., P. 150.

كان الرق موجوداً في الدولة الرومانية منذ وقت بعيد، ولكن يبدوا أنه لم يكن ذو أهمية اقتصادية في البداية، فكان معظم هؤلاء العبيد من أسرى الحروب التي خاضتها روما، أو من الذين لم يستطيعوا أن يدفعوا الفدية عن أنفسهم للرومان، فأصبحوا عبيداً وفي الحروب الباكرة أشتركت روما مع جيرانها الإيطاليين في حروب عديدة وأسرت منهم الكثير، فعند إستيلاء الرومان علي "تارنتوم" Tarentum تم بيع ثلاثين ألف من سكانها كعبيد([1]).

وأستغل أصحاب الأعمال من الرومان العبيد أسوء استغلال، وعاملوهم معاملة سيئة حيث كانوا يستغلونهم حتى الموت عملاً بنصيحة "كاتو" في بحثه عن الزراعة، حيث كانوا يساقون وهو مكبلون في الأغلال للعمل في الضياع تحت الشمس المحرقة، وفي الليل كانوا يوضعون في زرائب كالماشية، ويلقى إليهم بقليل من الطعام، ولذلك أخذ العبيد يتحينون الفرصة لإعلان تذمرهم وسخطهم ضد الرومان، ومن أهم ثورات العبيد، الثورة التي قامت فى عام ١٣٨ ق.م.، وثورات أخرى كانت كتلك الثورة التي قام بها العبيد في صقلية ١٣٦ ق.م، إزاء هذه الثورات لم يتحرك السناتو لحل مشكلة العبيد وتحسين أحوالهم الاجتماعية، حتى الزعماء الشعبيين تجاهلوا مشاكل العبيد تجاهلاً تامًا فلم يرد أي قانون ينصف هؤلاء التعساء وينتشلهم من أوضاعهم الاجتماعية البائسة([2]).

ثانيا : الدوافع الاقتصادية :

حيث ترتب علي فتوحات روما الخارجية في القرنين الثالث والثاني ق.م نتائج اقتصادية هامة، خاصة بعد الإستيلاء علي قرطاجة وضم معظم ممالك الشرق إلى أملاك الشعب الروماني، فتدفقت الثروات إلي روما سواء من العمله المسكوكة أو من كميات هائلة من المقتنيات الثمينة من الذهب والفضة، فأصبحت روما صاحبة أملاك واسعة وضمت إليها مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية ومراعي وغابات ومصايد أسماك في البحيرات التي كانت تابعة للإمبراطورية القرطاجية([3])، لذلك كان

أهم نتائج هذه التطورات الاقتصادية ظهور مجموعة من المشاكل الاقتصاديه وهي:

١- مشكلة الأراضي :

([1]) Sinnigen.W.G., op. Cit., P. 89.

([2]) دونالد . دولي، المرجع السابق، ص ٧٧.

(٣) رستوفتزف، المرجع السابق، ص ٣٤ .

كان لملكية الأراضي الزراعية أهمية كبيرة في المجتمع الروماني، حيث إنها حددت في القرن الثاني ق.م الوضع الاجتماعي والسياسي للأفراد في المجتمع، وظهرت مشكلة الأراضي نتيجة للحروب التي خاضتها روما في القرنين الثالث والثاني ق.م، فأنتشرت الضياع الكبيرة Latifundia في كل أنحاء إيطاليا نتيجة لقيام أفراد الطبقة الحاكمة الأرستقراطية The Governinng class بإستغلال ثرواتها في شراء الأراضي الزراعية خاصة من الأراضي العامة، أو عن طريق الشراء من صغار المزارعين الأحرار الذي تركوا مزارعهم خاصةً بعد إنتهاء حروب هابنيال وما لحق بهذه المزارع من خراب ووقوع أصحابها تحت وطأة الديون، وكان من أهم مصادر تكون الأراضي العامة لروما بخلاف الفتوحات الخارجية والاستيلاء علي الإمبراطوريه القرطاجيه، ما أتبعته روما من معاقبة القبائل التى ساعدت هانيبال ضد روما عن طريق مصادرة أراضى هذه القبائل([1])، وكان المستفيد الأول من الأراضي العامة هم الأرستقراطيين الذين امتلكوا المساحات الكبيرة الصالحه للزراعة وامتلك هؤلاء الأغنياء رؤوس الأموال اللازمة لتجهيز وتمويل المزارع والضياع.

وترجع أهم أسباب انتشار الضياع الكبيرة Latifunida إلي النظام الذي كانت الدولة الرومانيه تتبعه في إدارة الأراضى العامة، وبخاصة نظام تأجير الجزء الأكبر منها، حيث دأب معظم مستأجري الأرض العامة علي وضع أيديهم علي الأرض العامة وامتلاكها كأملاك خاصة Possessio، وكانت نسبة الإيجار علي الأرض العامة تقدر بخمس المحصول في حالة زراعة الأرض بالفاكهة، وعشر المحصول في حالة زراعة الأرض بمحاصيل الغلال (القمح)، أما عن طريقة تقدير الإيجار المفروض علي أراضي الرعي فإن الضريبه كانت تقدر علي أساس عدد الحيوانات التي تعيش علي كلأ الأرض العامة([2]).

وبتحكم الأرستقراطيين في الحكم فإن الحكومة أغلقت حقوق الدولة في المطالبة بسداد الإيجار المستحق علي الأرض العامة، وبمرور الزمن انتهك أرباب الحيازة (Possessores) حقوق العبيد علي نطاق واسع في الضياع الكبيرة ، حيث عمل هؤلاء العبيد تحت ظروف سيئة

---

(١) ولعلنا نستطيع أن تستنتج من خلال مقدار هذا الإيجاز الذي كان يحصل من الأرض العامة التي تزرع بالفاكهة أن الدولة في ذلك الوقت كانت في شبة استكفاء خارجي من القمح، خاصة من قمح صقلية وشمال أفريقيا. انظر:
Glay. M. op. Cit., P.147

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ١٣ – ١٤

لذلك بدأوا في التذمر والثورة خاصةً في عام١٣٥ ق.م وتعرف هذه الثوره باسم ثورة العبيد الأولى التي نشبت في صقلية، وترتب كذلك علي مشكلة الأراضي وإنشاء الضياع الكبيرة مشكلتين في غاية الأهمية، وهما مشكلة تناقص أعداد صغار المزارعين الأحرار، وكذلك مشكلة زيادة سوء أحوال العبيد الاجتماعية([1]).

ب- مشكلة تناقص أعداد صغار المزارعين :

حيث تسبب استغلال الأغنياء من الأرستقراطيين لرؤوس أموالهم في زراعة الكروم والزيتون، إلي مضاعفة أسعار الأراضي في الأقاليم الإيطالية، وأغرى ذلك الكثير من الفلاحين ببيع أراضيهم ومزارعهم إلي الاغنياء، والهجرة إلي المدن أو إلي الولايات الرومانية([2]).

أما كبار ملاك الأراضي سواء كانوا من الأرستقراطيين أو من الفرسان فإنهم لجاوا إلي وسائل غير مشروعة لطرد صغار المزارعين من الأرض العامة، بجانب الحروب التي كانت من أهم أسباب تدهور طبقة صغار المزارعين وطردهم من الأرض العامة، فكانت الحروب السبب الرئيسى فى تدهور طبقة صغار المزارعين الأحرار وذلك نتيجة للحروب التي خاضتها روما في القرنين الثالث والثاني ق.م. فلقي الكثير من أفراد هذه الطبقة حتفهم في هذه الحروب، وحتى من كان يعود منهم إلي وطنه لم يكن أسعد حالاً ممن لقوا حتفهم، حيث أن هؤلاء عادوا وكانوا غير قادرين علي العمل في الأرض، وكذلك وجدوا بعض الجنود بعد عودتهم أن أراضيهم قد رهنت لإعالة أسرهم، ولم يكن أمام هؤلاء الجنود إلا أن يبيعوا مزارعهم الصغيرة لجيرانهم الأغنياء، وبعد أن فقدوا مزارعهم عمل البعض منهم كأجراء موسميين في المزارع والبعض رحل إلي روما، والبعض الآخر هاجر إلي بلاد الغال البعيده cisalpine gaul، حيث كانت توجد هناك الأراضي الجديدة التي مازالت متاحة لهم، وعاني الحلفاء مثلما عاني الرومان من الحروب، فهاجر الكثير منهم إلي روما في شكل جماعات كبيرة تاركين ورائهم أوطانهم ومدنهم وقراهم ولذلك أخذت مدنهم تناشد مجلس السناتو بإرجاعهم إليها بالقوة، مما وضع السناتو فى مواجهة مشكلة هامة وهي مشكلة تناقص أعداد طبقة صغار المزارعين الأحرار، وبالتالي تؤدى إلي التاثير السلبى علي قوة الجيش

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ص ١٤ – ١٦

([2]) رستوفتزف، المرجع السابق، ص ٤٦.

الروماني، فلم يكن أمام السناتو إلا إن يتصدى لهذه المشكلة وان يقوم بحلها أو أن يتبع سياسية خارجية دفاعية([1]).

ثانيا: الدوافع السياسية : ١- الصراع علي السلطة :

حيث برز السناتو بعد الحروب التي خاضتها روما أقوى سلطانا من ذي قبل، وأصبح هو المتحكم الوحيد في الشئون العسكرية والاقتصادية وتحكم السناتو في ذلك الوقت فى علاقات روما الخارجية وفى الاقتصاد وشئون الدولة، وإدارة وتنظيم الولايات الرومانية، أما من الناحيه السياسيه فاستطاع السناتو أن يسلب الجمعية الشعبية (القبلية) سلطاتها ولم يعد لهما نفوذ أو أي سلطة مما أدى إلي وجود نوع من الصراع بين الهيئتين السياسيتين في البلاد، وكذلك بدأ المجتمع الروماني يعاني من صراعات طبقية داخلية نتيجة لتصارع الطبقات من أجل الوصول إلي السلطة، وكان هذه الصراع مصدره الرئيسي طبقة رجال السناتو، أما الطبقة الثانيه فى هذا الصراع فهى طبقة العامه blebs التي كونت مع طبقة الفرسان Equites جبهة الشعبيين populares أو الديموقراطيين ضد الارستقراطيين Optimates " الفضلاء"، وفي هذا الصراع قام الفرسان بتزعم العامه للمطالبه بالمشاركة في السلطة مستخدمين في ذلك أموالهم لبث الاضطرابات وتمويل الانقلابات والمؤامرات من أجل إسقاط النظام القديم ووضع نظام جديد يعطيهم نفوذ أكبر في حكم البلاد، وقد إندلع هذا الصراع بين طبقات المجتمع الثلاثة – العامة والأرستقراطية والفرسان – وأستمر ما يقرب من قرن كامل([2]).

٢- الابتزاز وسوء إدارة الولايات :

كان يتولى حكم الولاية الرومانية قائد برتبة براتيور أو بدرجة قنصل سباق وكان هذا القائد يتمتع بسلطة الإمبراطور البروقتصلي Imperieum Pro comsulare وقد ساد الفساد في حكم الولايات نتيجة للرشوة وأعمال النهب وابتزاز أهالي الولايات من قبل الحكام الرومان الذين أخذوا يبتزون الاهالى لجمع الثروات الطائلة، بالإضافة إلي معاناة الأهالي من الملتزمين أو جامعي الضرائب Publicni الذين كان معظمهم من رجال المال القساة الذين أذاقوا شعوب الولايات الكثير من الويلات، ومحاولة من السناتو للقضاء على الابتزاز المالي والفساد أصدر قانون كالبورنيوس Calpurnius فى عام ١٤٩ق.م، بإنشاء محاكم لمحاربة الابتزاز المالي علي أن تكون هذه

([1]) Glay. M. op. Cit., P. P. 149-150.

([2]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ١٩٠ .

المحكمة من خمسين عضواً من أعضاء السناتو ولم تنجح هذه المحكمة في أداء عملها لأن المتهمين من نفس طبقة محلفين المحكمة، لذلك حاول جايوس جراكوس أن يعيد إصلاح هذه المحكمة بجعل هيئة المحلفين فيها تتكون من الفرسان وليس من أفراد السناتو([1]).

٣- مشكلة الحلفاء:

كان الموضوع الأساسى للصراع بين الأرستقراطيين والعامة هو قضية الأرض وبدأ يتوارى هذا الموضوع إلي الوراء وتظهر مشكلة ذات طابع سياسي بحت وهى مشكلة الحقوق السياسية التي كان يطالب بها الحلفاء اللاتينيين والإيطاليين وكان يتزعم حركة المطالبة بهذه الحقوق البرجوازيين في المدن الإيطالية واللاتينيه، حيث ان روما بعد ان حققت احلامها التوسعية تتكرت لهم وعاملتهم كرعايا خاضعين لها مثل باقي الشعوب غير إيطالية، والواقع أن عبء الخدمة العسكرية وقع عي كاهلهم وكان الحلفاء أوفياء لروما حتى في أشد أزماتها خاصة أثناء الحرب البونية الثانية، ولعلنا نتسأل عن سر وسبب مطالبة الحلفاء بحقوق المواطنة الرومانية، ونجد اجابتنا فيما كانت تنطوي عليه هذه الحقوق من مميزات مثل أحقية المشاركة في حكم الولايات، وكذلك أحقية إستئناف الأحكام الصادرة، وكذلك التمتع بالحصانه ضد بطش وجور حكام الولايات الرومانية([2]).

وازداد حقد الحلفاء علي الرومان خاصة عندما كان الجنرالات الرومان يعطون الجندي الإيطالي نصيب أقل من الأسلاب مما كان يعطي لزميله الجندى الروماني ، وكذلك بسبب ظلم القانون الروماني في إباحة جلد الإيطالي بينما حرم جلد الروماني طبقا للقانون ، وبخلاف سيطرة الدولة بمفردها علي الجزية والمكوس الجمركية وعلي الأرض العامة والمناجم في الولايات وزد علي ذلك ما كان يقوم به الأيديلس من جمع التبرعات من الحلفاء لإقامة الحفلات في روما مما كان يحملهم اعباء ثقيله لكل هذه الأسباب سالفة الذكر شعر الإيطاليين بمرارة الظلم الذي وقع عليهم في حين أنهم كانوا العمود الفقري في الجيش الروماني، لذلك فعند إثارة مشكلة الأراضي ثار الحلفاء

([1]) سيد أحمد علي الناصري المرجع السابق، ص١٩٥.

(٢) رستوفتزف، المرجع السابق، ص ص ٤٨-٤٩.

ضد روما وبذلك كانت مشكلة الأراضي بمثابة القطرة التي أفاض منها الإناء بالنسبة لمشكلة الحلفاء([1]).

رابعا :تاثير الشرق الهيلينستى فى قيام الثوره

وبالإضافة إلي ما تقدم ذكره كانت هناك أسباب ودوافع للثورة الاجتماعيه التي شهدتها الدوله الرومانيه منذ أواخر النصف الثانى من القرن الثانى ق. م تتمثل في تأثير الشرق الهيلينستي علي العقليه الرومانيه، حيث إنه في القرن الثاني ق.م غزا الرومان بلاد اليونان فتحولت إلي ولاية رومانية، ورد اليونان علي هذا الغزو بغزو فكري وثقافي كان أشد تاثيراً من السلاح العسكري، حيث أن الأسرى اليونانيين الذين حملوا إلي روما استطاعوا بعلمهم وفلسفتهم أن يحكموا ويغزوا عقول الرومان وظهر هذا الغزو الثقافي في شكل الفلسفات اليونانية خاصة الفلسفة الرواقية والفلسفة الابيقوريه اللتان وجدتا لهما معجبين بين القادة والمثقفين الرومان، وكانت الفلسفة الابيقورية Epicus فلسفة ريفية تخاطب البسطاء من الرومان انتشرت أولا في الريف الإيطالي ثم بعد ذلك في مدينة روما، وكانت الأبيقورية تدعو إلي التخلي عن الطموح السياسي والظهور وتهتم بالفرد أكثر مما تهتم بالدولة والنظم، ولم تلقي مبادئ الأبيقورية أي قبول من المثقفين الأرستقراطيين الرومان، ومن أنصار الابيقورية من الرومان تيتوس بومبيوس أتيكوس Titus Pomponius Aticus صديق شيشرون الوفي، وبدعوة المذهب الأبيقوري إلي التحرر من الخوف والقلق ataraixs أدى ذلك إلي جلب الهدوء والسكينة في نفوس الرومان المضطربة.

أما الرواقية stoicism فكانت تدعو إلي أن الكون يحكمة عقل إلهي لا يخطئ أبدا وتنادي الرواقية بالفضيلة virtus والفضيلة هي التفانى في أداء الواجب، وبذلك تكون الرواقية تقوم علي العقل والواجب وهما المحوران اللذان تقوم عليهما الرواقية، ومن أنصار الرواقية سكيبيو إيمليانوس Scipio Aemelianus وكان الأرستقراطيين من اكثر الرومان تشجيعا للرواقيين، ومن الذين قاموا بتطبيق الأفكار الرواقية ونقلها من الحيز النظري إلي الحيز العلمي "سكايفولا" "وكاتوالأصغر"، حيث أن سكايفولا عند زيارته لآسيا تفاني في تطبيق العدالة والحق، وحارب استغلال جامعي الضرائب من رجال الفرسان للأهالي، وبالإضافة إلي ذلك مهدت الأفكار الرواقية التي تحدثت عن العدل والحق والمساواة لجيل من الثوار أو المصلحين التشريعيين، وبذلك بدأت

([1]) سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق ، ص ص ١٩٥ – ١٩٦

الأفكار الرواقية تحرك القادرين من الزعماء الرومان للتفكير في التغيير الشامل من أجل تحقيق مستقبل أفضل([1]).

كلمة أخيرة كانت الأسباب السالفة الذكر من أسباب اجتماعية وإقتصادية وسياسية باعثاً لقيام ثورة قوضت أركان نظام الحكم الجمهوري ووضعت نهاية لهذا النظام الذي سيطرت فيه الأقلية علي مقاليد الحكم في الدولة الرومانية، حيث سقطت الجمهورية ٢٧ق.م، وقيام نظام حكم جديد هو نظام الإمبراطوريه.

أولا : مقدمات الثورة :

وصفت هذه الثورة بأنها عاصفة A strom كانت قد سبقتها مقدمات مستفزة تسبب فيها بشكل رئيسي الحروب الأسبانية وتجاوزات الرومان هناك لإحكام قبضتهم علي هذهالإقاليم من الولايات الرومانية الخارجية، وكان الأهم والأخطر هو انعكاسات ذلك كله علي المجتمع الروماني داخل روما نفسها، إذا تطور الصراع الداخلي إلي درجة عدم إطاعة السلطات الرومانية الشرعية كما تؤكد الوقائع التاريخية ذلك التي ذكرها الدكتور محمود السعدنى وهى:

ففي عام ١٥٥ق.م. قام مجموعة من عامة الشعب Plebs بسجن القناصل Consules ، وكان ذلك بمساعدة نقباء العامة فأي إهانة لإدارة الحكومة عندما يقوم الشعب بفرض إرادته علي رموز الحكومة (القناصل) وكان ذلك نتيجة لفرض ضرائب جديدة علي الجميع.

قيام نقيب العامة جابينيوس (Gabinius) عام ١٣٩ق.م. بتقديم مذكرة مشروع قانون تنص على الاقتراع المفتوح بدلا من النظام القديم للانتخابات ، وذلك ضمانا لاستقلالية القرار داخل الجمعية الشعبية Comitio Plebistica.

نقيب العامة في عام ١٣٧ ق.م كاسيوس لونونجينوس Cassius Longinus نقيب العامة لعام ١٣٧ ق.م تقدم باقتراح ينص على استغلال قانون جابينيوس واستطاع بالفعل الاستفادة منه عن طريق سريان مفعولة علي الجمعيات الشعبية التشريعية ، وهذا يعني سرعة اتخاذ القرارات الشعبية دون تدخل مجلس السناتو ممثل الأرستقراطية الرومانية([2]).

([1]) سيد أحمد علي الناصري، ص ١٩٦ – ٢٠٣.

([2]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ص ٩٨ – ٩٩

ويمكننا أن نقسم الثورة إلي ثلاث مراجل رئيسية طبقا لنوعية الأحداث التي جرت علي كل مرحلة من هذه المراحل الثلاثة ، أولها مرحلة الإصلاحيين الاجتماعية، والمرحلة الثانية مرحلة الحروب مرحلة الحروب الأهلية ، والمرحلة الثالثة هي مرحلة التكتلات العسكرية.

المرحلة الأولى: مرحلة الإصلاحيين الاجتماعيين :

كان استقرار الأحوال النابع من الدستور المختلط في رأي بوليبوس Polybius هو المأثرة الكبرى للجمهورية الرومانية ، ولا شك في أن الفترة الطويلة التي تولى خلالها مجلس الشيوخ Senatus السيادة عقب الحرب البونية الثانية كانت تتميز بهدوء لم يسبق له مثيل في شئون السياسية الداخلية وكان هذا الهدوءمثل الهدوء الذى يسبق العاصفة – التي دامت قرنا من الزمن – ولم تنتهي إلا بعد زوال النظام الجمهوري نفسه([1]). فبعد انتهاء الحرب البونيه سيطرالسناتو والأرستقراطية علي مقدرات الشعب الروماني ، فجاء الانفجار الاجتماعي في بداية الأمر من العبيد([2]) الذين قاموا بثورات متتالية ، حيث كانت أول ثورة للعبيد قد قامت في لاتيوم Latuim وقام بها مجموعة من العبيد الرعاة واستطاع قناصل ١٤٣ إلي ١٤١ ق.م باستخدام القوات العسكرية ان يقمعوا هذه الثورة ، وكذلك الثورة العنيفة للعبيد التى قامت في عام ١٣٦ ق.م. واستمرت خمس سنوات إلي أن استطاعت القوات الرومانية الإجهاز عليها في عام ١٣٣ق.م وفي نهاية القرن الثاني ق.م. كانت توجد في روما ثلاثة أحزاب سياسية هى: حزب المحافظين المعتدلين Conserative liberal وتكون هذا الحزب من أمثال "سكيبيو ايميليانوس" Scipio Ameilianus قاهر قرطاجة الذي كان يقوم بإعداد إصلاحات معتدلة إرضاء طموح قواته العسكرية، والحزب الثاني وهو حزب الإصلاحيينReformers من أمثال زعيم السناتو أبيوس كلاوديوس بولكر Appius Cloudius Pulcher وتيبريوس جراكوس Tiberius Gracchus الذي كان متأثراً بالفلسفة الرواقية، والحزب الثالث كان يتكون من Conservatives المحافظين من أمثال سكيبيو ناسيكا pontifex maximus (Scipio Nasica) الذين وضعوا حماية وأمن الدولة في المقام الأول وكانوا مستعدين أن يدافعوا عن الشرعية بكل الوسائل والتكاليف، حتى ولو استخدمت القوات العسكرية، وفي هذا الوقت كانت مشكلة الأراضي قد أحدثت جدالاً عظيمًا في روما وإيطاليا بين الذين كانوا يريدون أن يحموا مصالحهم وبين الذي طالبوا بالعدالة فى توزيع الأراضي وأول مصادرنا عن مشكلة الأراضى جاء عند ابيان فى مؤلفه إيطاليا لصالح كبار ملاك

([1]) دونالد دولي، المرجع السابق، ص ١٠٥ .

([2]) محمود إبراهيم السعديني، المرجع السابق، ص ٩٩.

الأراضي الزراعية، فانهيار ضغار المزارعين الأحرار الذين كانوا يمثلون العمود الفقري في تكوين الجيش الروماني حيث كان يقوم الجندي بتزويد نفسه بما يلزمه من سلاح ومعدات علي حساب نفقته الخاصة، وكانت الخدمة العسكرية عبئا ثقيلا أثقل كاهل المزارعين وكان علي الجندي أن يخدم في عشرين حملة قبيل أن يعتزل الخدمة في القوات العسكرية([1]).

وفي هذا الوقت ظهر تيبريوس بيرونوس جراكوس الذي كان ينتمي إلي النبلاء Nobilis حيث تولى جده لأبية القنصلية في عام ٢١٥ق.م. وكان جده لأمه سيكيبو أفريكاتوس قاهر هانيبال، ووالدة كان تيريوس سيكيبو أفريكاتوس الذي تولى القنصلية مرتين، وكانت أمة كورنيليا Cornelia سيكيبو افريكاتوس وهي سيدة فاضلة عرفت بثقافتها وبلاغتها([2])، وكان لهذه السيدة عظيم الأثر علي طفليها جتريوس، وجابوس جراكوس، وأختها سميرونيا وهما الثلاثة أطفال الذين بقواعد الحياة بعد وفاة أطفالها الإثنى عشر فبعد وفاة الأب تحملت كورنيليا مسئولية رعاية وتربية الأبناء حيث رفضت عرض الزواج الذي تقدم به إليها من مصر بطليموس الثامن، وكانت كورنيليا من أعظم نساء العصر الجمهوري حيث غرست في أبنائها أرفع الصفات الرومانية والثقافية الإغريقية، فأحضرت لهم المدربين لدراسة الخطابة والفلسفة، فدرس تيبريوس الفلسفة علي يد الفيلسوف بلوسيوس Bassies ودرس الخطابة علي يد ديوفانيس Diphanes . وعندما بلغ العاشرة أنضم إلي جماعة العرافين ومن صغره ظهرت عليه علامات الذكاء حيث أن زعيم السناتو أبيوس كلاوديس بولكر Appiu claidius pulcher قبل أن يزوجه أبنته كلاوديا Claudia وعندما بلغ السابعة عشر خدم تحت قيادة سكيبو ايميليانوس زوج أخته سمبرونيا في أسبانيا، وكان أول منصب تولاه تيريوس هو الكوايسورية عام ١٣٧ ق.م([3]).

لذلك تولى تيريوس جراكوس نفسه التربوية العامة لعام ١٣٣ ق.م. عندما رأى كثيرة من المسائل تحيط بالدولة مثل هبوط الروح المعنوية في الجيش وتبرم الفقراء وطبقتهم والخطر الناجم عن العبيد الأجانب، ومساوئ إنشاء الإقطاعيات الكبيرة علي حساب صغار المزارعين الأحرار، وكان الحل في ذلك عند تيريوس هو إعادة توزيع الأراضي وبعث قوة الفلاحيين من جديد، ولكن لم يكن تنفيذ برنامج الإصلاح الزراعي الأعلى أساس من التأييد الشعبي، ولذلك رشح نفسه لمنصب تريونية العامة لنفسه وأنتخب تربيونا لعام ١٣٣ ق.م. ولم يكن الشعب الروماني قد رأي زعيما مثله

([1]) Glay. M., A history of Roma, 2end, Blacwell, oxford, 2001, p,103

([2]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٠٧-٢٠٨.

([3]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ١٩.

قرنا بأكمله، بل حتى من الشذرات التي وصلتنا من خطب تيبريوس يتضح لنا أن هذا الرجل كان من أعظم الرجال الذين يقاتلون ويلقون حتفهم من أجل إيطاليا، لذلك تقدم تيريوس جواكوس إلي الجمعية بمشروع قانون للإصلاح الزراعي، ولكننا سنؤجل الحديث عن مشروع هذا القانون حتى نتعرف أولا علي الدوافع التي دفعت تيريوس إلي الإصلاح، وترجع هذه الدوافع إلي الأحداث التي تعرف لها تيريوس قبل ان يتولى تربونية العامة، ففي أثناء ذهابه من روما إلي أسبانيا مارا بإقليم اتروريا Etruria شاهد تيريوس الأرض التي طرد منها مزارعوها الفلاحين تمهيدا لتكون الإقطاعيات الكبرى المكتظة بالعبيد الذين كانوا يعاملون بقسوة ووحشية، وكذلك تورطة في أسبانيا في كارثة حربية حينما اضطر جيش روماني يعوزه التنظيم الحربي إلي التسليم تحت إمرة القائد مانكينوس Mancinus الذي كان يفتقد إلي الحبكة العسكرية، فأضطر تيريوس إلي التوسط بين الأسبان والرومان وعقد معاهدة، ولكن مجلس الشيوخ رفض هذه المعاهدة ولم يقرها، وعندما عاد من حصار نومانتيا بأسبانيا إلي روما وجد فقراء المدينة يتأججون غيظا وضيقا ولكن دون أدنى شك أنه بالإضافة إلي العوامل السابقة التي أثرت في تيريوس جراكوس دفعته إلي الإصلاح، هناك عاملان أساسيان وراء ظهور مشروعه الأخلاقي وهي: فلسفته الرواقية (stoic)، وتربيته الرواقية([1]).

مشروع تيبريوس الإصلاحي:

كان تيبريوس يحظى في مجلس الشيوخ بتأييد مجموعة من الأعضاء مثل أبيوس كلاديوس وكراسوس وموكيناي ومشروع القانون الذي تقدم به تيريوس إلي الجمعية العامة Assebly لم يعد أكثر من كونه إعادة إحياء لقانون سابق وهو قانون ليكنيوس سيكينوس Lex licinia sextia الصادر في عام ٣٦٧ ق.م. وكانت بنود مشروع تيريوس الإصلاحي الآتي: الحد الأقصى المسموح به للحيازة من الأرض العامة (٥٠٠) يوجيرا للفرد مع السماح لكل ابن من ابنائه الثلاثة بحيازة نصف هذه المساحة، أن تقوم الدولة بتوزيع الأراضي الزائدة على فقراء الرومان دون غيرهم (الحلفاء) بشرط إلا يبيعوها. أن تنتخب لجنة ثلاثية Tresvire agris wdicandis adsignandis لتحديد الأراضي الواجب استردادها وتتولى توزيعها علي المستحقين([2]).

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني ص ١٩-٢٠.

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢١-٢٣.

جبهة المعارضة :

وجاءت معارضة المشروع علي يد أعضاء السناتو الذي كانوا يعارضون أي تغيير في الأوضاع القائمة ومن كبار ملاك الأراضي الذين كانوا متمسكين بأرض الحيازة لانهم توارثوها عن أجدادهم وهدد هذا المشروع مصالح الكثير من حلفاء روما اللاتينيين والإيطاليين خاصة ما أنطوى عليه البند الثاني، وفي هذا الوقت تكونت اللجنة الثلاثية من تيبريوس ومن أبيوس كلادويس ومن جايوس جراكوس وبدأت في عملها، واستطاع السناتو في ذلك الوقت أن يقنعوا أوكتافيوس التريبون زميل تيريوس جراكوس باستخدام حق الفيتو للاعتراض علي مشروع القانون، علي أن تيريوس كان لدية مستشاريه اليونانيين الذين كانوا يساعدونه في الخروج من مأزق يقع فيه فقام تيريوس بتطبيق النظرية الديموقراطية اليونانية القائلة بأن إرادة الشعب في صاحبة السيادة، وبذلك خلع تيريوس أوكتافيوس وأصدر القانون وبدأت لجنة الإصلاح الزراعي تمارس عملها([1]).

وعندما فشل السناتو في التصدي إصدار قانوني الأراضي، فإنه رفض تخصيص الاعتمادات المالية اللازمة لاستمرار أداء عمل لجنة الإصلاح الزراعي، وخاصة بعد وجية أتاللوس الثالث Attalus III ملك برجاموم Pergamum بميلته إلي الشعب الروماني، لذلك اتجه تيريوس إلي الجبهة القبلية وتقدم بمشروع قانون لتخصيص جزء من أرث أتاللوس لمقاومة من مقابل وعد الجمعية القبلية بتقديم مشروع بتوليها تنظيم وإدارة برجاموم، وإزاء هذا التهديد وافق السناتو علي تخصيص الاعتمادات المالية اللازمة للقانون([2]).

ومع قرب انتهاء تربونية عام ١٣٣ ق.م. عزم تيريوس علي إعادة ترشيح نفسه لتربونية عام ١٣٢ق.م. وذلك كي يقوم باستكمال تنفيذ قانون الأراضي وكي يحمي نفسه من المحاكمة لذلك قررت الإدارة الأوليجاركية القضاء علي تيريوس فطالبت من القنصل سكايفولا إعدام تيبريوس لكنه رفض ذلك، فقام فريق من رجال السناتو المتطرفين يتزعمهم ناسيكا Nasica ومعهم أتباعهم وعبيدهم servi إلي الفورم الروماني ودارت معركة حامية الوطيس قتل فيها تيبريوس وثلاثمائة من اتباعهم([3]).

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢٧-٢٩.

([2]) المرجع نفسه، ص ٣٢.

([3]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢١٧.

تربونية جايوس جراكوس:

كان جايوس أصغر من أخية تيبريوس بتسع سنوات، وكان عضواً في اللجنة الثلاثية، وبدأ جايوس يتنقدم بخطى مرسومة ودقيقة علي الرغم إنه كان يعرف أن هذا السلوك سيعرضه للهلاك، فرشح نفسه للتربونية العامة لعام ١٢٣ق.م. وكان جايوس متحيزاً إلي الشعبيين منذ صغره حيث أيد أقتراح "جاربو" نقيب العامة بإعادة انتخاب ترانية العامة، وكذلك كان معارضاً لقانون "نيوس" بطرد الحلفاء من روما، وأقدم جايوس علي ترشيح نفسه لتربونية عام ١٢٣ بالرغم من معارضة أمه له.

ظهور الحزب الديموقراطي :

كي يبدأ جايوس بتنفيذ قانون الإصلاح الزراعي عمل علي تكوين جبهة من الناقمين علي النبلاء وضمت هذه اللجنة صغار المزارعين الأحرار، ودهماء المدينة، ورجال طبقة الفرسان والحلفاء الذين كانوا يتطلعون إلي الحصول علي حقوق المواطنة الرومانية واجتمعت كل هذه الطبقات علي هدف واحد وهو القضاء علي سيادة مجلس الشيوخ الفترة من ١٢٣ –١٢٢ ق.م. بصدور تشريعات قوية لم تكن تسهدها روما حتى دكتاتورية يوليوس قيصر، وتصدى النبلاء لمقاومة جايوس جراكوس عن طريق الإيعاز إلي زميل آخر في استهواء الجماهير وهو التربيون "ليفيوس دروسوس" الذي قام بإصدار مجموعة من القوانين لصالح العامة مثل قانون إنشاء أثنى عشر مستوطنة في إيطاليا، وقانون للحلفاء يحرم إساءة معاملة الجنود الإيطاليين، وكان للقوانين التي أصدرها دروسوس أثر سلبي علي شعبية جايوس([1]).

برنامج جايوس جراكوس :

حيث يعد تكوين جايوس للجبهة التي يمكن أن ستند إليها في صراعة مع النبلاء قام باصدار مجموعة من مشروعات القوانين التي كانت تهدف إلي الحد من سلطة السانو وتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الدولة، ومعالجة إنهيار الطبقة الوسطى، وإيجاد حل لمسألة الحلفاء.

وكانت مجموعة القوانين التي صدرت استفادت منها طبقة العامة مثل قانون القمح Lex Frumentaria الذي قضي بأن تشترى الحكومة القمح بكميات كبيرة وتودعها في ميناء اوستيا وبتعيين ٣/١ ٦ آس للمواطنين الرومان، وكان من شأن هذا القانون تخفيف الأعباء عن الفقراء،

([1]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٣٠–٢٣١.

وكذلك استفادت طبقة الفرسان من تشريعات جايوس حيث أصدر قانونا يقض باختيار محلفين محكمة الابتزاز واسترداد الأموال من أفراد طبقة الفرسان، وأصبحت طبقة الفرسان، وقد أدى هذا القانون إلي اشتغال الصراع بين طبقة السناتو وبين الفرسان، وأصبحت طبقة الفرسان منذ عهد جايوس جراكوس قوة سياسية اجتماعية كبيرة في الدولة([1]).

أما مسألة الحلفاء الإيطاليين فقد عرض اقتراحات نتيجة لتوسيع نطاق الامتيازات التي كانت ستمنح حقوق المواطن الرومانيين لجميع اللاتينيين وتمنح حقوق المواطنة اللاتينية لجميع سكان إيطاليا حتى جبال الألب ، لكن هذا المشروع كان قد قوبل من جميع طوائف المتجمع الروماني بالمعارضة واستغل السناتو وليفيوس دروسوس مشروع جايوس الخاص بالحلفاء في إثارة العامة ونجح دروسوس في تحريض الجمعية القبلية علي رفض المشروع، وعندما أراد جايوس أن يعيد انتخاب نفسه تريبوناً للعامة للمرة الثالثة فشل في الترشح لانتخاب التريونية، وبذلك سقطت الحصانة عنه، وشعر أنه مجرد رجلاً عاديًا، وكون حراسة لحماية نفسه من رجال السناتو، وحدث في ذلك الوقت أن حراسة قاموا بقتل أحد أتباع القنصل لوكيوس أوبيمويس Lucius Opimius فاستصدر هذا القنصل قرار السناتو النهائي senatus consultum ultimum بمثول جايوس جراكوس و فوليفوس فلاكوس Fulivus Flaccus زعماء الحزب الجراكي أمام السناتو للمحكمة، ولكنهم هربوا وتحصنوا في تل الافنيتن Aventine وهاجم القنصل أوبيموس تل الافنيتن وحملت رأسي فلاكوس وجايوس إلي القنصل([2]).

نشاط اللجنة الثلاثية في الفترة من ١٣٣-١٢٠ ق.م. :

حيث ظلت لجنة الإصلاح الزراعي تباشر عملها أربعة عشر عاما إبتداء من ١٣٣-١٢٠ق.م. وقد جردها "سيكيبو إيمليانوس" في عام ١٢٩ق.م. من سلطاتها القضائية بناًء علي طلب الحلفاء الإيطاليين، وتولى عضوية اللجنة ثمانية أسماء فقط طوال هذه الفترة واستطاعت اللجنة أن تعمل بنشاط فعال، ولقد قدر تيني فرانك Tenny Franl أن خمسين ألفًا شخص علي الأقل قد حصلوا علي ما لا يقل عن ٦.٠٠٠.٠٠٠ يوجيرا من الأرض التي أعيد توزيعها، أي

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ١٠٧.

([2]) هـ.ج ويلز، المرجع السابق، ص ٥٨٠.

حوالي سبعة في المائة من مساحة الأرض العامة ager publicus بذلك تكون اللجنة قد وجهت صفعة قوية إلى أصحاب الإقطاعيات الكبيرة([1]).

واستطاع الرومان في سنة ١٢١ق.م فتح بلاد الغال البعيدة (فرنسا) إلى أملاكهم، واتبعوا سياسة الوقوف مع بعض القبائل ضد القبائل الأخرى، لكن هذه السياسة فشلت، وعندما قامت إحدى هذه القبائل بطلب النجدة من يوليوس قيصر، هب على رأس جيش روماني وأنتصر على الهلفيتي لكنه نصر غير نهائي، وأستطاع أن ينتصر على الجرمان سنة ٥٨ق.م ويهزمهم هزيمة ساحقة، وأستطاع ضم أراضي البجيك إلى أملاك الشعب الروماني في سنة ٥٧ق.م، وقام بغزو ألمانيا وبريطانيا سنة ٥٥ق.م(٢).

المبحث الثاني عشر: نهاية النظام الجمهوري وقيام الإمبراطورية الرومانية

بوفاة جايوس جراكوس إنتهت مرحلة الإصلاحيين الاجتماعيين، الذين حاولوا الإصلاح عن طريق إصدار القوانين والتشريعات، وتبدأ مرحلة جديدة فيها حمل لواء الثورة القادة العسكريين، وقد أتسمت هذه المرحلة بالعنف والحروب الأهلية، وكذلك شهدت هذه المرحلة انفجار مشكلة الحلفاء الذي قاموا بثورة ضد الدولة الرومانية التي عانت من ويلاتها إيطاليا بأكملها لمدة ثلاث سنوات، فكما جاء عند "دونالد دولي" أصبحت الانقسامات التي نشبت داخل الدولة عميقة ولا يمكن معالجتها، وكان الصراع الحزبي لا ينقطع كما أن الحرب الأهلية أدت إلي إدخال أساليب جديدة علي السياسية الحزبية، وفضلاً عن ذلك أدت إلي تركيز سلطات غير عادية في أيدي أبطال الحرب، ويقصد بذلك قنصليات "ماريوس" ودكتاتوريات "سوللا" و"قيصر"([3]).

الحرب ضد يوجورتا:

وفي هذا الوقت خاضت روما قتالاً عنيفاً في شمال أفريقيا ضد يوجورتا الذي كان يهدد سلامة الدولة الرومانية، حيث بدأ هذا القتال عام ١١١ق.م. وانتهى ١٠٥ق.م.، لكن دون أدنى شك كان للظروف الخارجية تأثير كبير علي الوضع الداخلي في روما وما بها من صراع حزبي، فقد أفرزت هذه الحرب مجموعة من القادة العسكريين الذين دخلوا في صراعات مع بعضهم البعض

([1]) دونالد دولي، المرجع السابق ، ص ١٠٩.

([2]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.

([3]) دونالد دولي، المرجع السابق، ص ١١٣.

بعد أن انحاز بعضهم إلي حزب ضد حزب آخر ومن أبرز هؤلاء القادة العسكريين "جايوس ماريوس" و"سوللا"([1]).

تأثير حرب يوجورتا علي الصراع الحزبي :

حيث أظهرت مذبحة "قيرتا" مدى تقاعس السناتو عن إتخاذ اللازم نحو إتهام قادة السناتو العسكريين بالرشوة والعجز في إنهاء الحرب ضد "يوجورتا"، وفي ذلك الوقت انضم الفرسان إلي العامة في مناهضة النبلاء، حيث استطاع الفرسان تعضيد "ماريوس"، وبذلك استطاع ماريوس الفوز بقنصلية سنة ١٠٧ق.م. وإسناد القيادة ضد "يوجورتا" إليه، وكان في ذلك تحدى سافر للسناتو والنبلاء حيث أن السناتو أسند القيادة من قبل إلي "ميتيللوس" وبذلك أصبح الشعب هو المنبع الحقيقي لإصدار السلطات، وظل الرومان فترة كبيرة بعد إنتهاء الحرب يعزو كل حزب من الأحزاب الفضل في القضاء علي "يوجورتا" إلي حزبه، حيث كان "سوللا" وأصدقاءه يروجون في غضون ذلك لقصة فحواها أن "ماريوس" نسب إلي نفسه دون وجه حق فضل إنهاء الحرب في أفريقيا زاعمين أن قائدهم العجوز ميتيللوس Metellus هو الذي قام بمعظم القتال وأن "سوللا" هو الذي أتمه، وكان بهذه القصة نصيب من الصدق ولكنه ضئيل([2]).

فالنبلاء كانوا يرجعون الفضل في الانتصار علي يوجورتا إلي "ميتيللوس" و"سوللا"، أما العامة فيرجعون الفضل إلي "ماريوس"، ولكن إحقاقاً للحق أن الفضل يعود إلي القادة الثلاثة فالقائد "ميتلليوس" عمل عملية تمهيدية للنصر و"ماريوس" بانتصاراته العسكرية أرعب "يوجورتا" ولولا هذه الانتصارات ما كان "بوكوس" يقوم بخيانه "يوجورتا"، ولولا ذكاء ودهاء "سوللا" ما كانت الحرب تنتهي ضد "يوجورتا"([3]).

([1]) عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ الروماني "عصر الثورة من تيبرويوس جراكوس إلي أوكتافيوس أغسطس ، بدون طبعة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٤٥.

([2]) ركس وارنر ، قيصر الصغير ، ترجمة رشدي السيسي ومحمد صقر خفاجة ، الألف كتاب ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ٣٦ .

([3]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، ص ١٩٠.

ماريوس:

وظهر "ماريوس" في ذلك الوقت كزعيم للشعبيين وهو من "أربينوم" Arpinum من أسرة متوسطة الحال([1])، ولم يذهب للتعليم، وأنضم إلي الجيش وترقى فيه بداية من جندي حتى وصل إلي منصب قيادة جيش روماني، وأرتبط عن طريق المصاهرة بإحدى الأسر الأرستقراطية وهي أسرة ميتللتوس metelli حيث ساعدته هذه الأسرة كثيراً حتى وصل إلي منصب نقيب الفرقة Tribunus militaris ثم ترك "ماريوس" الجيش وسلك سلك الوظائف العامة وتولى الكوايستورية ١٢١ ق.م. حيث تقدم ماريوس بمشروع قانون يهدف إلي منع التأثير علي المواطنين عند الإدلاء بأصواتهم، وقد قابل السناتو والنبلاء هذا المشروع بالرفض وزيادة علي ذلك قام القنصل "لوكيوس كوتا" Cotta و"ميتيللوس" في قنصلية ١١٩ ق.م. بإقناع السناتو بإستدعاء "ماريوس" للمثول أمام مجلس السناتو، واحتدم النقاس في السناتو وإنحاز "ميتيللوس" لزميله القنصل وللنبلاء، فما كان من "ماريوس" إلا أن قبض علي القنصلين واستصدر قانونه Lex Maria Tabdlaria ، وبذلك فقد ماريوس طبقة النبلاء وأصبح في عداء واضح معهم، وكسب تهليل وود طبقة العامة، وبعد أن خسر ماريوس تأييد أسرة "ميتيللوس" الأرستقراطية تزوج من "يوليا" julia أبنه "سكستوس قيصر" قنصل ٩١ ق.م([2]). وفي عام ١١٠ ق.م أرسل الرومان حملة ضد يوجورتا في أفريقيا تحت قيادة القنصل كالبورينوس بيستا L. Capurninus Bestia واستطاع في ذلك الوقت يوجورتا إذلال الجيش الروماني وهزيمته في ١٠٩ ق.م ولعبت الرشوة دوراً كبيراً في هذه الهزيمة، مما حدا بنقيب العامة مانيليوس ليميتانوس (manilius limetanus) إلي أقتراح محاكمه المرتشين والمتواطئين مع يوجورتا فوافقت الجمعية القبلية على الأقتراح، وأدانت أربعة من ذوي المرتبة القنصلية في الرشوة وحكم عليهم بالنفي خارج البلاد، وعندما أسندت القيادة إلي ميتيللوس (O Caecillius metellus) وهو قائد من الأشراف، كان يعمل تحت قيادة ماريوس كقائد مساعد Legatus ولكن ماريوس كان يدرك مدى ضعف الأشراف والهزائم التي تعرضوا لها، لذلك قرر ترشيح نفسه لقنصلية عان ١٠٧ق.م. وأن يضع حداً للحرب ضد يوجورتا تلك الحرب التي لم تكن لها نهاية،

([1]) سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الرومان (من القرية إلي الأمبراطورية)، دار النهضة العربية ، (بدون طبعة) ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص٢٤١.

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان ، الجزء الثاني، ص ١٦٠-١٦١.

وكان ذلك بفضل جيش المتطوعين الجديد الذي تم إعداده بين فقراء روما والذي قام ماريوس بنفسه بتدريبه علي الأساليب الحربية الجديدة([1]).

إصلاحات ماريوس العسكرية :

أعاد ماريوس تنظيم الجيش وغير طريقة تسليحه وتدريبه وأسلوب قتاله ونظامه حيث فتح باب التجنيد علي مصرعية للمواطنين الفقراء Proletarii من كافة أنحاء الإمبراطورية، هؤلاء المواطنين كانوا في الماضي خارج الخدمة العسكرية بسبب عدم إستيفائهم للنصاب اللازم Capite censi للخدمة العسكرية، ولكن كما سوف نرى لاحقاً أن هذا الإجراء جعل من الخدمة العسكرية حرفة للكثير من المواطنين، وفضل الكثير من الفقراء العاطلين قضاء أكبر فترة في الجيش، وأصبح ولاء الجندي ليس للدولة ولكن لقائده الذي يعطيه النمح والهبات، وبفضل هذه الإصلاحات العسكرية استطاع "ماريوس" أن ينتصر علي "التيوتون" teutoni = teutones في "نبع سكستياي" aquae sextiae في عام ١٠٢ق.م. وكذلك تحقيق الانتصارات ضد "الكمبري" Cimbri بمساعدة زميله "لوكاتيوس كاتولوس" Lotatuis Catulus في عام ١٠١ق.م. عند الطرف الشمالي الشرقي لإيطاليا([2]).

سطوع نجم الديموقراطيين:

أساءت الحروب مع يوجورتا إلى سمعة حزب الأرستقراطيين optimates وقللت من مكانته، خاصة بعد الهزائم التي متى بها قواد هذا الحزب أثناء غزوات الكمبري والتيوتون، أما علي الجانب الأخر فإن الحزب الشعبي الديموقراطي سطع نجمه بقيادة "ماريوس" والزعماء الشعبيين المتطرفين أمثال "جلاوكيا"، و"ساتورنيوس"، فقد استطاع في هذه الفترة نقيب العامة "جلاوكيا" في عام ١٠٤ ق.م. استصدار قانون يلغي قانوناً كان قد نص علي جعل المحلفين في محاكم الابتزاز من أعضاء السناتو بدلاً من الفرسان، وأستمر جلاوكيا وساتورنيوس في استصدار القوانين التي حطت من منزلة الحزب الأرستقراطي وأعضاء السناتو، واستطاع ماريوس أن يتولى منصب القنصل أربع مرات متتالية منذ ١٠٧-١٠٤ق.م. وما كانت هذه القنصليات الأربع لماريوس إلا

([1]) عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص ص ٤٨ – ٤٩ .، إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ١٧٣-١٨٥.

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢٠٠-٢٠٥: سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٤٥-٢٤٩.

ديكتاتوريات عسكرية، وكان الخطر الصادر عن الكمبري والتيوتون هو المبرر لتولي ماريوس القنصلية أربع مرات، ولكن بعد زوال الخطر لم يكن ماريوس علي إستعداد للتخلي عن هذا المنصب، فقد كان طموحه الشخصي متطرفاً كما كان يؤمن بنبؤة قالت أنه سيتولى منصب القنصل سبع مرات، ولكن قدراته السياسية كانت ضئيلة، حيث تحالف مع جلاوكيا Glaucia وساتورنينوس saturninus الديموقراطيين المتطرفين ليتولى القنصلية للمرة السادسة في عام ١٠٠ق.م، وبالفعل استطاع ماريوس تولى القنصلية سبع مرات، المرة السابعة كانت سنة ٨٦ق.م، وهذا الأمر لم يكن له مثيل من قبل ولا بعد، توفي ١٣ يناير ٨٦ق.م، وهو اول سياسي وقائد روما يعتمد اعتماد كلي على دعم قدامى جنوده المحاربين للوصول إلى السلطة([1]).

اشتعال الصراع بين النبلاء والفرسان:

عندما كان يحكم "سكايفولا" ولاية آسيا في عام ٩٤ق.م. كان "بوبليوس روتيليوس روفوس" مساعداً له Legatus وكان "روفوس" رجلاً جديداً من النبلاء ويتسم بالاستقامة والنزاهة، ولذلك عمل علي حماية أهالي الولاية من جشع جباة الضرائب والمصرفيين والتجار، مما كان يؤثر علي أرباح الفرسان، الذين قاموا بإتهامه بابتزاز أهالى الولاية، وصدر عليه الحكم بغرامة لا تكفي ثروته الخاصة لسدادها، وعلي الرغم مما عرضه عليه أصدقاءه من هدايا وقروض لدفع العجز فقد رفض عروضهم، وفضل أن يعيش بقية حياته في المنفى وأختار لإقامته في ولاية آسيا، وقد هدف رجال طبقة الفرسان من محاكمة روفوس استعراض قوتهم وتلقين النبلاء درسًا لاينسوه بان لا أحد يستطيع اعتراض قوة الفرسان، الذين أصبح لهم كيان ووجود سياسي علي المسرح في روما منذ عهد جايوس جراكوس الذي عهد إليهم بالعمل كمحلفين في محكمة الابتزاز والسترداد الأموال([2]).

دروسوس الصغير وتزعمه للأرستقراطيين:

ولد "دروسوس" ١٢٤ق.م، هو "ماركوس ليفيوس دروسوس الصغير" Marcus livius drusus وهو ابن التربيون "دروسوس" المعاصر لـ "جابوس جراكوس" الذي تولى التربونية ١٢٢ق.م، عندما تولى دروسوس الصغير التربونية سنة ٩٢ق.م، كانت أهدافه الإصلاحية تدول حول هدفين هما إعادة هيبة السناتو وسلطاته والدعوة إلي منح المواطنة الرومانية لجميع الإيطاليين، لذلك اقترح "دروسوس" مشروع قانون بزيادة عدد أعضاء مجلس السناتو ٣٠٠ عضوًا،

([1]) https://www.britannica.com/biography/Gaius-Marius

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢٤٣-٢٤٤.

ليصبح عدد المجلس ٦٠٠عضوًا، وأن تكون عضوية محكمة أسترداد الأموال المبتزة من أعضاء السناتو والفرسان، واعتبار الرشوة أو الفساد جريمة يعاقب عليها القانون، بالإضافة إلي مشروع قانون يقضي بمنح حقوق المواطنة الرومانية للإيطاليين، ولكن قوبل مشروع "دروسوس" الخاص بالحلفاء بمعارضة شديدة من كافة طبقات المجتمع الروماني سواء من النبلاء أو من الفرسان أو العامة، وقام القنصل "ماركوس فيليبوس" بإلغاء كل القرارات التي سنها "دروسوس"، وتعرض "دروسوس" لمؤامرة حيث هاجمة رجل وطعنه ليلاً عند باب منزله في سنة ٩١ق.م، وهكذا مات أخر مصلحي روما العظام ومفكريها المثقفين الذي حاولوا الإصلاح عن طريق سن القوانين والتشريعات، وكانت النتيجة المباشرة لإغتيالة قيام الحروب الأهلية ٩١-٨٨ق.م أو ما يعرف بثورة الحلفاء الإيطاليين([1]).

حرب الحلفاء الإيطاليين ٩١ – ٨٨ ق.م. :

يقول دولي " أن أنانية الرومانيين حققت ما عجز هانبيال عن تحقيقه، فقد أنحل الإتحاد الروماني وأنفصل الحلفاء من الإتحاد وتبع ذلك نشوب حرب أهلية دامية، وسميت هذه الحرب بـ "حرب الحلفاء الإيطاليين" حيث إنه لم يشترك فيها من الحلفاء اللاتينيين إلا مستعمرة لاتينية واحدة وهي مستعمرة فيوسيا (Venusia)، وكان من أهم أسباب قيام هذه الحرب فشل "دروسوس" في استصدار قانون يمنح حقوق المواطنة الرومانية للحلفاء الإيطاليين، فكان موته بمثابة القطرة التي أفاض منها الإناء، فكما قال عن هذه الثورة "فيليوس باتيركولوس" (vellius paterculus 2.15) ان إيطاليا كلها شهدت ثورة ضد نفسها "The whole of Itlay rise up against it"، أو كما سماها "ديودورس الصقلي" diodrus siculus بأنها الحرب العظمي Great ware ، ونشبت الثورة في اسكولوم Asculum عاصمة البيكيني Picini في شتاء ٩١ / ٩٠ ق.م، وعمل الثوار علي تكوين إتحاد من ثمانية شعوب وهو المارسي Marsi والباليجني Paeligni والفستيني Vestini والماروكيني Marrucini والفرنتاني Frentani والسميني والهيربيني hirpini وكانت عاصمة هذا الإتحاد مدينة كورفينوم Corfinum، واطلقوا على هذا الإتخاد الخاص بهم اسم إيطاليا وسكت عملة للدولة الجديدة، وقد عانت روما من ويلات هذه الحرب التي لم تنتهي إلا بإصدار مجموعة من التشريعات والقوانين التي تم بمقتضاها منح الحلفاء الإيطاليين حقوق المواطنة

([1]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٥٧. وأيضًا:

https://www.britannica.com/biography/Marcus-Livius-Drusus-Roman-tribune-died-91-BC

الرومانية لهم، بمقتضى قانون "بلاوتيوس بابيروس" Lex plautia papiria الذي منح الحلفاء الإيطاليين المواطنة الرومانية، وشملت هذه الحقوق جميع الإيطاليين الذي أنسحبوا من الثورة، ومثلوا أمام أي برايتور في روما خلال ستين يوماً، ولقد نجحت هذه الامتيازت في كسر شوكة مقاومة الإيطاليين، بينما لم تنجح القوة العسكرية في ذلك، ولم يواصل القتال إلا السامنيون، فقد كان من الصعب إرضائهم وهكذا كسبت روما المعركة بينما كسبت إيطاليا السلام وشملت حقوق المواطنة الرومانية كل أنحاء شبه الجزيرة بعد أن دفع الرومان ثمنًا باهظًا([1]).

خطر مثراداتيس السادس:

وفي أثناء اشتغال الحرب الأهلية مع الحلفاء كان يحيط بالدولة الرومانية خطراً خارجياً كبيراً وهو حضر "مثراداتيس السادس" mithridates VI ملك "بونطوس" Pontus حيث قام مثراداتيس في عام ٨٨ ق.م. بمهاجمة آسيا بجيش جرار واكتساح قوات الحاكم الروماني الضعيف وسيطر حينئذ علي الولاية، وكانت خطواته التالية هي تدبير مذبحة تعد من أكبر مذابح التي حدثت في العصور القديمة وأدقها تنفيذاً في يوم واحد، حيث قتل جميع الرومان والإيطاليين من الرجال والنساء والأطفال والعبيد المقيمين في كل أنحاء آسيا مستخدماً في ذلك جميع ألوان الوحشية وتراوح عدد القتلى بين ٨٠.٠٠٠ و ١٥٠.٠٠٠ شخص، وتم مصادرة أملاكهم لصالح الخزانة الملكية وقتل معهم أيضاً كثيراً من الأثرياء الآسيويين، وهكذا خسرت روما آسيا وأصبحت خزائن روما خاوية تقريباً بعد أن حرمت من الضرائب التي كانت تحصل عليها من آسيا، وبذلك أصبحت هناك ضرورة للقضاء علي خطر مثراداتيس.

الصراع بين الديموقراطيين والأرستقراطيين علي قيادة الحرب علي مثراداتيس

حيث وقع اختيار مجلس الشيوخ علي "لوكيوس كورنيليوس سوللا" Lucius Cornelius sulla أحد قنصلي عام ٨٨ق.م. وكان سوللا في ذلك الوقت مع جيشه في كمبانيا Capania وقد برز سوللا في أثناء خدمته في الجيش تحت قيادة ماريوس Marius أثناء حرب يوجورتا والكمبري وكان أكثر القادة الرومان توفيقاً في حرب الحلفاء، ولكن بالطبع كان ماريوس يطمع أن يتولى هو بنفسه القيادة في الشرق علي الرغم من أنه كان في ذلك الوقت غير لائق من الناحية الجسمانية، وكان مدمناً للخمور وأقرب إلي الجنون ومسنًا حيث كان في سن السبعين تقريباً،

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٢٥٦-٢٨٢.: سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٥٧-٢٦٣.

فأصدر "سولبيكيوس" تربيون العامة قراراً عن طريق الجمعية يقضي بإسناد القيادة ضد "مثراداتيس" إلى ماريوس بدلاً من سوللا، مما أغضب السناتو وسوللا لذلك فر سوللا من روما وذهب إلى كمبانيا، وقاد قواته ضد روما وأستولى علي المدينة ودخلها عنوة، وطارد الديموقراطيين وإعدم "سولبيكيوس" ونفي "ماريوس"، وبعدئذ أبحر إلى اليونان لمحاربة مثراداتيس علي رأس جيش يتكون من ٣٠.٠٠٠ جندي.

بعد موت سولبيكيوس وفرار ماريوس إلي شمال أفريقيا تجدد الصراع بين سوللا والديموقراطيين بقيادة "كنا" أحد قناصل عام ٨٧ ق.م، ووقع في ذلك الوقت اشتباك بين الأرستقراطيين بقيادة القنصل "أوكتافيوس" زميل "كنا" وانتهى هذا الاشتباك بفرار كنا وزملائه "جاربو" و"سرتوريوس" من روما، وفي هذا الوقت أتصل ماريوس بكنا وأعرب له عن إستعداده لإطاعة أوامره بصفته قنصلاً في مقابل أن يعتبر ماريوس بروقنصل، وأستطاعوا معًا دخول روما، وعندما دخل "ماريوس" روما شرع في الإنتقام من الأرستقراطيين لذلك بادروا بالفرار إلي معسكر "سوللا" في بلاد الإغريق، وتولى "ماريوس" القنصلية للمرة السابعة في عام ٨٦ ولكنه مات قبل أن يستمتع
بها([1]).

استطاع "سوللا" في سنة ٨٤ق.م إنهاء الحرب ضد مثراداتيس بعقد معاهدة "دارادنوس" Dardanus عند الهللسبونت، وهذه المعاهدة كانت معاهدة عقابية لمثراداتيس، حيث نصت على أن يتنازل "مثراداتيس" عن جميع فتوحاته وأن يدفع تعويضاً لروما مع الاحتفاظ لنفسه بمملكة "بونطوس"، وإنسحابه من بلاد الإغريق وآسيا، وأصبح "مثراداتيس" بمقتضى هذه المعاهدة تابعًا للرومان، وأستطاع سوللا أن يتفاوض مع مدن آسيا في المؤتمر العام الذي عقده في إفيسوس Ephesus للوصول إلي تسوية للموقف، وفي صيف ٨٣ق.م عاد سوللا إلى روما بعد إنقضاء فترة إقامته في أثينا([2]).

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٣١٧-٣١٨.

([2]) https://www.britannica.com/biography/Sulla

مرحلة التحالف العسكرية:

في المراحل السابقة كان يقوم بالمعارضة ضد النساتو الديمقراطيين ترابنة العامة بدايةً من تيبريوس وجايوس جراكوس ومروراً بمرحلة الحروب الأهلية فأما الآن كان يقوم بالثورة ضد السناتو القادة العسكريين الطموحين الذين تحدوا السناتو لتحقيق رغباتهم وطموحاتهم، فظهر في هذه الفترة مجموعة من القادة العسكريين العظام الذين كان لطموحاتهم أثر كبير في الحياة السياسية لروما، وفي هذه المرحلة لم يستطيع السناتو ولا أي من الأحزاب ولا الجمعية القبلية أن تتصدى لهؤلاء القادة وتميزت هذه المرحلة بأن الجيش الروماني أصبح العامل الرئيس في إدارة شئون الدولة الداخلية والخارجية، وظهر الصراع بين القادة العسكريين على القيادة الحربية ضد إعداء الدولة فكما سنرى لاحقًا مدى التنافس بين كراسوس وبومبي على قيادة الحرب ضد العبيد بقيادة " سبارتاكوس"([1]).

موقف المجتمع من تشريعات سوللا:

كان هناك في روما شعور عام بالغضب من دستور "سوللا"، حيث الكثير من الأفراد فقدوا ثرواتهم وحقوقهم السياسية، وفي هذا الوقت أخذ الشعبيين من أنصار ماريوس يطالبون بتحرير تربونية العامة من القيود التى فرضها عليها سوللا، وكان الفرسان يتطلعون إلى استعادة سيطرتهم على المحاكم بانتزاعها من قبضة أعضاء السناتو – وظهرت أولي مظاهر التذمر من دستور سوللا عندما قام ماركوس أيمليوس ليبيدوس بمهاجمة دستور سوللا في دعايته الانتخابية لمنصب القنصلية لعام ٧٨ق .م، وكسباً لود العناصر المتذمره تقدم ليبيدوس بمجموعة من مشروعات القوانين لرد الأراضي المصادرة إلى أصحابها الإيطاليين، واستدعاد المنفيين من الخارج وتقدم بمشروع لإحياء قانون القمح الذى ألغاه سوللا. وانتهي أمر ليبيدوس بقضاء بومبي عليه بأمر من السناتو([2]).

وفي ذلك الوقت كانت الدولة تعاني من ضغوط خارجية، ففي الشرق انتهز مثراداتيس "Mithridates " الفرصة ليجدد كفاحة ضد الدولة الرومانية، وفي الغرب ممكن سرتوريوس Sortorius أحد أتباع ماريوس Marius وحاكم إقليمي قدير تمكن من السيطرة على أسبانيا وحكمها لعدة سنين كولاية مستقلة، أما في أيطاليا نفسها فقد أظهرت ثورة العبيد الرهبية التي قامت

([1]) عبد اللطيف أحمد علي، عصر الثورة الاجتماعية، ص ١٠١-١٠٢.

([2]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٢٩٧-٣٠٠.

تحت إمرة "سبارتاكوس" ضعف الحكومة المركزية بوضوح، وفي البحار البعيدة كان إنتشار القراصنة الذى ينذر بالخطر ويهدد بشل الحركة التجارية في البحر المتوسط، وكان هذا الموقف يحتاج إلى رجال يتولون قيادات خارقة للعادة([1]).

خطر القراصنة:

بدأ خطر القراصنة يلوح في الأفق للرومان منذ نهايات القرن الثاني قبل الميلاد، وأول الجهود للقضاء عليهم كانت في ١٠٢ق.م، وقد تسببت الحرب ضد مثراداتيس في تعطيل القضاء على القراصنة. وفي سنة ٧٨ق.م أسندت مهمة القضاء على القراصنة إلى "بوبليوس سرفيليوس فاتيا"، الذي تمكن سنة ٧٧ ق.م من القضاء على أوكار القراصنة على شواطيء لوكيا، وبامفيليا، وإساوريا، وكيليكيا، وجبال الطوروس، لكنها كانت انتصارات مؤقته، حيث فر القراصنة إلى كريت والجزر المجاورة لها. وفي سنة ٧٥ق.م عاد سرفيليوس لروما للإحتفال بنصره، وفي غضون ذلك عاد القراصنه مرة أخرى إلى أوكارهم السابقة. ونظرًا لتهديد القراصنة لوصول إمدادات القمح إلى روما، وبالتالى إرتفاع سعره، وإحتمالية وقوع روما في مجاعة، أسند السناتو مهمة القضاء على القراصنة إلى بومبي سنة ٦٧ق.م. الذي تمكن من القضاء عليهم خلال ثلاث شهور، وذلك من خلال تقسيمه للبحر المتوسط ولأسود إلى ثلاث عشرة منطقة ووضع على كلاً منها أحد قادته الذين قاموا بمهاجمة أوكار القراصنة في منطقتهم. وأستطاع بومبي أن ينزل بأسطول القراصنة هزيمة منكره في معركة فاصلة بالقرب من قلعة "كوراكسيوم" في كيليكيا. ويرجع انتصار بومبي على القراصنة إلى حسن إدارته للحرب ومعاملته الحسنة لأسرى الحرب مما جعل الكثيرين يستسلمون ويرشدون عن مخابيء القراصنة الأخرين، وقام بومبي بتوطينهم في المدن المقفرة من السكان مثل مدن كيليكيا المنبسطة، كما إنه قام بإنشاء عدداً من المستعمرات لهم([2]).

تمرد سرتوريوس: ٨٢- ٧٢ق.م

ولد في "نورسيا" عام ١٢٣ق.م، سابيني الأصل، أحد رجال ماريوس، أسند إليه حكم أسبانيا الدانية، قام بكسب ولاء الأسبان والرومان المقيمين في أسبانيا، وكون جيش وأسطول، قام الدكتاتور سوللا سنة ٨١ق.م بتجريده من حقوقه المدنية، أضطر إلى مغادرة أسبانيا تحت ضغط من قوات البرايتور أنيوس لوسكوس، لكنه عاد إليها مرة أخرى سنة ٨٠ق.م بمساعدة اللوستاني

([1]) المرجع نفسه، ٣٠١-٣٢٠.

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٤٣٣-٤٣٨.

لقيادتهم في تمرد ضد الرومان. أستطاع الانتصار على لوكيوس فوفيديوس حاكم أسبانيا القاصية، وبعث سوللا سنة ٨٠ ق.م زميله في القنصلية كوينتوس متلوس بيوس للقضاء على سرتوريوس، إلا إنه فشل في وقف توسع سرتوريوس. ووصل بومبي سنة ٧٦ق.م لمحاربة سرتوريوس، وفي البداية لم يستطيع بومبي إحراز تفوق على سرتوريوس، وفي هذا الوقت استطاع سرتوريوس عقد تحالف مع مثراداتيس ملك بونطوس، وخلال عامي ٧٤ و٧٣ق.م كانت كفة الحرب تتأرجح بين بومبي وسرتوريوس، وحدث تحول خطير لصالح بومبي، حيث بدأ الاسبان يهجرون سرتوريوس وينحازون إلى جانب بومبي، لإن مساعدي سرتوريوس أساءوا معاملة الأسبان، مما دفعه إلى الإنتقام من الأسبان بالقتل، وبدأ يفقد أعصابه وتركيزه، وينغمس في نزواته البهيمية، وقام مساعده "بربرنا" سنة ٧٢ق.م بقتله، وتولى القياده من بعده. واستطاع بومبي هزيمته وأسره وإعدامه، وتمكن بومبي في إنهاء الحرب في إسبانيا سنة ٧٢ق.م، بعد القضاء على أخر المعاقل الموالية لسرتوريوس، وبتوصية من بومبي أصدر السناتو قانون "جيليا كورنيليا" بمنح المواطنة الرومانية للأسبان الذين قدموا خدمات جليلة للرومان، أما الأسبان الذين قاوموه قام بترحيلهم إلى جنوب الغال([1])..

الجولة الأخيرة من الحرب ضد مثراداتيس ٧٤-٦٣ق.م

أما بومبي أستطاع أن يحقق أولي انتصاراته بالقضاء على سرتوريوس في عام ٧٢ق.م أما الحرب ضد مثراداتيس في عام ٧٤ق.م فقد عهد مجلس الشيوخ إلى القائد لوكوللوس Lucullus قنصل عام ٧٤ق.م لقيادة الحرب ضد مثراداتيس، وكان لــ لوكوللوس أعداء أكثر خطورة عليه من عزيمة الذى كان يواجهة في ميدان القتال، حيث حقد عليه بومبي وتآمر رجال الأعمال والفرسان Equites ضده لحده من أوجة ظلمهم وفسادهم في ولاية آسيا الصغرى، ولذلك أجبر لوكوللوس في النهاية على تسليم القيادة إلى جالابريو عام ٦٧ق.م والعودة إلى روما([2]).

ثورة العبيد بقيادة سبارتاكوس من ٧٣-٧١ق.م

يرجع سبب ثورة العبثيد إلى سوء الأحوال المعيشية للعبيد وسوء معاملة أسيادهم الرومان لهم في المزارع، قادهم أحد العبيد من تراقيا يدعى "سبارتاكوس"، تجمع العبيد في كابوا بالقرب من بركان فيزوفيوس، كان عددهم في البداية سبعين عبداً ثائرًا ووصل العدد في النهاية إلى سبعين

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ٤٢٥-٤٣٢.

([2]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٣١٣-٣١٦.

ألف عبد. أنضم إليهم الكثير من الأسرى من الغاليين والكلتيين والجرمانيين، حصلوا على بعض الأسلحة من القراصنة والبعض الأخر قاموا بسرقته من الجنود الرومان، أستطاعوا الانتصار على العديد من الجيوش الرومانية، ولذلك قام السناتو بتعيين "كراسوس" للقضاء على هذه الثورة وفي هذا الوقت كان بومبي في اسبانيا([1]).

يمكننا القول بان الحرب مع "سبارتاكوس" Spartacus (٧٣-٧١ ق .م) لم تكن ثورة عبيد عادية، حيث قامت بها مجموعة من العبيد المحاربين المحترفين، ولذلك عهد بالقيادة ضد هذه الثورة إلى "كراسوس" الذى استدرجهم إلى خليج في (لوكانيا) Lucania وسحقهم ثم قضي "بومبي" على البقية الباقية من هؤلاء الثوار وهو في طريق عودته من أسبانيا، وكما هو معروف عن شخصية بومبي فقد أدعي أن له الفضل الأول في كل الانتصارات وعندما قابل " لوكوللوس" بومبي ليسلم له قيادته لاقى تعليقاً لاذعاً جاء فيه " أن بومبي مثل الطائر الكاسر الذى يجد طعامه في جثث من قتلوا بأيدي الآخرين" وقبل ذلك بسنوات تساءل "كراسوس" وهو يشير إلى منح "بومبي " لقب العظيم " Magnus قبل أوانه قائلاً "عظيم بأي حق"(٤) .

ومن أهم النتائج التي تمخضت عنها ثورة العبيد بقيادة كراسوس، أن الأوضاع السيئة للعبيد والطبقات الكادحة وطبقة العامة قد لفتت إنتباه الساسة الرومان، ولذلك بدأت المطالبة بتحسين أوضاعهم المعيشية، والحث على ضرورة معاملتهم معاملة إنسانية، وعلى الصعيد السياسي فإن نتيجة هذه الثورة إندلع الصراع بين "بومبي" و"كراسوس"، فكل قائد منهما كان يطالب السناتو بالترشح لقنصلية ٧٠ق.م، ودخول روما في موكب نصر والمرور تحت قوس النصر Triumphus، والمناداة به من قبل الجماهير قائداً مظفراً Imperator([2]).

تحدي بومبي وكراسوس لمجلس السناتو:

توصل بومبي وكراسوس إلى إتفاق لمواجهة السناتو، والقدرة على ترشيح نفسيهما لقنصلية عام ٧٠ ق.م بالرغم من أن تقدمهم لشغل القنصلية كان غير شرعيًا فمن جانب "كراسوس" لم ينقضي الوقت القانوني بين توليه للبراتيورية Praetorship وبين أحقيته لتولى وظيفة عليا ومن جانب "بومبي" لإنه لم يكن قد تولى أي من الوظائف التي تؤهله لتولى القنصلية، فضلاً عن ذلك فإن بومبي كان لا يجوز له الترشح للقنصلية لإنه في السادسة والثلاثين بينما حسب قوانين سوللا

([1]) سيد احمد على الناصري، المرجع السابق، ص٣٠٤-٣٠٥.

([2]) سيد أحمد على الناصري، المرجع السابق، ص ٣٠٨.

لا يجوز الترشح للقنصلية قبل الثالثة والأربعين، كما أن بومبي لم يتولى أي من الوظائف الممهدة للقنصلية، حيث كل سلطاته السابقة كانت سلطات أستثنائية عسكرية لمهام محددة([1]).

وكان ليوليوس قيصر دوراً هامًا في هذا التفاهم الذى نشأ بين بومبي وكراسوس فكما جاء عند ركس ورانر " وسرعان ما تم التفاهم بين بومبي وكراسوس، وأضطر أولهما لإعتناق مبادئ حزب الشعب وقد صرح علانية بأنه فيما لو تم انتخابه قنصلاً، فأول عمل يؤدية هو أن يعيد إلى نقباء العامة جميع السلطات التي إنتزعها منهم سوللا، وكان لضغط الرأي العام ووجود جيش على أبواب روما أثرهما على مجلس الشيوخ، فصدرت قرارات رسمية بإعطاء بومبي حق ترشيح نفسه للقنصلية دون حاجة لإستكمال المؤهلات التي يستلزم العرف توفرها في المرشح للقنصلية، وتم إنتخاب بومبي وكراسوس للقنصلية في الوقت المحدد".

ولكي يضغط بومبي على مجلس السناتو ويسمح له بالترشح لقنصلية ٧٠ق.م، قام بومبي بالإنحياز إلى صف العامة أو الحزب الشعبي، وذلك لتهديد السناتو، فقام بومبي بوعد العامة بعودة المهابة والكرامة لمنصب نقيب العامة، وتزعم العامة للمطالبة بحقوقهم([2]).

وفي هذا الوقت (٦٧-٦١ ق .م) وجدت روما نفسها في مواجهة ثلاثة أخطار خارجية فهناك خطر في بحر إيجة وهو خطر القراصنة الذين كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب وتسببوا في إعاقة الحركة التجارية للدولة، أما الخطر الثاني فكان متمثلاً في غارات التراقيون البرابرة، والخطر الثالث جاء من آسيا حيث التهديد من جانب مثراداتيس وحماه ملك أرمينيا، وتركت مهمة القضاء على غارات التراقيون إلى حاكم مقدونيا بينما تولى بومبي محاربة القراصنة، وما أن حل عام ٦٢ق.م حتى كان بومبي قد أنهي مهمته في آسيا وكيليكيا، وأثناء غياب بومبي في الشرق تقدم أحد ترابنة العامة بإيعاز من قيصر وكراسوس بمشروع قانون ضم مملكة البطالمة في مصر إلى الدولة الرومانية، وقد قام شيشرون بالتصدي لهذا المشروع وفي عام ٦٣ ق.م استطاع شيشرون أن يتولي القنصلية والقضاء على مؤامرة (كاتيلينا) Catalina الشهيرة.

تدخل روما في شؤون مصر

وتدخلت روما خلال هذه الفترة في المشاكل الداخلية لمصر، أو بمعنى أدق المنازعات التي نشبت بين أسرة البطالمة حول وراثة العرش، بعد وفاة "بطلميوس الخامس" شب النزاع بين

([1]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٣٠٩.

([2]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٣٠٩.

أبنائه "بطلميوس السادس" "فيلوماتور" وشقيقة الأصغر "بطلميوس الثامن" "يورجتيس الثاني"، بعد أن كانوا شركاء في الحكم معًا، أنفرد الشقيق الأصغر بالحكم، مما دفع الأخ الأكبر للجوء إلى روما طلباً لمساعدتها في عودته إلى الحكم، وقد حكمت روما بأن يحكم فيلوماتور قبرص، ويحكم الأخ الأصغر مصر وقورينائية، إلا أن ثورة شعبية قامت ضد الأخ الأصغر، أدت إلى طرده من الحكم وتم إستدعاء فيلوماتور لحكم مصر وقبرص، بينما ترك للأخ الأصغر حكم قورينائية (برقة). وقد أوصى الأخ الأصغر بأن تؤول مملكته– برقة– إلى حكم الرومان إذا مات دون وريث، حتى لا تؤول إلى أخية الأكبر، إلا أن القدر يشاء أن يموت الأخ الأكبر ويتولي الأخ الأصغر حكم مصر، وبذلك لم تنفذ وصية بطلميوس الثامن، وعهد بحكم برقة إلى أبنه غير الشرعي "بطلميوس أبيون"، الذي أوصى بأن تؤل برقة إلى حكم الرومان بعد وفاته، وفي سنة ٧٤ق.م، تم تحويل برقة إلى ولاية رومانية.

وكُلف "سكيبيو إيميليانوس" بمهمة من قبل السناتو للوقوف على أحوال الممالك الهلنستية، وعاد إلى روما بتقرير عن خيرات ومدى ثراء مصر وعن أوضاعها الداخلية، وكان لذلك التقرير أثر كبير في رسم سياسة السناتو تجاه مصر.

وعند وفاة بطلميوس التاسع ٨١ق.م، لم يترك وريثاً للعرش، إلا إبنته "برنيكي" التي نصبها السكندريين ملكةً على البلاد، لكن سوللا فرض على مصر في هذا الوقت ابن "بطلميوس العاشر" –"الإسكندر الأول"– الذي كان يعيش في روما، وبعث به إلى مصر ليتزوج من "برنيكي" ويتولى الحكم تحت أسم "بطلميوس الحادي عشر" أو "الاسكندر الثاني"، إلا أن هذا الشخص قتل برنيكي، مما أغضب السكندريين وثاروا ضده، وقتلوه بعد أيام قليلة من توليه الحكم.

وقد زعم الرومان أن "بطلميوس الحادي عشر" قد ترك وصية بأن تؤول مصر إلى أملاك الشعب الروماني، وبالتالي لم يعترفوا ببطلميوس الزمار ملكاً على مصر، وإزاء ذلك حاول الزمار كسب أأتراف الرومان به ملكاً على البلاد عن طريق الرشوة والهدايا التي كان يقدمها لأعضاء السناتو، ولكن البعض يشكك في هذه الوصية ويرى إنها غير حقيقية([1]).

([1]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٥٩.

وكان للوصية المزعزمة سابقة الذكر تبعات على مستقبل مصر ومصيرها، فقد دفعت هذه الوصية الرقيب كراسوس بتقديم مشروع فرض جزية سنوية على مصر، لإن الزمار خالف وصية بطلميوس الحادي عشر، التي كانت تقضي بان تؤول مصر لأملاك الشعب الروماني. ولحسن حظ الزمار أن هذا المشروع أجهض على يد "شيشرون" صديق "بومبي"، الذي كان يرى نجاح مشروع كراسوس سنة ٦٥ق.م وتمريره سوف يكون هزيمة لصديقة بومبي وانتصاراً للحزب الديمقراطي. وفي السنة التالية طلب كراسوس من أحد نقباء العامة بتقديم مشروع لضم مصر إلى أملاك الشعب الروماني وإسناد هذه المهمة ليوليوس قيصر، وذلك لإتخاذ مصر كقاعدة عسكرية ضد بومبي([1])، وتحجج كراسوس بأن هناك وصية تركها بطلميوس الحادي عشر بان تؤول مصر إلى أملاك الشعب الروماني، وكان العامة والفرسان يرحبون بضم مصر لإنها سوف تهيء لهم مجالاً أكبر لجني الأموال وتضمن للعامة الحصول على القمح، أما النبلاء فكانوا يعارضون ذلك لإن ضمها سيحرمهم من أقراض الأموال للزمار وأخذ فوائد باهظة فضلاً عن أن ذلك سيوقف الرشاوى التي يدفعها الزمار لهم. ولكن نظراً لشك النبلاء والفرسان في نوايا كراسوس وقيصر وخوفهم من إستقلالهما بمصر، فإنهم أنحازوا إلى جانب بومبي المدافع عن الفرسان، وقد أستطاع شيشرون صديق بومبي والمنتمي للفرسان مرة أخرى إجهاض هذا المشروع([2]).

والرواية الأخرى تحكي أن هناك ثورة قامت ضد الزمار في الإسكندرية، وخلعته من العرش، ومن ثم طلب من الرومان إعادته إلى عرشه، وقد تضاربت أراء الأحزاب في روما ازاء هذه المسالة، مما دفع السناتو إلى أرجاء هذه المسالة، إلا أن "جابينوس" القائد الروماني على سوريا أعاد الزمار إلى عرشة سنة ٥٥ق.م مقابل رشوة دفعها إليه الزمار([3]).

([1]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٦٠-٦١.

([2]) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص ص ٤٦٥-٤٦٦.

([3]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٦٤.

مؤامرة كاتيلينا ٦٣ق.م:

كان "كاتيلينا" يصر على ترشيح نفسة لقنصلية ٦٢ق.م للمرة الثانية، وذلك للخلاص من ديونه التي قد يستطيع تسديدها بارتقائه القنصلية مرة ثانية. وجمع حوله الساخطين من ضحايا الديون والربا وجنود سوللا والقتلة والمجرمين والمغامرين، لذا فقد دعم الأغنياء كراسوس لخوض الانتخابات، ولجأ كاتيلينا للعنف والمؤامرة، والتخطيط للإنقضاض على حكومة شيشرون. وأستطاع شيشرون كشف خيوط المؤامرة وإقناع السناتو بأن كاتيلينا يعد جيشًا جرارًا في أتروريا للزحف على روما، حيث أخبرت إحدي زوجات المتآمرين شيشرون بالاجتماع السري الذي عقد لتحديد ساعة الصفر للمؤامرة، وعقد شيشرون اجتماعًا طارئًا للسناتو، وألقى خطبة ضد كاتيلينا في وجوده، الذي إنسحب من الاجتماع وهرب إلى أتروريا، وعند ذلك أعلن السناتو أن كاتيلينا عدوًا للشعب الروماني ويجب قتله. ورأي شيشرون وكاتو ضرورة إعدامهم، لكن يوليوس قيصر رأي الاكتفاء بسجنهم المؤبد ومصادرة أموالهم، وفي النهاية نجح المتشددون وتم إعدام المتآمرين، ومنح السناتو لقب أبو الوطن Pater Patriae لشيشرون([1]).

الائتلاف الثلاثي الأول:

بعد عودة بومبي من الشرق والانتصارات العظيمة التي حققها في هذه المنطقة، رفض مجلس السناتو مطالب بومبي، كما أن السناتو رفض بعض مطالب كراسوس، وعند عودة قيصر من أسبانيا رفض ترشحه للقنصلية. لذلك أجتمع القادة الثلاثة في إئتلاف ثلاثي Triumviri ضد السناتو، بفضله أستطاع قيصر تولى القنصلية سنة ٥٩ق.م، وتوطدت العلاقات بينهم وتحولت من العداء إلى الود، وتوطيدًا للعلاقة بين قيصر وبومبي، تزوج بومبي من يوليا بنت قيصر. وقاموا بالإنتقام من خصومهم، خاصةً "كاتو" وشيشرون، حيث تم نفي شيشرون خارج الدولة، وتم إرسال كاتو إلى قبرص لإبعاده عن روما([2]).

([1]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ص ٣٣٢-٣٣٥.

([2]) محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص ١١٢.

حاول السناتو بشتى الطرق أن يحطم الإئتلاف الثلاثي من خلال إغراء بومبي بإعطائه المزيد من السلطات خاصةً بعد أن نجح بومبي في إعادة شيشرون من المنفى، فقد منح السناتو سلطة الإمبريوم لبومبي، لكن كراسوس أدرك خطورة ما يقوم به السناتو ودعى بومبي وقيصر إلى مؤتمر "لوكا" لتصفية الخلافات بين بومبي وقيصر، وعرض بومبي وقيصر إغراءات كبيرة على بومبي تفوق ما قدمه السناتو لبومبي، وكان بومبي مستعدًا لتصفية خلافاته مع قيصر لحبه لإبنته "يوليا" التي كان بومبي يحبها حبًا شديدًا([1]).

يوليوس قيصر وكليوباترا السابعة:

وعندما نشب صراع بين "كليوباترا السابعة" وأخيها "بطلميوس الثالث عشر" على العرش، تدخل قيصر للتوفيق بينهم، ونظراً لتحيز قيصر لجانب كليوباترا نشبت "حرب الاسكندرية" ضده، وأنتهت بهزيمة بطلميوس الثالث عشر وموته غرقاً، وتنصيب كليوباترا ملكة على عرش مصر بالإشتراك مع أخيها بطلميوس الرابع عشر. وقضى قيصر الشتاء مع كليوباترا نزهة نيلية، وعند عودته لروما وضعت طفلاً، وذهبت كليوباترا إلى روما، وأعترف قيصر بأبنه من كليوباترا، وفي ذلك الوقت كثرة الإشاعات حول قيصر وكليوباترا وبإنه يريد تحويل الجمهورية إلى ملكية من أجل كليوباترا. وبعد إغتيال قيصر على يد الحزب الجمهوري، عادت كليوباترا إلى مصر، وتخلصت من أخيها بطلميوس الرابع عشر، وأشركت أبنها قيصرون في الحكم تحت أسم "بطلميوس الخامس عشر"([2]).

أغتيال يوليوس قيصر قيصر:

بعد قضاء يوليوس قيصر على كراسوس وبومبي أنفرد بالحكم، وقام بتحويل مؤسسات الجمهورية إلى مؤسسات خاضعة لسيطرته الديكتاتورية، وأخذ يعمل بالقضاء على سلطات مجلس الشيوخ والأرستقراطية وتدعيم الطبقة الشعبية التي أستند إليها. وقام بتعطيل عملية

([1]) سيد الناصري، المرجع السابق، ص ٣٤٨.

([2]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٦٧-٧٠.

إنتخاب القناصل، حتي يصبح الحاكم الفردي المنفرد بالقنصلية. وفي سنة ٤٧ق.م أنتخب دكتاتورا وقنصلًا لعدة سنوات. وفي سنة ٤٤ق.م أصدر السناتو قرارًا بمنح قيصر حق إنتخاب القنصلين ونصف شاغلى المناصب الكبرى، مما أدى إلى القضاء على نظام الحكم الجمهوري وتأسيس حكم دكتاتوري. وأتخذ لنفسه لقب إمبراطور بمعنى القائد الأعلى المنتصر. هذه التصرفات الدكتاتورية الإستبدادية أثارت غضب الأرستقراطية الرومانية وبعض أنصار قيصر. فتم تدبير مؤامرة لإغتيالة بقيادة جايوس كاسيوس، وماركوس بروتوس، ودكيموس، وجايوس تريبونيوس وحوالى ٦٠ من أعضاء السناتو، قاموا بإغتيالة أثناء دخولة إلى قاعة مجلس السناتو([1]).

الإئتلاف الثلاثي الثاني:

عندما فنتحت وصية قيصر بعد إغتيالة، وجدوا فيها أنه أوصى بأن تكون حدائقه متنزهاً للشعب الروماني، وأوصى ب ٣٠٠ سستريوس لكل مواطن روماني، وتبنى أبن إبنة أخته "جوليا" وجعله وريثًا لثلاث أرباع ممتلكاته. وبإعتبار أنطونيوس زعيم حزب قيصر، قام بالسيطرة على السلطة ووزع الولايات على أتباعه، وتجاهل جايوس أوكتافيوس الذي تحالف مع السناتو ضد أنطونيوس وأنتصر عليه في موقعة "موتين"ا ٤٣ق.م، ولكن مجلس السناتو أيضًا تجاهل أوكتافيوس، مما دفعه إلى الزحف على روما وأنتخابه قنصلًا في أغسطس ٤٣ق.م، وأنشأ محكمة لمحاكمة قتلة قيصر. بينما قام أنطونيوس بالتحالف مع صديقة ليبيدوس ضد أوكتافيوس. وزحفوا على روما لمقابلة أوكتافيوس، الذي اتفق معهم على تكوين إدارة ثلاثية مدتها خمس سنوات، يتمتع كل منهم بالسلطة القنصلية وتعيين الموظفين دون الرجوع للسناتو، وتقاسم إدارة الولايات بينهم. وقاموا بالحرب ضد الحزب الجمهوري وأستطاعوا هزيمة الجيش الجمهوري في معركة فيليبي سنة ٤٣ق.م([2]).

([1]) على عكاشة وأخرون، اليونان والرومان، ص ١٩٨-٢٠٠.

([2]) على عكاشة وأخرون، اليونان والرومان، ص ٢٠٠-٢٠١.

وبعد إنتقامهم من قتلة قيصر أقتسم أوكتافيوس وأنطونيوس الولايات بينهم، تولى أوكتافيوس إدارة الولايات الغربية، وأنطونيوس تولى إدارة الولايات الشرقية. وكانت مصر فى هذا الوقت المملكة الوحيدة في الشرق التي لم تسقط في يد الرومان.

وبعد إعتيال قيصر أخذت كليوباترا تبحث عن قائد روماني أخر تستند إليه في حماية مملكتها من الضياع، وقد وجدت ضالتها المنشودة في أنطونيوس، الذي أفتتن بها، وهام بها حبًا وعشقًا، وأثمرت علاقتهما عن ميلاد توأم. في هذا الوقت كان الشقاق والخلاف يزداد يومًا بعد يوم بين أوكتافيوس وأنطونيوس، نظرًا لطموح كلاً منهم في الإستئثار بالسلطة وتحقيق مجد شخصي لنفسه، إلى أن تم في سنة٤٠ق.م عقد صلح بين القائدين وتقريب لوجهات النظر بينهم، وتوطيدًا لهذا الوفاق والصلح تزوج أنطونيوس من "أوكتافيا" شقيقة أوكتافيوس.

وعندما أرتبط القائد الروماني "ماركوس انطونيوس"(*Marcus Antonius*) بعلاقة عاطفية بكليوباترا السابعة"(*Cleopatra VII*) ملكة مصر، فإنها كانت تخطط لحماية عرشها من الأطماع الرومانية، وتطمح إلى حكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية بمساعدة "أنطونيوس" على أقل تقدير، أو أنها كانت تطمح إلى حكم الإمبراطورية الرومانية بأسرها، ولذلك فإن الرومان كرهوها وغضبوا منها، وعبر "كاسيوس ديو" (*Cassius Dio*) عن ذلك قائلًا:

"الأمل قد راودها في أن تحكم الرومان، وكان أقصى أمنية لديها، والتي أقسمت أن تحققها ذات يوم، هي أن تُصرَف العدالة فوق صخرة الكابيتول".

وعلى ذلك، فإن كليوباترا أثارت الفزع في قلوب الرومان وجعلت قلوبهم ترتجف من بين ضلوعهم، وذكرتهم بحروب "هانيبال" وخسائرها الفادحة، وقد أذكت الحرب الدعائية التي دارت بين "أوكتافيانوس" من ناحية وبين "انطونيوس" و"كليوباترا" من ناحية أخرى من هذا الشعور، حيث أخذت الدعاية الموالية لجانب "أوكتافيانوس" في بث سمومها في قلوب وأذهان الشعب الروماني إلى أن أصبحت "كليوباترا" العدو اللدود فـي مخيلة الشعب الرومانـي.

وفي هذا الوقت كان الوسط الثقافي هو بوق الدعاية الرئيس ضد "كليوباترا السابعة"، وتبارى الأدباء والخطباء الرومان في الدلو بدلوهم في هذه الدعاية، ومنها على سبيل المثال رسالة "شيشرون" (*Cicero*) إلى صديقه "أتيكوس"(*Atticus*)، التي صرح فيها بوضوح عن كراهيته العميقة "لكليوباترا"، ويبدو لنا من خلال هذه الرسالة أن "شيشرون" استغل كراهية الرومان لكليوباترا للتشهير بها لعدم وفائها بوعدها له، بإهدائه مجموعة من الكتب القيمة من مكتبة الإسكندرية، وعن "كليوباترا" يقول "شيشرون:

"ولا أستطيع أن أتذكر صلف الملكة نفسها عندما كانت في الحدائق على الضفة الأخرى من التيبر – دون أن أشعر بألم شديد".

أما التشهير اللاذع لكليوباترا، فقد جاء على لسان الشاعر "بروبرتيوس"(*Propertius*)، الذي تناول سيرتها بكل سوء في إحدى قصائده قائلًا: "إنها سيدة مبتذلة بين خدمها فقد طالبت زوجها الفاسق بأسوار روما وإخضاع السناتو لسلطانها كثمن لزواجها منه. وفي موضع آخر يصف "بروبرتيوس" الملكة "كليوباترا" بأنها عاهرة فاجرة، قائلًا: "نعم! قد اجترأت الملكة العاهرة، ملكة كانوب الدنسة، والوصمة الوحيدة التي دمغتها، سلالة فيليب على أن تواجه إلهنا جوبيتر بأنوبيس.

إلا أن عددًا من الخطوات التي أقدم عليها أنطونيوس جعلت علاقته تسوء مرة أخرى مع انطونيوس، ففي ٣٧ق.م بعد ان فشلت حملة أنطونيوس ضد البارثيين في الشرق، أعلن أنطونيوس زواجه من كليوباترا. وثاني هذه الخطوات في سنة ٣٤ق.م بعد انتصار حملة أنطونيوس على أرمينيا، أحتفل أنطونيوس بانتصارة العسكري في الاسكندرية وليس روما، وأعلن كليوباترا في هذا الاحتفال ملكةً على مصر وقبرص وليبيا وجوف سوريا بمشاركة قيصرون، وأبنائه منها اعلنهم ملوك أبناء ملوك، وقسم الولايات الشرقية بينهم.

وثالث هذه الخطوات طلاقه من أوكتافيا، مما دفع أوكتافيوس إلى شن حملة دعائية شعواء ضد انطونيوس وكليوباترا، ووقد آتت هذه الحملة اكلها وتم اعلان الحرب ضد كليوباترا،

واصرت كليوباترا على التواجد في ميدان المعركة، مما كان له اثر سلبي ادي في النهاية الى هزيمتها وانطونيوس في أكتيوم ٣١ق.م، ويبدو أن أنطونيوس كان يأمل في الاستعداد لمعركة برية فاصلة مع أوكتافيوس، إلا أن أوكتافيوس وصل مصر قبل أنطونيوس، ودخلها من الناحية الشرقية واستولى على بيلوزيوم ثم الإسكندرية، ونظرًا لفشل أنطونيوس في مواجهته، انتحر، ثم انتحرت من بعده كليوباترا ٣٠ق.م، لإنها كانت تخشى ما تخشاه أن تأخذ أسيرة إلى روما، وتهان في موكب انتصار عسكري في شوارع روما.

وعلى الرغم من هزيمة "كليوباترا" و"انطونيوس" في مواجهة أوكتافيانوس" في معركة أكتيوم البحرية في ربيع سنة ٣١ ق.م، فإنها يكفيها فخرًا قدرتها على إثارة الحقد والرعب في قلوب الرومان، حتى أصبحت رمزًا للكفاح ضد روما وطغيانها على الشرق الهللينستي، الذي كان يتمنى الخلاص من نير عبوديتها.

المبحث الثالث عشر: تأسيس أوكتافيوس للنظام الإمبراطوري:

بعد انتصار أوكتافيوس على أنطونيوس وكليوباترا حصل أوكتافيوس على صلاحيات تربونية غير محدودة سنة ٣٠ق.م، وعاد إلى روما سنة ٢٩ق.م، ولقب بالامبراطور ومنح لقب أغسطس من قبل السناتو، وأعتبره الرومان مؤسس العصر الذهبي لروما وقاموا بتقديسة كإله. وقام بعدة إجراءات منها إعادة الطمأنينة إلى نفوس الناس، منح العطايا والهبات على الشعب، وتعبيد الطرق، وتشييد المباني، وإغلاق معبد إله الحرب "جانوس"، منح الأمان لأنصار أنطونيوس، تسريح وتوطين جزء كبير من الجيش الروماني، توطيد حكمه. أظهر حرصة على التمسك بالتقاليد الرومانية، وأخذ لقب عراف([1]).

و أصدر عفو عام عن كل الأحداث التي حدثت قبل سنة ٢٨ق.م. وفي سنة ٢٧ق.م منحه السناتو لقب أغسطس بمعنى الجليل أو المقدس، وحق زراعة شجرة غار أمام منزله كرمز لانتصاراته، ووضع ترس ذهبي في السناتو مكتوب عليه صفات أغسطس الاربعة الرجولة

([1]) على عكاشة وأخرون، اليونان والرومان، ص ٢٠٢-٢٠٣.

العدالة البر الرحمة. وأعاد تنظيم عضوية مجلس السناتو، وقام باصدار القوانيين الايولية التي حددت أنواع الجرائم ومباديء الآداب العامة. بموجبه توجه تهمة الخيانة لكل من يعتدي على أغسطس بالقول أو الفعل. واصدر قانون الزواج سنة ١٨ق.م الذي شجع الشباب على الزواج للحد من ظاهرة العزوبة والحد من الطلاق ومعاقبة الزنا وتم تعديل هذا القانون سنة ٩ق.م. وأمر بأقامة إحتفالات شعبية ودينية. واعلن ميلاد عصر السلام الأغسطي، وأشرف بشخصه على سك النقود الذهبية، وأشرف على الخزينة العسكرية وعلى خزينة الولايات. وعمل على الحد من نفوذ طبقة الفرسان وامتيازاتها، وقام باصلاح نظام جباية الضرائب. وأهتم بأصلاح النظام الاقتصادي، مما أدى إلى إزدهار إقتصادي في جميع المجالات سواء الرزراعية أو الصناعية أو التجارية([1]).

([1]) المرجع نفسه، ص ٢٠٣-٢٠٤.